دراسات اجتماعية

مجلّة نصف سنوية محكّمة تصدر عن قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة ـ بغداد
العدد (٣٨) لسنة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

رئيس التحرير
أ.د. متعب مناف جاسم

سكرتير التحرير
أ.م.د. خديجة حسن جاسم

الهيأة الإستشارية

أ.د. لاهاي عبد الحسين الدعمي
أ.د. خليل ابراهيم رسول
أ.د. عدنان ياسين مصطفى
أ.د. سلام عبد علي
أ.م.د. فريدة جاسم دارة

أهداف وضوابط النشر

اهداف بيت الحكمة

بيت الحكمة مؤسســة فكرية علمية ذات شــخصية معنوية واســتقلال مالي واداري مقره في بغداد ومن اهدافه:-

* العناية بدراسة تأريخ العراق والحضارة العربية والاسلامية .

* ارســاء منهج الحوار بين الثقافات والاديان بما يســهم في تأصيل ثقافة السلام وقيم التسامح والتعايش بين الافراد والجماعات .

* متابعة التطورات العالمية والدراسات الاقتصادية وآثارها المستقبلية من العراق والوطن العربي

* الاهتمــام بالبحــوث والدراســات التي تعزز من تمتع المواطن بحقوق الانســان وحرياته الاساســية وترسيخ قيم الديمقراطية والمجتمع المدني .

* تقديم الرؤى والدراسات التي تخدم عمليات رسم السياسات .

ضوابط النشر

- تنشــر المجلة البحوث التي لم يســبق نشــرها ويتم اعلام الباحث بقرار المجلة خلال ثلاثة اشــهر من تاريخ تسلم البحث .

- ترسل نسخة واحدة من البحث باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية لا تزيد كلماته عن ٢٠٠ كلمة شريطة ان تتوافر فيه المواصفات الاتية :

أ- ان يكون البحث مطبوعاً على قرص مرن (CD) بمسافات مزدوجة بين الاسطر وبخط واضح .

ب- ان لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٢٠) صفحة بقياس(A4) عدا البيانات والخرائط والرسوم.

ج- ان تُجمع المصادر والهوامش كلها متسلسلة في نهاية البحث وبمسافات مزدوجة بين الاسطر .

- يحصل صاحب البحث المنشور في المجلة على نسخة مجانية من العدد الذي ينشر فيه البحث .

- تعتذر المجلة عن اعادة البحوث سواء نشرت أم لم تنشر .

- يحتفظ القسم بحقه في نشر البحث طباعياً والكترونياً على وفق خطة تحرير المجلة .

المحتويات

البحوث والدراسات

كلمة العدد

سكرتير التحرير ٧

تحديات البيئة المجتمعية للمناطق المحررة .. مشكلات الطفولة انموذجاً

أ.د. سلام عبد علي العبادي ١١

تمكين المرأة من صناعة القرار على ضوء نظرية عالم الاجتماع تالكوت پارسنز :(مقاربة نظرية)

أ.د. رجاء محمد قاسم ٢٥

مقاربة نقدية في منهجية الدراسات الأنثروبولوجية العراقية

أ.م.د. حسين فاضل سلمان ٣٩

إشكاليات الدرس الانثروبولوجي في العراق .. رؤيا نقدية

أ.م.د فريدة جاسم داره

أ.م. د. ذكرى جميل محمد حسين ٦٧

دور المؤسسة التربوية في مواجهة أزمة التطرف والتخريب الفكري

أ.م.د. خديجة حسن جاسم ٨١

العنف الأسري ضد المرأة

أ.م.د. رباح مجيد الهيتي ٩٩

الظاهرة الاجتماعية في فضاء العلم

د. زروخي الدراجي

سيفي فيروز ١١٥

التحولات النفسية في شعر محمد بن عمار

م. د. أفراح علي عثمان ١٢٩

عرض كتاب

الطَّبقات والتَّراصف الطَّبقي
عرض: د. حيدر قاسم مَطَر التميمي ١٤٥

خمسة اشياء يندم عليها البشر خلال حياتهم
مصطفى رحمن محسن ثامر ١٥٣

قراءات في النظرية السوسيولوجية
بقلم: قاسم عبود الدباغ ١٥٥

نشاطات قسم الدراسات الاجتماعية

نشاطات قسم الدراسات الاجتماعية لعام ٢٠١٦
تقديم الباحث فراس عبد الجبار ١٦١

كلمة العدد

ليس من السهولة بمكان لأي مجلة أن ترسم بوضوح منذ البداية ملامح توجهاتها لكنها تحاول تقديم المؤشرات الأولية لذلك وتأكيد رصانتها العلمية عبر اعتماد مجموعة من المعايير العلمية التي تتوسم من خلالها التزام قواعد البحث العلمي الرصين فضلاً عن طموح الإبداع والتنوير والسفر خارج المألوف والمنمط والمستهلك وهذا ما حاولت المجلة عبر تاريخها تقديمه وتعزيزه منذ البداية.

ويطيب لي أن أؤكد هنا أن المادة العلمية التي تقبل للنشر فيها وكما هو موضح في قواعد النشر التي تتصدر كل عدد من أعدادها الصادرة لا تقتصر على البحوث المتخصصة التي تُنشر في المجلة، بل تتعدى ذلك إلى المقالات والقراءات التي تتضمن عرضاً نقدياً للبحوث وعرض الكتب العلمية ونقدها ....

وقد استعانت المجلة في سبيل ذلك بنخبة من خيرة الأساتذة المتخصصين في ميدان العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية الذين أبدو تعاوناً وكرماً علمياً، كان له الفضل في الارتقاء بنوعية المادة العلمية المنشورة وبذلك تكون المجلة قد التزمت طريق المجلات العلمية الرصينة في النشر دون التخلي عن لمسات الإبداع والتطوير.

في النهاية أشكر جميع الزملاء وهيئة التحرير وخبرائها على ما يبذلونه من جهد في سبيل الارتقاء بمجالات البحث العلمي وأؤكد لهم أن هذه المجلة ستكبر وتستمر بجهودكم ومساهماتكم القيمة وسعيكم الدائم في الاستقطاب والتواصل مع جميع الباحثين والكفاءات العلمية داخل الوطن وخارجه.

كما يسرني أن أعرب عن استعداد المجلة لتقبل أي مقترحات أو أفكار لتطوير المجلة ونحن نتطلع لإسهاماتكم الجادة العلمية الرصينة وبما يشكل إضافات نوعية في أنتاج المعرفة وصناعتها ودور ذلك في خدمة مسيرة المجتمع ساعين من وراء ذلك أن تكون المجلة متميزة ومميزة....

ومن الله التوفيق.

سكرتير التحرير

البحوث والدراسات

تحديات البيئة المجتمعية للمناطق المحررة

مشكلات الطفولة أنموذجاً

أ.د. سلام عبد علي العبادي(*)

الخلاصة

ان ظـروف الحرب التي مر بها العراق منذ مدة ليسـت قصيـرة قد افـرزت العديد من الانعكاسـات الخطيـرة علـى الطفولة لاسـيما فـي المناطـق المحـررة مـن تنظيـم داعش ، ومـن الواضح ان بيئة الطفل فـي هذه المناطق سـوف تواجه العديد من المشكلات والتحديات المجتمعيـة ، وقـد تكون المشـكلات الصحية من ابـرز تلك المشـكلات وذلك بفعـل التلوث والدمـار الذي خلفته الحرب الامر الذي يسـهم بدرجة كبيرة في تعرض الاطفال الى العديد من الامراض الوبائية التي تنتشـر بسرعة فائقة في مثـل هذه الظروف ، كمـا ان للبيئة الاجتماعية تأثيرات سـلبية على الطفل لا تقل خطورة عن التأثيـرات الصحيـة ، وعلى ما يبـدو ان اعادة التكيف مع الاوضاع الاجتماعية تكاد تكون احد ابرز العقبـات التي تواجه الاطفال في المناطق المحررة .

امـا على مسـتوى التأثيرات النفسـية للحـرب على حيـاة الطفل، فليـس هناك من جدل على إنّ اغلب الأطفال في العراق تأثروا بحالـة العنف على الصعيد النفسـي لاسـيما الأطفال في مناطق القتـال او النازحين الذين أصبحـوا يعانون الخوف وضعـف التركيز ، فضلاً عن الانعزالية والانطواء .اما المشكلات التربوية والتعليمية التـي يعاني منها الاطفال في المناطـق المحررة فيمكـن القول ان هذه المشـكلات كانت كثيرة على مختلف الاصعدة بالمقارنة مع الاهداف الاساسية لبرنامج (عالم ملائـم للأطفال) الـذي تصـدرت اهتماماته عمليـة التعليم المبكر للأطفال ، وبالمقارنة مع الاهداف الانمائيـة للألفية (MDGs).الامر الـذي يتطلب الاسـراع باتخـاذ الاجراءات اللازمـة لإعادة الاطفال الى مقاعد الدراسـة وتوفير الاجواء التربوية اللازمة لتحقيق ذلك .

(*) كلية الآداب / جامعة بغداد.

ومن اجل توفير الحماية اللازمة للأطفال في المناطق المحررة ينبغي اتخاذ بعض عدد من الاجراءات لعل ابرزها قيام وزارة الصحة بمؤسساتها كافة بتقديم الرعاية الاولية والخدمات الصحية لاحتواء الوضع المأساوي الذي يعيشه الاطفال في المناطق المحررة فضلاً عن الاستعانة بجهود وخبرات المؤسسات والهيئات الدولية والاهلية ذات العلاقة بالجوانب الصحية، والاستعانة بالمؤسسة الاعلامية للقيام بدورها الفاعل والمؤثر بشأن توعية ابناء المناطق المحررة من اجل ترميم العلاقات الاجتماعية بين ابناء المجتمع المحلي بالشكل الذي يؤدي الى تحقيق الاستقرار مع الاخذ بالحسبان تكثيف الجهد الرسمي لاحتواء التأثيرات السلبية للبيئة الاجتماعية على الاطفال النازحين ، عن طريق عدد من برامج التأهيل الاجتماعي والنفسي للأطفال التي طبقت في عدد من الدول التي تعرضت لازمات وظروف مشابهة لما مر به العراق .

المقدمة

ربما تكون الذاكرة العراقية قد اختزنت لنا الكثير من الحوادث التاريخية القاسية والمؤلمة التي عاشها الانسان العراقي على امتداد تاريخه الطويل، لكن هذه الذاكرة سوف تبقى حاضرة في كل وقت لتؤشر لنا ولجميع المجتمعات البشرية حجم النكبات والمآسي التي عاشها ومازال يعيشها المجتمع العراقي في العصر الحالي، فمنذ ما يقارب الخمسين عاماً والعراق يعاني من الحروب والصراعات والنزاعات التي استنزفت قدراته البشرية والمادية الى الحد الذي اضحى الفرد العراقي يحلم بالأمن والاستقرار بوصفه غاية يصعب الوصول اليها على الرغم من كونه استحقاقاً مشروعاً ينبغي ان توفره الحكومات والدول لمواطنيها.

وقد يكون التاريخ الانساني شاهداً على الكثير من الحوادث التي اشرت حيرة الانسان وضعف قدرته على تجاوز بعض المواقف الحياتية القاسية إلا انه لم يؤشر لنا تلاشي الخيارات امام الارادة الانسانية للخلاص من الموت، ويبدو ان شريحة الاطفال كانت الضحية الابرز في هذا المجال، اذ لم يكن الاطفال بمعزل عن كل ما جرى او يجرى في مختلف جوانب الحياة لاسيما الجوانب الصحية والتربوية، فمع استمرار النزاعات والحروب في اكثر من منطقة من مناطق العراق ضاعت الاماني ورحل الامل ولم يتبقى سوى الالم والمستقبل المجهول، ويبدو ان الطفولة في العراق سوف تبقى ولأمد بعيد ضحية العنف ومظاهر الصراع التي ما برحت تستهدف كل ما هو بريء وجميل.

وعلى الرغم من اهمية تحرير المناطق العراقية من سيطرة تنظيم داعش الا ان ثمن هذا التحرير كان كبيراً على اكثر من صعيد، وعلى ما يبدو اننا امام تحديات مجتمعية كثيرة لا يمكن تجاوزها بسهولة، وربما كان هذا الامر هو احد اهم الاسباب التي دفعت الحكومة الى ان تضع في اولوياتها ايجاد الحلول السريعة واللازمة لمشكلات البيئة المجتمعية للمناطق المحررة، لاسيما مشكلات الاطفال الذين يعيشون اوضاعاً انسانية صعبة تستفز امنهم واستقرارهم النفسي والعاطفي والاجتماعي، وعلى الرغم من الظروف الامنية غير المستقرة التي يعيشها اطفال العراق بشكل عام الا ان وضع الطفولة في المناطق المحررة بحاجة الى

دراسة مستفيضة وحلول سريعة من اجل تجاوز التأثيرات السلبية للحرب والنزوح وانعكاساتها الخطيرة على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع.

وانطلاقاً من ذلك فان هذا البحث سيحاول تسليط الضوء على مشكلات الطفولة في المناطق المحررة، ولتحقيق ذلك فقد قسمت محاور هذا البحث كما يأتي:

المقدمة. هدف البحث. مفهوم المشكلات. مفهوم الطفل. حقائق وأرقام. المشكلات الصحية.المشكلات الاجتماعية والنفسية. المشكلات التربوية والتعليمية.الخلاصة.

هدف البحث:

ليس هناك من جدل على ان الانعكاسات المترتبة عن الصراعات والحروب كثيرة ومتعددة على مختلف الصعد الفردية والعائلية والمجتمعية، وقد يكون من الصعوبة بمكان اعطاء هذه المشكلات حقها من الدراسة والتحليل وذلك لسعة حجمها ولسعة متغيراتها والنتائج المترتبة عليها، وعلى وفق ذلك سيركز هذا البحث فقط على دراسة المشكلات الصحية والاجتماعية والنفسية والتعليمية على الطفل مع محاولة الاستعانة ببعض البيانات التي تؤشر طبيعة هذه الانعكاسات ومدياتها الآنية والمستقبلية.

مفهوم المشكلات:

المشكلة هي ظاهرة تتكون من عدة احداث او وقائع متشابكة وممتزجة بعضها بالعض لفترة من الوقت، وغالباً ما يكتنفها الغموض واللبس، تواجه الفرد او الجماعة ويصعب حلها قبل معرفة اسبابها والظروف المحيطة بها وتحليلها للوصول الى اتخاذ قرار بشأنها[1]، كما تحدد المشكلة على انها حالة انعدام استقرار او اضطراب نمط العلائق الاجتماعية الذي يهدد وجود احد قيم المجتمع او احد مؤسساته ويجعلها غير منسجمة مع متطلبات الحياة السائدة، الامر الذي يدعوا الى اعادة استقراء النمط المهدد ومن ثم معالجة مسببات اضطرابه[2]، وعلى وفق هذا التوصيف فان المشكلة في مفهومها السوسيولوجي هي موقف يتطلب معالجة اصلاحية ينجم عن ظروف المجتمع او البيئة الاجتماعية الامر الذي يتطلب مواجهة الموقف بمختلف الوسائل المتوافرة من اجل ايجاد الحلول لانعدام التوافق الذي يصيب البناء الاجتماعي[3]، وانطلاقاً من ذلك يمكن القول ان معظم المشكلات التي تواجه الطفولة في المناطق المحررة هي مشكلات ناجمة عن اختلال انساق المجتمع وعدم قدرتها على اداء وظائفها بصورة صحيحة، الامر الذي يتطلب اعادة التوازن الى التنظيم الاجتماعي القائم عبر مجموعة من الاجراءات التي من شأنها تجاوز العقبات والصعوبات واعادة التكيف والاستقرار الى مكونات النظام الاجتماعي.

مفهوم الطفل:

الطفل في اللغة هو الصغير من كل شيء، ويقصد به ايضاً من يضعف من الكبر ويرجع الى حد الصبا والطفولة، وكلمة طفل تطلق على الذكر والأنثى والجمع أيضاً [4]، ويعرف الطفل طبقاً لاتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩ بأنه كل انسان لم يتجاوز الثامنة عشرة مالم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه[5]، في حين يشير قاموس لونجمان (Longman) على ان الطفل هو الشخص

صغير السـن منذ وقت ولادته حتى بلوغه سن الرابعة عشـر أو الخامسة عشر، وهو الابن أو الابنة في أي مرحلة سـنية، كما تعرف الطفولة على أنها المرحلة الزمنية التي تمر بالشـخص عندما يكون طفـلاً. وتعرف الطفولة من وجهة نظـر علمـاء الاجتماع علـى أنها تلـك الفترة المبكـرة من الحياة الإنسـانية التـي يعتمد فيها الفـرد على والديه اعتماداً كلياً فيما يحفظ حياته ؛ ففيهـا يتعلـم ويتمرن للفترة التـي تليها، وهي ليسـت مهمـة في حد ذاتها بل هـي مرحلة يمر بها الطفل حتـى النضج الفسـيولوجي والعقلي والنفسي والاجتماعي والخلقي والروحي والتي تتشـكل خلالها حياة الإنسـان ككائن اجتماعي، كما تعـرف الطفولة بوصفهـا المرحلة التي لا يتحمل فيها الإنسـان مسـئوليات الحياة متعمدا علـى الأبوين وذوي القربى في إشـباع حاجته العضوية وعلى المدرسـة فـي الرعاية للحياة، وتمتد زمنياً من الميلاد او حتى قرب نهاية العقد الثاني من العمر وهـي المرحلة الأولى لتكوين ونمو الشخصية وهي مرحلة للضبط والسيطرة والتوجيه التربوي [٦].

والطفولة طبقاً لتوجهات هذا البحث هي تلك المرحلة العمرية التي لا يسـتطيع فيها الشخص ادارة اموره وشـؤونه لوحده، بل غالباً ما يعتمد على الاخرين في مختلف جوانب الحياة المادية والتربوية والاجتماعية.

حقائق وأرقام:

لقد أظهرت البيانـات المتعلقة بالعنف ضد الأطفال من قبل اليونيسيف في **٤ أيلول من عام ٢٠١٤** المدى المذهل لانتشار الإيذاء الجسدي والجنسـي والعاطفي الذي يتعرض له الأطفال فـي مناطق مختلفة من العالم، ولقد كشـفت هذه البيانـات عن المواقف التي تسـاهم في انتشـار العنف وتبريـره وإبقائه في كل بلد ومجتمع في العالم.

ويعتمـد تقريـر اليونيسـيف * «محجوب عـن الأنظار» علـى بيانـات مـن ١٩٠ دولة توثـق العنف في الأماكن التـي ينبغي أن يتمتع فيهـا الأطفال بالأمان: فـي المجتمعات المحلية والمدارس والمنـازل، ويبين التقرير بالتفصيل الآثار الدائمة للعنف والتي تشمل عدة أجيال في كثير من الأحيان، ويستنتج التقرير أن الأطفال الذيـن يتعرضـون للعنف تـزداد احتمالات أن يصبحـوا عاطليـن عن العمل وأن يعيشـوا في فقر وأن يمارسـوا العنف تجاه الآخرين. ويذكر المؤلفون أنهـم حصلوا علـى البيانات فقط من الأفراد الذين كانوا قادرين ومستعدين لتقديمها، وبالتالي فإنها تمثل التقديرات الدنيا.

وتشير اليونيسـيف إلى ست استراتيجيات لتمكين المجتمع ككل، من الأسر إلى الحكومات، مـن منع العنف ضد الأطفال والحد منه تشـمل دعم الآباء وتزويد الأطفال بالمهارات الحياتية؛ وتغييـر المواقـف ؛ وتعزيز النظـم والخدمات القضائية والجنائية والاجتماعية ؛ وجمع الأدلة وزيادة الوعي حول العنف والتكاليف البشـرية والاجتماعيـة والاقتصاديـة، مـن أجـل تغيير المواقف والأعراف.

علـى صعيـد المجتمـع العراقـي يشـير واقـع التركيـب العمري لسـكان العـراق الى ان المجتمـع العراقي هو مـن المجتمعات التي تتصف بفتوة سـكانها، اذ توجد نسـبة عالية من الاطفـال والمراهقيـن بين السـكان، وان اكثر من (٦٨,٨٪) من ثلثي سـكان العراق هم دون سـن الثلاثين حسـب بيانات المسح الاجتماعي

والاقتصادي للأسـرة في العراق لسنة ٢٠٠٧، وعلـى الرغم من ان التركيب العمري للسـكان قد شـهد تغيراً في العقود الثلاثة الاخيرة لصالح تراجع نسـبة الاطفـال (الافراد دون سـن ١٥ سـنة) بمقدار خمـس نقاط مئويـة بين ١٩٧٧-١٩٩٧ وبمقدار عشـر نقاط مئوية بين ١٩٧٧-٢٠٠٧ الا ان البيانـات مازالـت تشـير الى ان حوالـي اثنين من كل خمسـة اشـخاص، أي ما يقـارب (٣٩,٨٪) من سـكان العـراق هم من الاطفال دون سن الخامسة عشر مقارنة بنصف هـذا الرقم او أقل في المجتمعـات المتقدمة [٧]، ويشكل الاطفال بعمر اقل من ٥ سنوات حوالي ١٤,٦٪ مـن مجموع السـكان وهـي اعلى من نسـبة الاطفال بعمر (٥-٩) سـنوات، وتؤشـر نسـب الاطفال المرتفعة تضاعف اعدادهم من ٦-١٢ مليون بين اعوام ١٩٧٧-٢٠٠٧ [٨]، فيما تشير بعض البيانات بأنّ نسبة ٤٤ ٪ من مجموع السـكان هم من الأطفال، أي تحت سن الخامسة عشـرة، منهم ما يزيد علـى ٤ ملايين طفل هم سـن الخامسـة. [٩]، وإذا كان هـذا واقـع حال الطفولة في العراق في الظروف شـبه الطبيعية فكيف سيكون في ظل ظروف الازمات؟

اذ تشـير تقديـرات اليونيسـيف إلـى أن ٤٥٠,٠٠٠ طفل على الأقل أصبحوا مشـردين نتيجـة الأزمـة الأخيـرة في الموصـل ونتيجة شـهور من الاشـتباكات فـي محافظـة الأنبار المجـاورة، وفـي بيان صـادر عـن (مارزيو بابيل) ممثل اليونيسيف لدى العراق حول نزوح المدنيين بما فيهم الأطفال في شمال العراق **يوم ٢٦ حزيران ٢٠١٤** يشير الى «إن اليونيسيف تشـعر بالقلـق إزاء أحـدث النـزوح الجماعي للمدنييـن في شـمال العـراق والتي تهـدد حياة مئات الآلاف من الأطفال العراقيين.

مشكلات الأطفال الصحية:

نصت المادة ٢٤ مـن اتفاقية حقوق الطفل علـى ان ((تعترف الدول الاطراف بحق الطفل بأعلـى مسـتوى صحي يمكـن بلوغـه وبحقه في مرافـق علاج الامـراض وإعـادة التأهيل الصحـي، وان تبذل الـدول الاطراف قصارى جهدهـا لتضمن ألا يحـرم اي طفل من حقه في الحصول على خدمات الرعاية الصحية هذه)). كمـا نصـت المادة فـي بعـض محاورها على خفـض وفيـات الاطفـال ومكافحـة الامراض وسـوء التغذيـة وتطويـر الرعايـة الصحيـة الوقائية وإلغاء الممارسـات التقليدية التي تضر بصحـة الاطفال *. وفي ضوء هذه المادة يمكن القـول ان فرص عدم الاسـتمتاع بحياة الطفولة رافقت اكثر أطفال العراق. ففي ثمانينات القرن الماضـي حرمتهم حـروب النظام السـابق من ذلك. وفى التسـعينيات تسببت العقوبات الدولية والحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق حرمـان الأطفال الرضع مـن الرعاية الصحية والغذائية، فافترسـت الأمراض بشـتى أنواعها جيلاً من الصغار، ومات بسـبب العقوبات التي اسـتمرت ١٢ عاما أكثر من مليون طفل قهرهم المـرض بعد أن فقدت أسـرهم الأمل في إيجاد دواء لتخفيـف آلامهـم وأوجاعهم، كما تسـبب الحصـار غير الإنسـاني أيضا فـي معاناة ربع أطفال العراق من سـوء التغذية وها نحن نعيش الحاضـر، ولـم يتخلص أطفـال هـذا البلد من معاناتهم وآلامهم ومخاوفهم لاسيما مع تواصل العمليات العسـكرية والعنف والارهاب الدامي المتواصل الذي صار يطارد كل صغير[١٠].

وفـي دراسـة اجرتهـا وزارة التخطيـط والتعـاون الانمائي اظهرت النتائج ان ما يقارب ٩,٢٪ من اطفال العراق يعانون من سوء التغذية

الحـاد، فيمـا يعانـي ١٨,٢٪ من سـوء التغذية المزمن [١١]، واظهر مسـح الاحوال المعيشـية للأسـرة فـي العـراق لعـام ٢٠٠٥ ان الوضع الصحي للأطفال يزداد سوءاً، وان ربع الاطفال العراقيين يعانون من امراض سوء التغذية [١٢]، وعلى الرغم مـن ان الهدف الرابع من الاهداف الانمائية للألفية يشير الى تخفيض معدل وفيات الاطفال دون سن الخامسة بنسبة الثلثين في الفترة (١٩٩٠-٢٠١٥) * إلا ان واقع الحال يشـر الى عدم وجود تحسـن ملحوظ في هذا الجانب، اذ لا يزال الوضع الصحي يواجه الكثير من التحديات والمشكلات التي جعلت ظروف العمل في مجال الرعايـة الصحية فقيـرة وغير مسـتقرة، ومع هذا تتوقـع المصادر ان ينخفـض معدل وفيات الاطفال الى ٢٩,٥ حالة وفاة لكل ١٠٠٠ مولود حي حسـب التقرير السنوي لوزارة الصحة لعام ٢٠٠٩ [١٣] وعلى الرغم من عدم توافر البيانات الحديثة عن الواقع الصحي للطفولة في العراق، إلا ان البيانات الرسـمية السابقة تؤشر لنا حقيقة الوضـع الصحي للأطفـال العراقييـن، اذ ليس هناك ما يشـير الى تحسـن هذا الوضع في وقتنا الحاضـر، فلقـد ظل نظام الرعايـة الصحية في العراق يعاني من عجز كبير في التمويل انعكس بشكل كبير على واقع الخدمات المقدمة، اذ بلغت نسـبة الانفـاق على قطـاع الصحـة ٤,٩٪ من مجمـوع الانفاق الحكومي وهي في كل الاحوال تخصيصـات قليلـة وغيـر كافيـة بالمقارنة مع توصيات منظمة الصحة العالمية التي تشير الى ان البلـدان النامية تنفـق ٣٤ دولار لكل فرد في مجـال العناية الصحيـة [١٤]، ولقد وجدت احدى الدراسـات ان ٢١,٤ ٪ من اسـر عينة الدراسة لديهـا اطفـال مصابيـن بأمـراض مزمنة مثل السكري والصرع والتشوه الولادي، وهي نسبة تدعو الى القلق مع الاخذ بالحسبان صغر مجتمع الدراسـة[١٥]، وإذا كان الامر بمثل هذه الصورة في الظـروف الطبيعية فكيف يبـدو واقع الحال في ظل ظروف الازمات المتتالية التي يعيشـها المجتمع العراقي؟

ان ظـروف الازمـات التـي تعـرض لها المجتمـع العراقي والتي زادت بموجبها نسـبة الفئات الهشـة اوقعـت الكثير مـن الاطفال في دائـرة الهشاشـة، واحتمال وقـوع العديد منهم فريسـة الامـراض والتشـوهات، فالأطفال في العـراق اليـوم كما هـو كل مناطـق النزاع في العالم هـم الضحايا الاكثر تعرضـاً للأمراض بمختلـف صورهـا [١٦]، وقـد تكـون المناطق المحررة هي البيئة المناسبة لانتشار الكثير من الامراض بفعل التأثيرات السـلبية للحرب على خدمـات الرعاية الصحية والخدمية، فضلاً عن التأثيرات السلبية للنزوح على صحة الكثير من الاطفال الامر الذي من شـأنه تعرض الاطفال الى العديد مـن الامراض الوبائية التي تنتشـر بسرعة فائقة في مثل هذه الظروف.

ان ضعف المناعة ضد الامراض المتوطنة والكثيرة التي تنتشر في مناطق عدة من العراق يـكاد يكـون هـو العامـل الاكثر حضـوراً في صفوف اغلب افراد المجتمع العراقي، وقد يكون لتراكمات الاعوام السابقة من الحصار والجوع وسوء التغذية دور بارز في هذا المجال، ويبدو ان هذه الصورة تنطبق على واقع الاطفال اكثر من غيرهم، وذلك لأنهم اكثر الشـرائح والفئات ضعفاً تجاه الصراعـات والنزاعات والأزمات بمختلف اشـكالها، وعلـى الرغم من ان القطاع الصحـي مـن القطاعـات التي شـهدت تطورا ملحوظـا من خلال عـدد من المؤشـرات مثل

ارتفاع العمر المتوقع عند الولادة لدى الذكور والاناث وانخفاض معدل وفيات الاطفال لكن ظهور بعض الازمات عام ٢٠١٥ ساهمت في تفشي الكوليرا بشكل واسع لاسيما بين الاسر النازحة والفقيرة والمناطق النائية لصعوبة الحصول على المياه الصالحة للشرب، كما انخفضت نسبة الأطفال البالغين من العمر سنة واحدة المحصنين ضد الحصبة لعام ٢٠١٥ في المناطق كانت تحت سيطرة تنظيم داعش، اذ بلغت في صلاح الدين ٤١٪، وفي الانبار ٣٤٪، ونينوى ٤٨٪، وهذه النسب تؤشر تراجعاً كبيراً قياساً بميسان ٩٤٪ والسليمانية ٩٠٪ وكركوك ٨٤٪، وبعيدة عن المستهدف[١٧]، لهذا يمكن القول ان **هناك الكثير من المشكلات الصحية سوف تواجه الجهات المعنية في المناطق** المحررة، وعندما يكون الامر له علاقة بصحة الطفل فان التحديات سوف تكون أكثر، كما ان الجهد المطلوب لتجاوز هذه المشكلة او الحد من تأثيراتها سيكون أكبر، وعلى وفق ذلك يفترض ان تسارع الجهات ذات العلاقة لاحتواء الوضع المأساوي الذي يعيشه الاطفال في المناطق المحررة لإنقاذهم من الاصابة بالأمراض والعاهات المستديمة والوقتية على حد سواء، وقد يكون من المناسب هنا الاسراع في انشاء مراكز الرعاية الصحية الاولية وعيادات ومستوصفات خاصة بالأطفال من اجل تدارك الكثير من الحالات التي قد يصعب علاجها لاحقاً، وينبغي هنا الاستعانة بالمساعدات التي تقدمها المؤسسات والهيئات الدولية، فضلاً عن الاستعانة بجهود المنظمات غير الحكومية والاهلية للإسهام في ايجاد الحلول المناسبة والسريعة للمشكلات الصحية التي تواجه الاطفال في المناطق المحررة.

مشكلات الاطفال الاجتماعية والنفسية:

تكاد تكون مشكلات البيئة الاجتماعية هي الاشد تأثيراً في سلوك الطفل وتوجهاته، ولهذا سعت اتفاقية حقوق الطفل على تضمين كثير من موادها بالتدابير التي من شانها حماية الطفل من التأثيرات السلبية للبيئة الاجتماعية، ولعل ابرز هذه المواد هي (٩،١٠، ١٨،١٩، ٢٠)، وقدر تعلق الامر بأهداف هذا البحث فان المادة (٣٩) من هذه الاتفاقية قد نصت على ان (تتخذ الدول الاطراف كل التدابير المناسبة لتشجيع التأهيل البدني والنفسي وإعادة الاندماج الاجتماعي للطفل الذي يقع ضحية أي شكل من اشكال الاهمال او الاستغلال او الاساءة، او أي شكل اخر من اشكال المعاملة او العقوبة القاسية اواللاانسانية او المهينة او المنازعات المسلحة، ويجري هذا التأهيل وإعادة الاندماج في بيئة تعزز صحة الطفل واحترامه لذاته وكرامته)* وفي ضوء هذه المادة يبدو ان اعادة التكيف مع البيئة الاجتماعية تكاد تكون احد ابرز العقبات التي تواجه الاطفال النازحين، وقد لا تقتصر هذه المسألة على الطفل لوحده بل ربما تمتد لبقية افراد عائلته، الامر الذي من شأنه خلق العديد من المشكلات التي تعترض حياة الطفل وأسرته، وفي الغالب ترتبط المشكلات التي تواجهها العوائل في المناطق المحررة بطبيعة النظم الاجتماعية القائمة بما في ذلك نمط العلاقات الاجتماعية التي تصدعت بفعل اهتزاز مفاهيم الثقة بين ابناء هذه المناطق لاسيما بين العوائل النازحة وبين فضل البقاء على النزوح، فضلاً عن اختلال معايير السلوك ووسائل الضبط الاجتماعي وغيرها من المتغيرات الاخرى المرتبطة بالتنظيم الاجتماعي، وعلى

وفـق ذلك هناك حاجة ماسـة الى اعـادة ترميم هـذه العلاقات بالشـكل الذي يـؤدي الى تحقيق الاسـتقرار والاجتماعـي للأطفال ولأسـرهم، ويمكن اعطـاء اهمية كبيـرة للجانب التوعوي فـي هذا المجال لاسـيما وسـائل الاتصال التي يمكن ان تؤدي دوراً فاعلاً ومؤثراً بشـأن اعادة التفاعل الاجتماعي الايجابي الذي يخلق توزان مطلـوب وضروري في العلاقـات الاجتماعية بيـن الناس وبشـكل يسـهم فـي تحقيـق الامن الاجتماعي والنفسي للأطفال في هذه المناطق.

وقـد تكون اخطر التحديات او المشـكلات التي تواجه الجهات المعنية هي مشكلة الاطفال الذين فقدوا عوائلهم إثناء الحرب او النزوح، اذ مـن المرجح ان يزداد عـدد الاطفال بلا مأوى في المناطق المحررة،وقد تنتشـر على اثر ذلك مظاهـر وصور عدة للتسـول ولعمالة الاطفال فضلاً عن بعـض انماط السـلوك الخطيرة في تجلياتها وفي نتائجهـا التي حرصت الكثير من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية فضلاً عن الدسـاتير الوطنية علـى منعها ومكافحتها، فلقـد نصت المادة ٣٢ مـن اتفاقية حقوق الطفل على ان (تعترف الـدول الاطراف بحق الطفل فـي حمايتـه من الاسـتغلال الاقتصـادي ومن اداء أي عمـل يرجـح ان يكون خطيـراً او ان يمثـل اعاقـة لتعليم الطفـل، او ان يكون ضاراً بصحة الطفـل او بنموه البدنـي، او العقلي، او الروحـي، او المعنـوي، او الاجتماعي)*، كما ان برنامج ((عالم ملائم للأطفال)) ذكر تسـعة استراتيجيات لمكافحة تشـغيل الاطفال، فضلاً عـن ذلك فان الاهـداف التنمويـة للألفية دعت الـى حمايـة الاطفـال مـن الاسـتغلال، ويبدو ان هـذا الاخيـر هـو ظاهـرة كثيرة الانتشـار فـي عدد غيـر قليل من مناطق العـراق بما في ذلـك المناطـق المحـررة، اذ ان هـذه المناطق ربما تكون بيئة مناسـبة لاسـتخدام الأطفال في اعمال غير مشـروعة، كما قد يسـتغل الاطفال الذين ليس لهم مأوى لإشـباع الغريزة الجنسية لـدى الآخرين، ومن الواضـح ان هذا الامر له امتداداتـه التاريخية، فمنذ امـد بعيد كان الكبار لاسـيما الرجـال يسـتغلون الأطفال مـن أجل المتعـة تحت مبـررات اجتماعيـة أو لإرضاء نزعات مَرضية، ولقد اشارت بعض الدراسات الـى أن المجتمعـات الدينية والقبليـة في العديد من القارات تواصل تبرير الاسـتغلال الجنسي للأطفـال، وفـي هـذا الصـدد أشـارت منظمة الصحـة العالمية الى تعـرض ١٥٠ مليون من البنات و ٧٣ مليون من الأولاد دون سن الثامنة عشـر لجماع جنسي قسـري أو لأشكال أخرى من أشـكال العنف الجنسـي والاسـتغلال التي تضمنت اتصالاً جسـدياً،ومما يدعو إلى الفزع أن هذه الدراسـة المتعلقـة بالعنف صرَّحت بأن مرتكبـي العنف الجنسـي ضد البنـات غالبا ما يكونـون من أعضاء الأسـرة الذكـور (الإخوة أو الأعمـام أو الأخوال)، ويليهم في هذا الصدد أزواج الأمهـات والآباء وأعضاء الأسـرة من الإناث، وفي عام ٢٠٠٠ اكدت تقديرات منظمة العمـل الدولية أن ١,٨ مليـون طفل يتعرضون للاسـتغلال الجنسي فيما يتصل بالبغاء أو إنتاج المواد الإباحية، وفي أيار/مايو ٢٠٠٦ عرضت بيانات المنظمة الدولية للشرطة الجنائية صوراً للاعتـداءات علـى الأطفال تحتـوي على أدلة فوتوغرافية تثبت حدوث اسـتغلال جنسـي لما يزيد عن (٢٠٠٠٠) طفل من أجل إنتاج صور إباحيـة للأطفـال، ومـن الواضح أن ممارسـة الجنـس بالإكراه في إطار الزواج قسـراً أو في وقـت مبكر بات منتشـراً في كثيـر من الدول،

وتقول تقارير اليونيسيف أن ما يقدر بـ ٨٢ مليوناً من البنات في أنحاء العالم كافة (بعضهن لم تتجاوز سن العاشرة) يتزوجن قبل عيد ميلادهن الثامن عشر[١٨].

اما على صعيد التأثيرات النفسية على حياة الطفل، فقد اثبتت الكثير من الدراسات مثل دراسة (ارثر عام ١٩٧٤)، و (ماكلسكي ١٩٩٦)، و (اريـن برينيت ١٩٩٨) على أن النزوح والحروب أو المجاعات غالباً ما تصاحبها مجموعة من الخبرات غير السارة لمعظم الأفراد، الامر الذي ربما يوقعهم ضمن فئة مرضية تسمى ب (الاضطرابات الموقفية)، ويقصد بهذه الاضطرابات مجموعة الأعراض النفسية التي تظهر نتيجة لمشكلات حياتية طارئة، وقد سميت بهذا الاسم للدلالة على أنها اضطرابات انفعالية مرتبطة بموقف ضاغط، ثم هى مؤقتة لأنها عادة ما تزول بعد معالجة الموقف الذي أثار الضغط الانفعالي والتغلب عليه[١٩].

كما اشارت دراسة اخرى الى أن التغيرات في الأوضاع الاجتماعية التي تنجم عن الحرب والنزوح تصاحبها كثير من النتائج غير الإيجابية المتمثلة في تفكك الأسر والتوتر والجهد الجسماني والنفسي والضجر والاكتئاب والتمرد وقلة العطاء وحب النفس لتأمين كسب العيش والتي ربما فاقت طاقات الأفراد وتحملهم، وأن هذا الوضع يفقد النازحين دعم المجتمع الأصلي الذي كان يعمل لامتصاص الصدمات الاجتماعية والثقافية والصحية والاقتصادية لأفراده وبالتالي يوفر لهم الحماية ويفي لهم بحاجاتهم، والجدير بالذكر في هذا الصدد أن ظروف عودة النازحين الى المناطق المحررة قد تترتب عليها كثير من الأوضاع الاجتماعية غير السوية مثل الدعارة والإدمان والجنوح[٢٠] الامر الذي ينعكس سلباً على الاستقرار النفسي للأطفال.

وليس هناك من جدل على إنّ اغلب الأطفال في العراق تأثروا بحالة العنف المستشرية على الصعيد النفسي لكن بنسب متفاوتة، إذ نجدها أكثر عند الأطفال في مناطق القتال او النازحين الذين أصبحوا يعانون من قلة النوم والأرق والخوف وضعف في التركيز، فضلاً عن الانعزالية والانطواء التي بدأت تظهر صفة العدوانية، وقد حذر أطباء ووكالات إغاثة دولية من ارتفاع هذه الحالات التي تمتد آثارها لسنوات وسط المجتمع، وناشدوا الجميع حماية الأطفال في العراق من كل ما يؤثر عليهم سلبياً من الناحية النفسية والجسدية، منطلقين من وخامة تداعيات الصدمة والأزمة النفسية التي يصاب الأطفال بها أثناء الحرب والنزوح، كونها ستؤثر على نموهم وتنعكس على شخصيتهم وسلوكياتهم وربما تدوم لسنوات طويلة، ولقد حذرت المنظمة الدولية " أطفال ضحايا الحروب " في لندن من "كارثة إنسانية لأطفال العراق الذين يواجهون وضعا أسوأ مما كان عليه الحال إبان العقوبات، وهم يعانون من العنف ومن الأزمة المدنية والاجتماعية". وأوضحت جو بيكر- مديرة المنظمة - في ١٣ مايو/أيار ٢٠٠٤ "إن كل طفل في العراق يعاني من صدمة نفسية على مستوى أو آخر"[٢١]. وبشكل عام يمكن القول ان البيئة الاجتماعية في المناطق المحررة لها تأثيرات كبيرة على حياة الطفل، وغالباً ما تكون هذه التأثيرات سلبية على مختلف المستويات والجوانب لاسيما الاجتماعية والنفسية الامر الذي يستدعي تكثيف الجهد الرسمي وغير الرسمي لاحتواء التأثيرات

السلبية للبيئة الاجتماعية على الاطفال النازحين، وقد يكون من الضروري هنا الاستعانة بعدد من برامج التأهيل الاجتماعي والنفسي للأطفال التي طبقت في عدد من الدول التي تعرضت لازمات وظروف مشابهة لما مر به العراق، وقد يكون من الضروري الافادة من معطيات البيئة الاجتماعية ذاتها بما فيها من موارد بشرية قادرة على القيام بعملية التأهيل او ابتكار برامج جديدة تنسجم مع قدرات الاطفال ومع وضعهم الاجتماعي والنفسي.

مشكلات الاطفال التربوية والتعليمية:

لقد نصت المادة (٣٢) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ على ان التعليم مجاني وهو حق لكل المواطنين العراقيين في مختلف مراحله، فيما نصت المادة (٢٨) من اتفاقية حقوق الطفل على ان تعترف الدول الاطراف بحق الطفل في التعليم، وتحقيقاً لهذا الاعمال الكامل لهذا الحق تدريجياً وعلى اساس تكافؤ الفرص تقوم بجعل التعليم متاحاً للجميع، فيما اكدت المواد اللاحقة وهي (٢٩،٣٠،٣١) على الجوانب الاخرى ذات العلاقة بحق الطفل في التعليم *، وعلى وفق ذلك يعد الالتحاق ببرامج التعلم في فترة ما قبل المدرسة من خلال التعلم المنظم او برامج تعليم الاطفال من الاهمية بمكان من اجل اعداد الاطفال للمدرسة، وفي هذا الصدد تضمنت الاهداف الاساسية لبرنامج (عالم ملائم للأطفال) الدعوة الى التعليم المبكر للأطفال، كما تعد الاتاحة الشاملة للتعليم الابتدائي وتوفير هذا النوع من التعليم لأطفال العالم من الاهداف الانمائية للألفية (MDGs)، كما يعد التعليم مطلباً حيوياً لمحاربة الفقر ولحماية الاطفال من الاثار القاسية من حيث استغلالهم في العمل والاستغلال الجنسي[٢٢]، لكن على ما يبدو ان هدف شمولية التعليم بين افراد المجتمع العراقي لاسيما بين الاطفال لا يزال هدف بعيد المنال في ظل الظروف غير المستقرة التي يعيشها المجتمع.

فلقد أظهر المسح الذي اجرته الحكومة العراقية بدعم من اليونيسيف عام ٢٠٠٦ انه في عام ٢٠٠٥ وحتى قبل تفاقم موجات العنف والنزوح كان واحد بين كل ستة اطفال غير مواظب على الدراسة الابتدائية، كما اشارت التقارير المحلية الى انخفاض معدلات المواظبة في المدارس في العديد من المناطق بسبب تصاعد العنف وغياب الأمن والعمليات العسكرية والتهديد بالهجمات المباشرة على المدارس والمدرسين، ولقد اضاف النزوح عبئاً اضافياً كبيراً على نظام التعليم في العراق، إذ ان اكثر من ٢٢٠,٠٠٠ طفل في سن الدراسة فروا مع عائلاتهم خارج منازلهم منذ بداية عام ٢٠٠٦، وان الكثير منهم لم يتمكن في البداية من الذهاب الى المدرسة في مناطقهم الجديدة لعدم وضوح تعليمات الانتقال بين المدارس بعد منتصف العام الدراسي آنذاك، ولاشك ان هؤلاء الطلاب قد خسروا شهورا من التعليم[٢٣]، ومن الواضح ان هذه الظاهرة مازالت مستمرة لاسيما بعد الاحداث الاخيرة في العراق منتصف عام ٢٠١٤ التي كان من نتائجها نزوح ما يقارب مليون طفل بحسب تقديرات اليونيسيف، فضلاً عن التسرب الدراسي لأعداد كبيرة من التلاميذ في مناطق نفوذ داعش او خضوعهم لبرامج ومناهج تربوية وتعليمية تتبنى الكراهية والتطرف والعنف، ولعل هذا الامر هو اكبر تحدي تواجهه السياسات والبرامج التوعوية او الجهات المسؤولة عن حماية الطفولة في العراق، ومن الضروري هنا

الاستعانة بخبرات المنظمات والهيئات الدولية ذات العلاقة بقضايا الطفولة لاسيما اليونسيف واليونسكو من اجل تجاوز عقبة المشكلات التربوية والتعليمية التي تعترض عملية تعليم الاطفال في المناطق المحررة.

لقد سعت الدولة في الاعوام الاخيرة الى تحقيق هدف التعليم الشامل لأفراد المجتمع بصورة متساوية، وركزت على إتاحة الفرص التعليمية بشكل متكافئ من خلال التوسع في بناء المدارس من اجل ان تستوعب جميع التلاميذ في سن الدراسة، كما عملت على تحديث النظام التعليمي وضمان كفاءته عبر اصلاح المدارس وتأهيلها للطلاب ورفع القدرات المهنية والعلمية للمعلمين وتطوير المناهج التعليمية، فضلاً عن الاهتمام بالمتفوقين وضمان اتاحة الفرص العادلة لكلا الجنسين، ولكن مع ذلك وبحسب بيانات وزارة التربية تبين ان هناك ارتفاع في مستوى الرسوب بين تلاميذ المرحلة الابتدائية لاسيما بين الاناث، وعلى ما يبدو ان مشكلة النزوح وتراجع الوضع الاقتصادي وعدم توافر المدارس للنازحين بالمستوى المطلوب كانت عوامل مؤثرة في هذا الصدد، اذ ان بعض المدارس لجات الى ايواء الاسر النازحة في مبانيها مما اضطر بعض ادارات المدارس استيعاب طلاب اكثر من طاقتها، مما اثر سلبا على معدلات النجاح العام وادى الى عدم الاهتمام بالدراسة و الى ارتفاع في نسب الرسوب لتكون ١٧,٨ ٪ للعام الدراسي ٢٠١٣-٢٠١٤ بعد ان كانت ١٢,٤٪. كما اثرت الازمات على معدلات الالتحاق في التعليم الابتدائي للنازحين فبلغت ٢٣,٠ ٪ من النازحين خارج التعليم، اما في المرحلة المتوسطة فقد بلغت ٤١,٤ ٪ وتتسع النسبة في معدلات عدم الالتحاق بالتعليم الاعدادي لتصل ٥٩,٦٪ بحسب بيانات المسح الوطني للنازحين[٢٤] لعام ٢٠١٤.

لقد تمكنت اليونيسيف في مناسبات عدة من دعم جهود وزارة التربية العراقية لتحسين مستوى التعليم وتوفير فرصة افضل للأطفال النازحين، اذ اصبحت تعليمات الانتقال والتسجيل في المدارس بالنسبة للأطفال النازحين مع مرور الوقت اكثر وضوحاً، وتم تخصيص اعداد كافية من المدرسين لتخفيف العبء على المدارس المكتظة بالطلاب. كما اسهمت اليونيسيف وشركاؤها في إعادة تأهيل البنى التحتية التعليمية المهدمة وبناء غرف دراسية اضافية ومرافق للمياه والإصحاح البيئي في المدارس وتم تدريب المعلمين ايضاً لتقديم الدعم النفسي الاجتماعي للعديد من الأطفال الذين تأثروا بفعل التوتر وفقد الأشخاص المقربين، وبالتعاون مع المجتمعات المحلية، تمكنت اليونيسيف لأول مرة في العراق من إعداد منهاج تعليمي منزلي للأطفال الذين أُجبروا على المكوث في بيوتهم لفترات طويلة بسبب النزوح او غياب الأمن بالإضافة الى ٢٠,٠٠٠ طفل تسربوا من الدراسة حيث تم تسجيلهم في مدارس خاصة لبرنامج التعليم المسرع لمساعدتهم على إكمال تعليمهم[٢٥]، ومع ذلك فان امام الدولة بمؤسساتها كافة فضلاً عن المنظمات غير الحكومية اجراءات وخطوات كثيرة في هذا المجال لعل اهمها تخصيص توفير مستلزمات التعليم عن طريق زيادة التخصيصات المالية لبناء المدارس المدمرة واعادة تأهيلها، ولابأس هنا من الاستعانة بجهود الدول الصديقة ومطالبتها بتقديم المشورة والمساعدات المادية والمالية للتأهيل البنى التحتية للمؤسسات التعليمية، ومن

الضـروري ايضاً الافادة من وسـائل الاتصال بمختلف صورها لتفعيل الجانب التوعوي بشأن التحـاق التلاميـذ والطلبة بمدارسـهم لتعويض سـنوات الهـدر والضياع تحت سـيطرة تنظيم داعش، مع الاخذ بالحسـبان تسـريع التعليم في بعـض مجالاته وموضوعاتـه، ومن الخطوات المهمـة هنا ايضاً تعبئة الجهـود الاهلية لتوفير مختلـف صور الدعـم اللازم لسـكان المناطق المحـررة مع التركيز على العوائل النازحة من هـذه المناطق بعـد عودتها، ومـن الاجراءات المهمـة الاخرى هـي ضرورة تبنـي خطوات تربويـة وتعليميـة مـن شـأنها التركيـز على التأهيـل والدعم النفسـي والمجتمعـي للتلاميذ عبر تخصيص اوقـات محددة لتطوير مهارات التلاميذ وتشجيع روح المنافسة العلمية والعملية في مختلف مجالات الحياة لاسيما الجوانب ذات البعـد المهاري مع ضـرورة اشـراك الاهالي في هذا المجال لتوفير الارضية المناسـبة التي تسـهم في اعادة الثقة والحياة المجتمعية السليمة والمنتجـة فيمـا بين ابنـاء المناطـق المحررة وبينهم وبين ابناء بقية مناطق العراق.

بشـكل عام يبدو ان الانعكاسـات السـلبية المترتبـة عن النـزوح والحرب علـى العملية التعليمية والتربوية للطفل سـوف تسـتمر لفترة غيـر معلومـة من الزمـن، وسـتبقى في جميع الاحـوال مؤثـرة بدرجـة كبيرة على مسـتقبل الموارد البشـرية وعلى العملية التنموية بشكل عام وعلى مستقبل الطفولة في العراق على وجه التحديـد، وعلى الرغم من كل ذلك سـيبقى هذا الامـر رهين الجهود المجتمعية التي تسـتهدف تجاوز الصعوبـات والتحديات التي تقف بوجه استمرار مسيرة التربية والعلم في العراق.

الهوامش

(١) د. أحمـد زكـي بـدوي، معجم مصطلحـات العلوم الاجتماعيـة، مكتبـة لبنـان، بيـروت، ١٩٧٧، ص٣٢٧.

(٢) د. معـن خليل عمـر، د. عبد اللطيف عبـد الحميد، المشـكلات الاجتماعيـة، مطابـع التعليـم العالـي، الموصل، ١٩٩١، ص ١٧.

(٣) د. محمـد عاطـف غيـث، المشـاكل الاجتماعيـة والسـلوك الانحرافي، مطابع رويال، الاسـكندرية، ١٩٦٥، ص ١٤.

(٤) ابـن منظـور، لسـان العـرب، ج ١٥، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،١٩٥٦، ص ٥٩٩.

(٥) الامم المتحدة، اتفاقية حقوق الطفل، المادة ١، ص٨.

(٦) د. موسى نجيب موسى معوض، الشبكة المعلوماتية، رابط الموضوع:

http://www.alukah.netsocial/0/44786/#ixzz3CMgqYIeF

(7) Central Organization for Statistic and Information Technology , Kurdistan Region Statistic Organization and The World Bank , Iraq Household Socio-Economic Survey (IHSES) 2007, P.40.

نقـلاً عـن اللجنـة الوطنية للسياسـات السـكانية، حالة سـكان العـراق ٢٠١٠، التقريـر الوطنـي الاول حـول حالة السـكان في اطـار توصيـات مؤتمر القاهرة للسـكان والأهداف الانمائية للألفية، شباط ٢٠١١، ص ١٥.

(٨) اللجنة الوطنية للسياسـات السكانية، المصدر السابق نفسه، ص ١٥.

(٩) الدكتـور عبـد تركمانـي، انتهاكات حقـوق الطفل العراقي في ظل الاحتلال: المظاهر والنتائج، الشبكة المعلوماتية، الموقع:

http://www.mokarabat.com/s839.htm

*لقـد تم تأجيـل المرحلة الثالثة من التعداد العام للسـكان والمسـاكن عام ٢٠١٠ (مرحلة عد السكان) بسبب عدم التوصل لتوافق سياسي.

http://www.unicef.org/arabic/media/24327_46557.html

* ينظـر الامم المتحـدة، اتفاقية حقـوق الطفل، المادة ٢٤ ـ ٢٥.

(١٠) د. عبد الله تركماني مصدر سابق.

(١١) وزارة التخطيـط والتعاون الانمائـي في العراق، تحليـل الامن الغذائي والفئات الهشـة فـي العراق، ٢٠٠٥، ص١٨.

(١٢) وزارة التخطيـط والتعاون الانمائـي في العراق، مسـح الاحوال المعيشـية في العراق، ٢٠٠٤، ص ٧٧.

* ينظـر د. مهدي محسـن العلاق وآخـرون، هل يحقق العراق ومحافظاته الاهداف الانمائية للألفية بحلول عـام ٢٠١٥، وزارة التخطيـط العراقيـة، الجهـاز المركزي للإحصاء، ٢٠١٢، ص ١٩.

(١٣) اللجنة الوطنية للسياسـات السـكانية، حالة سـكان العراق ٢٠١٠، مصدر سابق، ص ٤٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٧١.

(١٥) مهـا رحيم سـالم، واقع حقوق الطفـل في العراق مع التركيز على الحقوق الصحية والتعليمية: دراسة ميدانية في مدينة بغداد، رسـالة ماجسـتير، قسم علم الاجتماع، كليـة الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠ (غير منشورة)، ص ١٨٣.

(١٦) اللجنة الوطنية للسياسـات السـكانية، حالة سـكان العراق ٢٠١٠، مصدر سابق، ص ٧٥.

* ينظر الامم المتحدة، اتفاقية حقوق الطفل، ص ٣٩.

* المصدر السابق نفسه، ص ٣١.

(١٧) الجهـاز المركـزي للإحصاء، الاهـداف الانمائية للألفية في العراق لسـنة ٢٠١٤ ونظرة لما بعد عام ٢٠١٥، وزارة التخطيط، ٢٠١٦، ص ٢٥-٢٦.

(١٨) موقع اليونيسـيف، الاستغلال الجنسي للأطفال في مختلف انحاء العالم، الشبكة المعلوماتية

http://www.unicef.org/arabic/media/24327_46557.html

(١٩) النـزوح نتيجـة للحـروب أو المجاعـات غالبا ما تصاحبه مجموعة من الخبرات غير السارة، الشبكة المعلوماتية، الموقع

http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=235

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) د. عبد الله تركماني، مصدر سابق.

* ينظر الامم المتحدة، اتفاقية حقوق الطفل، ص ٢٧-٣٠.

(٢٢) وزارة التخطيط بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة (اليونيسـيف)، العـراق، مراقبـة اوضـاع الاطفال والنساء، المسح العنقودي متعدد المؤشرات، الملحق الاول: التقرير النهائي، ٢٠٠٦، ص ٥٧.

(٢٣) مذكـرة إعلاميـة ، أَطفـال العـراق يعـودون الى المدرسة في اجواء يسودها الخوف والأمل ، الشبكة المعلوماتية ، موقع اليونيسيف ،

http://www.unicef.org/arabic/media/24327_46557.html

في ٢٠١٤/٩/١٢ .

(٢٤) الجهـاز المركـزي للإحصاء، الاهـداف الانمائية للألفية في العراق لسـنة ٢٠١٤ ونظرة لما بعد عام ٢٠١٥، مصدر سابق ، ص ١٧ .

(٢٥) مذكرة اعلامية ، مصدر سابق .

Challanges of social Enviroment of the Librated Areas: Childhood Problems AsAModel

Prof. Dr. Salam A. Ali

Abstract

Iraq had withnessed lots of wars for a long time which affect led to serious effects on childhood specially in liberated areas from da·ash.

It·s obviously that child enviroment at those areas will confront lots of social problems and callanges, the most important one is healthy problems which come out becaus of the bullution and damages caused by war which led to spread serious diseases among those children at such circumstances. Inaddition to that, there is the negative affects of the social enivroment which are not less seriuos than the health ones. It seems that readjustment under such social circumstanses will be the most porminent obstacl Face children at those liberated areas.

On the level of psychelogical effects of war, Undoubtly, violance conditions affects most children wether at struggle areas or displaced children who suffered Fears, lock of concentration isolationism and introversion.

On educational level, children at liberated aveas suffer more problems on different levels compared with the main goals of (world fit for children) programne which put early educating at children as a priorty as wellas the goals ofMillennium Development Goals (MDGs). This situation demand taking quick procedures to bring those children back to schools and afferd suitable educational envirment to achieve this goal.

To protect children of the liberated areas, some procedures shuld be taken, ministry of health with its institutions should afford health care and services necessary to contain the tragic conditions of those children as well as getting help of specilized health national and interntional orginazations. And the helped Media organizations to play in active role in speading awareness among liberaated areas people to re construct the social relation ships among then to achieve peace taking in consideration intensifying offical efforts to contain the negative effects of the social enivroment on displaced children through social and psychological rehabitilation program which had applied on similar circunstances of Iraq.

تمكين المرأة من صناعة القرار على ضوء نظرية عالم الاجتماع تالكوت پارسنز

(مقاربة نظرية)

أ.د. رجاء محمد قاسم(*)

الملخص

بما ان قضية المرأة تشكل احد المتغيرات المهمه في النسيج المجتمعي، وان تمكينها ولا سيما في صناعة القرار، يعد من الموضوعات البارزة والمهمة التي تُعنى بها المجتمعات في الوقت الحاضر، ولما كان للنظرية الاجتماعية رأي في هذا المجال ولعل ابرزها نظرية الفعل الاجتماعي لعالم الاجتماع تالكوت پارسنز، لذلك حاولت هذه الدراسة اجراء مقاربة نظرية بين انساق الفعل الاجتماعي ووظائفها للعالم المذكور وبين مستويات تمكين المرأة من صناعة القرار بهدف توجيه الانتباه نحو ضرورة احداث التغيير في الواقع الاجتماعي نحو الشكل الذي يعزز المساواة بين المرأة والرجل ويحقق التكامل الاجتماعي بينهما في المجتمع. ولكي تحقق الدراسة هدفها هذا فقد تناولت فيها: اربعة محاور بالإضافة الى التمهيد والخاتمة، جاء في المحور الاول عرض لبعض المفاهيم كالتمكين و النظرية والقرار وصناعة القرار, وفي المحور الثاني استعراض لنظرية الفعل الاجتماعي لعالم الاجتماع پارسنز, اما المحور الثالث فتضمن مفهوم التمكين ومداخله وعناصره فضلًا عن مستوياته, وجاء في المحور الرابع مقاربة نظرية بين انساق الفعل الاجتماعي ووظائفها للعالم المذكور وبين مستويات تمكين المرأة من صناعة القرار مع رسم توضيحي لهذه المقاربة النظرية، واختتمت الدراسة بالإشارة الى ان واقع المرأة في مجتمعنا العراقي في ظل الأوضاع الراهنة والظروف الاجتماعية المعاصرة والنظم والافكار الايديولوجية السائدة فضلاً عن الوقائع الذاتية النسوية مازالت من دون استيفاء كامل متطلبات التمكين.

(*) كلية التربية للبنات / جامعة بغداد.

تمهيد

تشكل قضية المرأة احد المتغيرات المهمة في النسيج المجتمعي, ولذلك فان تمكينها ولاسيما في صناعة القرار يعد من ابرز الموضوعات التي تعنى بها المجتمعات في الوقت الحاضر, وهذا ما جعل هذا الموضوع مشحون بقدر من الحساسية والعاطفية ويشيع بين انصاره ومعارضيه التوتر والتعنت والضدية وهي ردود فعل يمكن استيعابها وتبريرها على اعتبارها تخص مشاعر نصف بني الانسان وهم (الاناث) حيث انهن لا يتمتعن بما يحق لهن من حقوق وامتيازات في المجتمع، وهذا ما حجم من قدرهن في الحياة ومن فرص اثبات قدراتهن وامكانياتهن.

ان تناولنا هذا الموضوع والمشاركة في الجدلية حوله بتبرير انها الوسيلة المناسبة لتوجيه الانتباه نحو ضرورة احداث التغيير في الواقع الاجتماعي نحو الصورة التي تحقق التكامل بين دوري الرجل والمرأة في الحياة, وهي الحالة التي لابد من ادراكها لتحقيق الهوية الحقيقية والطبيعية لكل منها بكل ما تحمله هذه الهوية من طاقات وامكانيات.

وعموماً فان تاريخ الانسانية يؤكد على سيطرة الرجل في انجازاته المختلفة وفي جميع مجالات الحياة بالمقارنة مع انجازات المرأة، وراح الكثيرون من الرجال عبر العصور المختلفة وحتى الوقت الحاضر تبرير تحديد دور المرأة في المجتمع بالاستناد الى طبيعتها البيولوجية والفسيولوجية مع خصائصها النفسية على الرغم من انه ليس هناك ما يبرهن على وجود اية فروق او اختلافات جوهرية ما بين امكانيات و قدرات وطاقات كل من الذكر و الانثى، فضلاً عن ذلك فان الاخذ بمبدأ المساوات بين الجنسين في الحقوق

الواجبات هو مبدأ اخلاقي و قانوني وينتج عن مبدأ التكامل الحياتي بينهما غير انه مشروط بعدم التجاوز الى حد التماثل بين الجنسين لأنه في هذه الحالة لا يتحقق التكامل الذي يعد الاساس في طبيعة الخلق.

ولأدراك هذه الحقيقة لابد ان توجه الانثى نحو الانشطة الحياتية التي تحقق عملية التكامل, وبذلك نتوصل الى ان اتخاذ المرأة للأدوار المناسبة لها في الحياة والتي تتلاءم مع طبيعتها وامكانياتها وممارستها للقرارات اللازمة لمثل هذه المواقع هو امر ضروري ومن شأنهان يعطي للمرأة فرصا اعظم لإظهار امكانياتها وقدراتها، كذلك من شأنه ان يزيد من قدرة الرجل وقيمته وان يغني الحضارة بما فاتها من افعال الانثى حتى يومنا هذا.

وبنفس السياق فان عملية تمكين المرأة من صناعة القرار في مواقع الحياة المختلفة و لاسيما المواقع المتقدمة في اجهزة الدولة المختلفة، لابد وان تكون تدريجية و عن طريق الاعداد العقلاني لمثل هذه العملية ويتم ذلك من خلال تثقيف المجتمع حول اهمية دور المرأة في الحياة الانسانية وسن التشريعات القانونية التي تضمن حقوق المرأة ومراعاة مبدأ مساواتها مع الرجل واعتماد السياسات العملية التي يجب ان تتبناها الدولة من اجل توفير الفرص الكافية للمرأة لتحقيق امكانياتها, فضلا عما تقدم فان توجه المرأة نحو ممارستها للدور المتكافئ والمتكامل مع الرجل في المجتمع لابد وان يتركز على انطلاق المرأة في الفعل الحياتي من خصائصها الأنثوية الفريدة وهي

الخصائـص التـي توفر لهـا الفرصـة لتحقيق قدراتهـا وبالتالي تمكينها من اتخاذ قراراتها في معظـم مجالات الحياة ولاسـيما المجالات التي اعتبرت تقليديا خاصة للرجال.

وهكذا نتوصل في موضوع صناعة القرار الى الضرورة في تعزيز المساواة بين الجنسين وتحقيق التكامل الاجتماعي بينهما. وبقدر تعلق الموضـوع بالنظريـة الاجتماعيـة و نظرتهـا للقـرار وصناعتـه, فقـد ورد فـي العديـد من البحوث والدراسـات ان لعلمـاء الاجتماع رأي فـي هذا المجال مـن حيث انهم نظـروا للقرار على انه فعل اجتماعي قابل للدراسـة والتحليل وان صناعـة القرار عملية مـن عمليات التفكير الانسـاني وخطوة اولية نحو تنفيذ الفعل كسلوك بشري، وبمعنى اخر هو خضوع عملية صناعة القرار في صيرورتها الى آليات عمليتي التفكير الانساني والفعل الإنساني، وإزاء هذا فقد حاولت الدراسـة تناول أبرز هذه النظريات ذات العلاقة ألا وهـي الخاصـة بعالـم الاجتمـاع الامريكي تالكـوت بارسـنز الـذي عرَّف صناعـة القرار على أنها عملية ترتبـط بموقف ما من مدخلات ومخرجات، فضلًا عن عمليات التفاعل بينهما، بمعنـى أن عمليـة صنع القرار تتمثـل بالمقدرة المهنية والتقنية لصانـع القرار وفي قدرته على تحديد المشكلة وجمع البيانات والمعلومات ذات العلاقة بهذه المشكلة وتصنيفها، فضلًا عن وضع البدائـل وتحليلهـا وتقويمها تمهيـدًا لقيام صانع القـرار باختيار أنسـبها لموقف القـرار، وبذلك تتجلى في عملية صنع القرار الخصائص العملية والمهنيـة لصانعي القـرارات وخبرتهم العملية والعلمية وابداعاتهم الشخصية في بناء وصياغة القرارات.

بغيـة الإلمام بـكل جوانـب الموضوع فقد احتـوت الدراسـة على أربعة محاور أساسـية بالإضافـة إلـى التمهيـد والخاتمـة، جـاء في محورهـا الأول عـرض لبعـض المفاهيـم والمصطلحـات العلميـة مثل مفهـوم التمكين، ومفهوم القرار وصناعة القرار، وكذلك مفهوم النظريـة، وتضمن المحور الثاني اسـتعراض بسـيط لنظرية الفعل الاجتماعي لپارسـنز من حيث تعريف الفعل الاجتماعي وتبيان أنسـاقه ووظائفه والعناصر الاساسية التي ترتكز عليها نظريـة بارسـنز في بنـاء الفعـل الاجتماعي، وأما المحور الثالث فقد احتوى مداخل التمكين وعناصره فضلًا عن مستوياته، وأخيرًا قدمت الدراسة في محورها الرابع مقاربة نظرية بين انسـاق الفعـل الاجتماعي ووظائفها لپارسـنز وبيـن مسـتويات تمكيـن المرأة مـن صناعة القرار واختتمـت بقائمة للمصادر المعتمدة في البحث.

المحور الأول:
تعريف مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها العلمية

أولًا: التمكين (Empowerment)

يدل لفظ التمكين في اللغة العربية على القوة والتقويـة والتعزيز، ويقال (مكَّن من الشـيء) بمعنـى جعل له عليه سـلطانًا وقدرة، والتمكين ينبثق من رحم التنمية بوصفه طريقة وممارسة وبذلك فان العلاقة بيـن التمكين والتنمية علاقه قوية[1].

ثانيًا: النظرية (Theury)

حسـب المنظـور العلمي الحديـث هي بناء فكـري منسـق يتـم التوصـل إليه عـن طريق

الاستيعاب التصوري الناضج والذي يحتوي على طائفة أو مجموعة من القوانين المتصلة بتكرارات موجودة في بعض الاشياء أو الاحداث المنظورة أو المدركة عن طريق الفكر العقلاني[٢].

كذلك تعرف النظرية على أنها مجموعة من العلاقات التي تفسر ظواهر التفاعل في إحدى مجالات الانشطة التي يمارسها الإنسان الفرد والجماعات والمجتمع بوجه عام في إطار ظواهر التفاعل الفيزيقي والاجتماعي داخل البيئة الاجتماعية، وتعبّر عن مجموعة المعايير والايديولوجيات والقيم التي تتمثلها هذه البيئة لتفسير ما يحدث داخلها[٣].

ثالثًا: القرار وصناعة القرار

عرَّف قاموس وبستر (Webster) القرار على أنه تنفيذ ما فكر فيه الشخص وأنه التصميم، وفي معنى آخر انه الحكم. وقد عرَّف تالكوت بارسنز صناعة القرار على أنها عملية ترتبط بموقف ما من مدخلات ومخرجات، فضلًا عن عمليات التفاعل بينهما، بمعنى أن عملية صنع القرار تتمثل بالمقدرة المهنية والتقنية لصانع القرار وعلى قدرته على تحديد المشكلة وعلى عملية جمع البيانات التي لها علاقة بالمشكلة وترتيبها وتصنيفها، فضلًا عن عملية وضع البدائل وتطويرها وتحليلها وتقويمها تمهيدًا لقيام صانع القرار باختيار انسبها وأكثرها ملائمة لموقف القرار، وبهذا تتجلى في عملية صنع القرار الخصائص العملية والمهنية لصانعي القرارات وخبراتهم العملية وابداعاتهم الشخصية في بناء وصياغة القرارات[٤].

المحور الثاني:
نظرية الفعل الاجتماعي لعالم الاجتماع تالكوت پارسنز

يعرِّف بارسنز الفعل الاجتماعي بأنه: السلوك البشري الذي توجهه المعاني التي يكونها الفاعل عن العالم الخارجي، والفعل الاجتماعي برأي بارسنز يتطلب توافر شروطًا ثلاثة هي:

أولًا: إدراك الفاعل للبيئة الخارجية، وثانيًا: المشاعر والأفكار والدوافع التي تشكل أفعال الفاعل، وثالثًا: ردود أفعال الآخرين تجاه هذه الأفعال[٥].

إنَّ الفاعل في نظر بارسنز كائن يعيش موقفًا معينًا، ويخضع لمتغيرات ذلك الموقف، وما فعله في الواقع الإ نتاج لإدراكه للإشارات التي يتلقاها من بيئته ويستجيب لها.

يتبين لنا في ضوء نظرية بارسنز أن أفعال الناس ليست عشوائية تحكمها المثيرات الانفعالية أو الصدفة، بل أنها تسير على وفق أنماط منظمة ومقننة، وعلى ذلك فان الفعل البشري يرتبط بمجالين يشكلان نوعين مختلفين من القيود على الفاعل، أولهما: البيئة الفيزيقية كالمناخ والمصادر الطبيعية والتقنيات المتاحة والتركيب البيولوجي للفرد، ومعطيات الوراثة والخصائص المزاجية، وهذا القيد مألوف لدى الكائنات الحية جميعها، ويشكل مجموعة ظروف تعتمد عليها كل الأفعال.

وثانيهما: البيئة الرمزية والثقافية إذ أنها تحدد الأهداف التي لابد من تحقيقها والوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف، وتضع الحدود التي يجب أن لا يتخطاها الفعل وتحدد الاولويات

والاختيارات الممكنة، أما المستوى الثقافي فأنه هو الذي يكسب الفعل البشري خاصية التفرد بين أنواع الأفعال المختلفة، وذلك ان الفعل البشري له طابع معياري رمزي.

خلاصة القول: إنَّ الإطار المرجعي للفعل عند بارسنز يضم القائم بالفعل والوضعية التي يوجد فيها، ثم توجيه القائم بالفعل نحو الوضعية، وهذا التوجيه ينقسم على قسمين، فهو إما توجيه خاص بالدوافع حيث يجهز الطاقة الضرورية للفعل وله علاقة بالحاجات، وإما توجيه خاص بالقيم والذي يتعلق بضرورة اتباع معايير اجتماعية محددة عند القيام بسلوك معين[٦].

العناصر الأساسية التي ترتكز عليها نظرية بارسنز في بناء الفعل

هناك أربعة عناصر أساسية هي[٧]:

١- الفاعل (Actor): هو الشخص الذي يستهدف غاية، فيصطنع وسائل لبلوغ تلك الغاية أو الهدف، وقد يكون الفاعل فردًا أو جماعة أو مجتمع.

٢- الموقف (Situation): يعني الظرف الذي يكون فيه الفاعل ملزمًا لاتخاذ قرار يختار بموجبه بين أدوار يقوم بها من دون أخرى.

ويتكون الموقف من موضوعات فيزيقية واجتماعية يرتبط بها الفاعل، إذ ان الموقف يشتمل على مجموعة من المتغيرات الكامنة وغير الكامنه (ماديه وغير ماديه) وعلى الرموز التي يربط عن طريقها الفاعل بالعناصر المختلفة داخل المواقف وما يحتويه من معاني، وكذلك يضم الموقف على القواعد والمعايير والقيم التي تتحكم في توجيه الفاعل، وأيضًا على الأنماط المتوقعة من السلوك ويرتبط تأثير تلك العوامل الموقفية في تحديد الأهداف وفي اختيار الوسائل المناسبة لتحقيقها.

٣- موجهات الفاعل (Actor Orientation): ان عملية اختيار الشخص لدور دون آخر (ضمن الموقف) يتحدد بموجب توجيهات قد تكون دافعية (أي تلك التي تتحكم بها العوامل النفعية والغائية (utilitarianism) وهي الموجهات التي ترتبط بالثواب والعقاب أو بالاشباع والحرمان الفعليين أو الممكنين لاحتياجات الفاعل)

وقد تكون توجيهات قيمية: أي الموجهات العقلانية (Rationality) أو الموجهات التي تتعلق بالمعايير الثقافية التي تحكم الفاعل وتمثل تأثير التوقعات الاجتماعية على تعريف الفاعل للموقف.

٤- الفعل الاجتماعي (Social action): وهو الوحدات الاساسية في تحليل السلوك البشري ذلك ان تحليل الفعل الاجتماعي يجب ان يتم في ضوء ثنائية (الفعل – الموقف) التي تضم بيئة الفاعل بوصفها جزء من ذلك الموقف وتعني (البيئة الفيزيقية المحيطة بالفاعل مع جهازه العضوي البيولوجي كذلك) مضافًا لذلك هناك الموضوعات الاجتماعية وأخرى الثقافية الرمزية.

وقد انطلق پارسنز في تحليله للفعل الاجتماعي من مفهوم الدور (Role) حيث نظر پارسنز إلى مكونات الأدوار على أنها عناصر ثلاثة هي: التوقعات والجزاءات والمعايير

إنَّ التفاعل الاجتماعي لابد ان يتضمن توقعات متبادلة بين الفاعلين والفاعل آخذين

بنظـر الاعتبار ظروفهـم المشـتركة والعلاقة التي تربطهم، وكذلك المعايير التي تحكم سلوك الفاعليـن والفاعل او يفتـرض ان تحكمه، وأما بخصـوص الجزاءات فإنها تمثـل عنصرًا ثالثًا في عملية التفاعل، ذلك ان الفاعلين والفاعل قد يكافئا أو يعاقبا بعضهما وفقًا لتوافق أي منهم مع التوقعات المتبادلة أو عدم توافقه.

خلاصـة القـول: إن أي فعـل اجتماعـي يمكن أن يخضع للتحليل إلى وحدات سـلوكية، ومـن ترابط هذه الوحـدات المختلفة، أي التقاء الجوانـب الفرديـة والجماعيـة يتكـون الفعـل الاجتماعي وتتشـكل الانسـاق المجتمعية حيث يتجه كل منها نحو تحقيق غاية معينة تسـهم في استمرارية المجتمع.

- انساق الفعل الاجتماعي ووظائفه

النسق (System) بمعناه العام مجموعة من كيانـات (Entities) وعلاقـات (Relation) تربط بيـن تلـك الكيانات، ولمـا كان مصطلح النسـق في علم الاجتماع يسـتخدم للإشارة الى أية وحـدة تنظيمية تؤدي وظيفـة في المجتمع، فـان الفعـل الاجتماعي برأي بارسـنز لابد ان يكـون نسـقًا؛ لأنـه يتضمن كيانـات وعلاقات تربط بين تلك الكيانات.

وعمومًا فـان كل الافعال ينظـر إليها على أنهـا مركب مـن وحـدات السـلوك الصغرى (Unit-acts) وكل وحدة سلوكية تحتوي نفس العناصـر التي يتكـون منها الفعـل الاجتماعي وهي: الفاعل (فرد، جماعة، مجتمع) ثم الهدف ثم الموقف (يضم الوسائل والظروف المحيطة) ثم المعايير. ومن ترابط هذه الوحدات السلوكية المختلفـة يتكـون الفعـل الاجتماعي وتتشـكل الانسـاق الاجتماعية حيث يتجـه كل منها نحو تحقيق غايـة معينة وبالتالي تسـهم في ديمومة المجتمع واستمراريته.

علـى ضوء ما تقدم يشـير بارسـنز إلى ان الفعل الاجتماعي لابد ان يتضمن أربعة انسـاق ترتبط مع بعضها وهي كالآتي[٨]:

١- النسـق العضـوي: وهـي المتغيرات البيولوجيـة والفيزيقيـة للكائـن العضوي مثل غرائـزه ودوافعه وبقيـة العمليـات البيولوجية اللازمة لبقائه حيًا.

٢- نسـق الشـخصية: وهو السـمات او الصفات الخاصة بالفرد مثـل ميوله واتجاهاته واهتماماته وحاجاته.

وهنا نشـير إلى ان ميكانزمـات بناء الكائن العضـوي فيزيقيـة وبيولوجية موروثـة، بينما تكون ميكانزمات بناء الشـخصية ثقافية ونفسية متعلمـة عن طريق تفاعل الفـرد مع الآخرين، ويرتبـط النسـق العضوي بوظيفـة التكيف مع البيئـة مسـخرًا البيئـة لاشـباع حاجاتـه، بينما ترتبط وظيفة نسـق الشـخصية بوظيفة تحقيق الهدف عـن طريق آليات داخليـة تحدد أهداف النسـق وتحدد الموارد والطاقة التي يستخدمها لتحقيق أهدافه.

٣- النسـق الاجتماعي: وهـو عبارة عن شبكة معقدة ومتشـابكة من الروابط والعلاقات الاجتماعيـة بيـن الاشـخاص المتفاعليـن مع بعضهم، وبمعنى آخر أنه نسـق يتفاعل فيه عدد كبير من الاشخاص الموجهين نحو موقف معين بناءً على فهم مشترك لنظام من الرموز الثقافية التي يضمها هذا النسـق، وكما هو معروف ان الحياة الاجتماعية تسـتند في قيامها على وجود

قـدر من الاتفـاق حول بعـض القيـم والافكار المشتركة.

ومن شـروط قيام هذا النسق هو توافر عدد كافٍ مـن الافـراد الذيـن يمثلـون دعائمه، مع حـدوث تفاعـل ديناميكي ومسـتمر بين هؤلاء الاشـخاص وامتـلاك الاعضـاء المتفاعليـن لأنماط ثقافية مشـتركة فـي معناها وفهمها مما يسـهل عملية التفاعل بين الشـخصيات الفردية المختلفـة، أمـا وظيفة هذا النسـق فهي التكامل بغية تحقيـق التضامـن ويولد مصـادر الولاء ويحدد معالم السـلوك ويفـرض الضوابط على هذا السلوك.

٤- **النسـق الثقافي:** وهو عبارة عن نظام مـن الرمـوز المتعلمة والمتطورة المسـتخدمة من الكائنات الانسانية، وهذا يتكون من الافكار والمعتقـدات والقيم والعادات والتقاليد والقوانين والتكنولوجيـا والمعـارف العلميـة، حيث تقوم الكائنات الانسـانية بتنمية وتطويـر هذا النظام ليسـاعدهم فـي اتصـال بعضهم ببعـض وفهم المشـتركات الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقيـة وغيرها من جوانـب الحياة. وعن وظيفـة هذا النسـق فهي الكمـون او المحافظة على النسـق وضبط التوتر، فهو يزود الفاعلين بالدافعية والدعـم اللازمين لافعالهم عن طريق المعايير والقيم والايدولوجيات والمثل العليا.

وهنا لابد من الإشارة إلى أنَّ الانساق الأربعة المذكورة لا تسـهم بالنسـق العام للفعل بطريقة واحدة أو بدرجة واحدة وإنما يتم الاسـتفادة فقط من الاجزاء التي تسـاهم بالأنشـطة في السلوك الذي يشـتمل على معنى معين لذلك النسـق أو الآخر، كذلك تشير إلى أنَّ كل نسق بخصائصه وانشطته المتميزة مستقل عن الانساق الأخرى بالرغم مـن اعتماد بعضها مـع البعض الآخر اعتمـادًا متبادلًا، فكل نسـق يعتمـد على الآخر ويدعم النسـق الآخـر ويكمله، فلا يوجد نسـق متفوق على الانسـاق الأخرى بـل الكل يرتبط بالضرورة مع بعضهم البعض ارتباطًا شـديدًا، فهي برأي بارسـنز انساق تحافظ على حدودها ولكنهـا في نفس الوقت انسـاقًا مفتوحة الحدود وهناك تبادل بين منتجات كل نسق، وهكذا يتبين لنا أن نسـق بارسنز يتسم بالمرونة والتعقيد في الوقت نفسـه، وقد اوضح پارسنز انساق الفعل ووظائفه بالحروف (AGIL).

ـ وظائف انسـاق الفعـل الاجتماعي عند بارسنز

يعرف بارسـنز وظيفة النسـق بانها مركب من الأنشـطة يتجه نحو اشباع حاجة أو حاجات النسـق، وعـن هـذه الحاجـات فانهـا تحتوي مجموعتيـن الأولى: هـي تلك الحاجـات التي تتصـل بعلاقـة النسـق ببيئتـة أي العلاقة بين الجزء والكل، وأما المجموعة الثانية: فان نسق الفعل نفسـه يتكون من وحـدات ترتبط ببعضها البعض عـن طريق عمليتي التبايـن والتكامل، ولكي يستمر النسـق في ادائه الوظيفي ويحافظ علـى اسـتمراره فانه لا بد أن يسـتجيب لهذين النوعين من الحاجات.

وبشـكل عام أكد بارسـنز بأن أي نسق من انسـاق الفعل يجب أن تتوافر فيه أربعة وظائف لكي تشبع الحاجات الأساسية عنده، ونسق الفعل لا يمكن تواجده إلا إذا اشبعت هذه الحاجات ولو جزئيًا. وفيما يلي هذه الوظائف[٩]:

١- التكيّف (Adaptation):

يتكـون التكيّـف عن طريق أخـذ المصادر

المختلفة التي يحتاجها النسـق من انسـاق البيئة بشـكل تبادل للمنتجات التي تنتج داخل النسـق نفسـه ومن ثم إعداد ونقل هذه المصادر لخدمة حاجات النسـق، أما وظيفة النسق فانها تتضمن الأنشـطة التي بواسـطتها يسـتطيع التكيف مع بيئتـه ومع الضوابـط والضـرورات والحدود التي تفرضها هذه البيئة عليه، وكذلك الأنشـطة التي يستطيع النسق عن طريقها أن يكيّف البيئة لاشـباع حاجاتـه وأن يعدل منهـا ويتحكم فيها ويستغلها.

٢- تحقيق الهدف (Gool-Attainment):

تتضمـن هـذه الوظيفة جميـع الافعال التي تعمل علـى تحديد أهـداف النسـق وتتحكم في المـوارد وتسـتغلها مـن أجـل تحقيـق أهداف النسـق ومن ثم تتحقق داخله نوعًا من الاشباع، وأن هـذه القدرة على تحديد الأهداف والسـعي لتحقيقها هي التي تميز انساق الفعل عن غيرها مـن الانسـاق والتي تسـمى بالأنسـاق المادية والمقصود بها الانساق الفيزيقية والبيولوجية.

٣- التكامل (Integration):

يتضمـن مجموعـة مـن الأفعـال الهادفـة إلـى حمايـة النسـق مـن التغييـرات الفجائية والاضطرابـات مـع المحافظـة علـى قدر من التماسـك والتضامن الضـروري لبقائه ولأدائه الوظيفـي، وتجنـب أي مظهـر مـن مظاهـر الاضطراب داخل النسق.

٤- الكمون (Latency):

ويعني أن أي نسـق من انساق الفعل يحتاج إلـى مجموعة مـن وحدات السـلوك التي تزود الفاعلين بالدافعية الضرورية وبصورة مستمرة، وتعد هذه الوظيفة نقطة الالتقاء بين انساق الفعل والعالم الثقافي والرمزي، والمعروف أن العالم الثقافي والرمزي له علاقة بأنسـاق الفعل حيث انه يزودها بالرموز والافكار واشـكال التعبير والاحكام الضرورية لخلـق الدافعية وتوجيهها لدفع الفعل.

وهكذا يتضح مما تقدم ان اسـتخدام بارسنز التمييز بين العلاقات الداخلية والخارجية للنسق والتمييز بين الغايات والوسائل لمعالجة وظائف النسق يمكن ربطهما أو تركيبهما معًا.

رسم توضيحي لانساق الفعل الاجتماعي ووظائفه عند بارسنز

انساق الفعل الاجتماعي

A	النسق العضوي	نسق الشخصية	G
L	نسق الثقافة	النسق الاجتماعي	I

وظائف انساق الفعل الاجتماعي

A	التكيف	تحقيق الهدف	G
L	الكمون	التكامل	I

المحور الثالث:
التمكين ومداخل التمكين ومستوياته

ورد فـي العديد مـن الدراسـات والبحوث بـان التمكين يعني منح القوة، لذلك فان دراسـة مفهوم القوة واستيعابها مهمان وحيويان لدراسة التمكين المنبثق من رحم التنمية ذلك أن العلاقة بين التنمية والتمكين قوية.

وللتمكيـن معـانٍ مختلفـة بـرأي الباحثين حيـث أنها تختلـف باختلاف السـياقات الثقافية

والاجتماعيــة والسياســية، كذلك فــان التمكين يرتبــط بمفاهيم مختلفة مثــل قوة الذات والتحكم وصنع القرار الحر والحرية والوعي والقدرات، مضافًا لما تقدم فان التمكين يمكن ان يكون على المستوى الفردي والجماعي وقد يكون اقتصاديًا أو اجتماعيًا أو سياسيًا ويمكن استخدامه للتعبير عــن العلاقات داخل البيــت الواحد أو بين فئات المجتمــع، وعلــى هذا الاســاس تتعــدد مداخل التمكين وتتشعب وتختلف وجهات النظر بشأن تصنيفاتهــا، غيــر ان هــذه المداخــل المختلفة تشــترك في عناصر أربعة متداخلــة ومتكاملة هي:

أولًا: الوصول إلــى المعلومات (Access to Information)

إذ ان المواطنيــن الذين يعرفون المعلومات اكثر استغلالًا للفرص والوصول إلى الخدمات وممارسة حقوقهم والتفاوض بشكل فعّال.

ثانيًا: الاندماج والمشــاركة (Inclusion and Participation)

إذ ان الوجود الفعلي لمن تشــملهم المشاركة أحــد مداخــل التمكيــن المهمــة؛ لأنها تســاعد على ممارســة الســلطة والتحكم فــي القرارات والمصادر.

ثالثًا: المساءلة (Accountability)

وتشــير إلى القدرة على محاسبة المسؤولين وشرح سياســاتهم وأدائهم وينتشر الفساد لسوء اســتخدام المنصب العام للمصلحة الشــخصية، بينمــا الاقــل تمكينًــا فــي فــرص الوصــول إلــى المســؤولين والأقــل تمكينًا في اســتخدام الاتصالات للحصول على الخدمات.

رابعًا: قدرة التنظيمــات المحليه (Local organizational capacity)

وتشــير إلــى القــدرة علــى اشــتغال الناس معًا وتنظيم انفســهم وتعبئــة المصادر لمواجهة المشــكلات ذات الاهتمــام المشــترك، وتعــد هذه القدرة مؤشــرًا أساســيًا لفعاليــة التنظيمات والجمعيات والاتحادات والحركات الاجتماعية ولا سيما للنساء الاقل فرصا والاكثر حرمانًا.

وعلــى ضوء مــا تقدم فــان التمكيــن عملية اجتماعية تعني تعزيز القــدرات والارتقاء بواقع الانســان (الرجــل أو المــرأة) لمعرفــة حقــوق وواجبــات كل منهمــا وتوفيــر الوســائل الثقافية والتعليميــة والماديــة والمعنويــة لتمكينهمــا من المشــاركة في اتخاذ القرار على مســتوى الحياة العامة.

وأمــا بخصــوص تمكين المــرأة فأنه يعني فتــح نوافذ وعي جديد عن ذاتها وتهيئة المجتمع لخلــق تصورات جديــدة عن أدوارهــا، بمعنى أن التمكيــن يمثــل عنصــرًا مهمًــا فــي الرؤية الاســتراتيجية الهادفة إلــى التأثير الايجابي في منــزلات المرأة وأدوارها علــى نحو يحقق لها مســتوى افضــل من المســاواة وفرصًا أوســع للاختيار والتمتع بالحقوق الانسانية، وهذا يعني ان مفهــوم التمكين يتجــاوز المعانــي التقليدية للتدريب كما يتجاوز المؤشرات الفنية لاكتساب خبرة معينة ليصبح نوعًا من إعادة التنشئة[١٠].

خلاصــة القول: ان مفهوم التمكين اجراءات فنية وعملية تغيير تقوم على التكافؤ والمســاواة بكل ابعادها القيمية والفنية والقانونية، بمعنى آخر هو عملية مركبة ذات ابعاد مهنية واخرى نفسية واجتماعيــة ذات منظــور ثقافي مضاد للتهميش والقهــر والتمييــز، ومن ابعاده بنــاء وعي ذاتي

بالقـدرة على الانجاز وبنـاء الوعي الاجتماعي بقدرة المرأة على الانجاز والانتاج والمشـاركة قاعدتها المسـاواة في الحقوق والواجبات خارج نطاق التمييز مهما كانت المبررات.

مستويات التمكين: وهي خمسة مستويات كالآتي:

المسـتوى الأول: ويحتـوي الخدمـات الاساسية المتمثلة بالخدمات التعليمية والصحية ومسـتوى تأمين الحاجـات الغذائية ومسـتوى الدخل المتحقق.

المسـتوى الثانـي: ويتمثـل في سـهولة الحصول على الموارد التنموية ووسائل الانتاج المتوافرة في المجتمع مثل الارض، القروض، العمالـة، الخدمات، وممارسـة الاعمـال كافة لكسب مزيد من الفرص للحصول على النصيب العادل من الموارد المختلفة سواء على مستوى الاسرة أو المجتمع.

المستوى الثالث: ويتضمن عملية الإدراك والوعي في التمكين، ويعني التصدي للمعتقدات والممارسـات السـابقة مع اسـبابها ومشـاكلها الناتجة عن النظام الاجتماعي القائم.

المسـتوى الرابع: ويشمل المشـاركة في عملية تحديد الاحتياجات، وتعريف المشكلة مع تخطيط المشروع والادارة والتنفيذ مع المتابعة والتقييـم والانضمام إلى المجتمع ومشـروعاته والمشاركة في صنع القرار.

المسـتوى الخامـس: ويتضمـن التحكم، بمعنى تـوازن القوى بين المـرأة والرجل، فلا يهيمن أحدهما على الآخر. مما يؤدي إلى بروز الفجوة من عدم المسـاواة فـي القوة الاجتماعية والاقتصادية بينهما.

المحور الرابع:
مقاربة نظرية بين انساق الفعل الاجتماعي ووظائفها لبارسنز وبين مستويات تمكين المرأة من صناعة القرار

أنساق الفعل الاجتماعي	وظائف أنساق الفعل الاجتماعي	مستويات تمكين المرأة
النسق الثقافي	المحافظة على النسق (الكمون)	التحكم والمشاركة (control)
النسق الاجتماعي	التكامل	الإدراك والوعي
نسق الشخصية	تحقيق الهدف	سهولة الحصول على الموارد
نسق الكائن العضوي	التكيف	الحاجات الاساسية

رسـم توضيحي يبيـن مقاربـة نظرية بين انسـاق الفعـل الاجتماعـي ووظائفهـا لعالـم الاجتماع بارسـنز وبين مستويات تمكين المرأة من صناعة القرار

يرى عالم الاجتماع بارسـنز أن الفرد ليس حرًا فـي أفعاله وسـلوكياته على وفـق اهوائه ورغباتـه، بـل هنـاك الكثيـر مـن المتغيرات والظـروف التـي تتوسـط بيـن دوافـع الفـرد ومخرجـات سـلوكه لتكون عناصـر فاعلة في تشـكيل نسـق للفعل وتقرير طبيعة سلوك الفرد وأفعاله إلى حد ما.

وكمـا هو مبين في الرسـم التوضيحي آنفًا حيـث تم اجـراء مقاربة نظرية ما بين انسـاق الفعـل الاجتماعـي ووظائفهـا للعالم بارسـنز

وبين مستويات تمكين المرأة من صناعة القرار. وبمعنى آخر اجراء مقاربة نظرية بين القرار وصناعة القرار واتخاذه بوصفه فعلًا اجتماعيًا وبما أن هذا الفعل يصنع وفقًا لعدد من المتغيرات والعوامل لذا لابد وان يكون نسقًا وبين مستويات التمكين ولا سيما تمكين المرأة بالذات والمتضمنة **أربعة مستويات** هي:

الحاجات الأساسية، سهولة الحصول على الموارد، الوعي والادراك وبعدها المشاركة والتحكم. وبتطبيق نظرية الفعل الاجتماعي لپارسنز وكما هو مذكور آنفًا يتضح الآتي:

١- إنَّ النسق العضوي يرتبط بوظيفة التكيف وعن طريق تكيف النسق مع البيئة، ويسخر هذه البيئة أو العالم الفيزيقي لا شباع حاجاته فيقابل هذا اول مستوى من مستويات تمكين المرأة الذي يقوم على أساس التعرف على الاحتياجات الاساسية للمرأة عن طريق رفع المستوى المادي لها لتحقيق رفاهيتها مقارنة بالرجل في مختلف المجالات كالتغذية والملبس والمأوى والأمن والتعليم والصحة ومن الممكن التعرف على الاختلافات بين المرأة والرجل في مؤشر الاوضاع الغذائية أو في نسبة الوفيات.

٢- أما عن نسق الشخصية فيرتبط بوظيفة تحقيق الهدف فداخل هذا النسق تتحدد الموارد والطاقة التي يستخدمها لتحقيق أهدافه، فيقابل هذا النسق ووظيفة تحقيق الهدف ثاني مستوى من مستويات تمكين المرأة والمتمثل بسهولة الحصول على الموارد أي مدى سهولة حصول المرأة على الخدمات المختلفة كزيادة الدخل وتحسين الوضع المعاشي وتوفير السلع بغية تحقيق هدفها في المساواة مع الرجل، وذلك لان درجة انتاجيتها المتدنية وهامشيتها تنبع من محدودية حصولها على موارد التنمية ووسائل الانتاج المتوافرة في المجتمع كالأرض والعمالة والخدمات، كذلك فان قلة فرص المرأة في الحصول على التعليم والخدمات والمساعدة والتدريب في مجال تنمية المهارات بالمقارنة مع الرجل مما يجعلها اقل إنتاجية وعلى ذلك فان تمكين المرأة في هذا المجال يعني زيادة فاعليتها للحصول على نصيب عادل ومتساوي من الموارد المختلفة سواء على صعيد الاسرة أو المجتمع ووصفها شريكًا فعالًا وكاملًا في مختلف الجهود الانمائية.

٣- وأما النسق الاجتماعي فيرتبط بوظيفة التكامل وهذا النسق هو الذي يحقق التضامن ويولد مصادر الولاء ويحدد معالم السلوك السوي ويفرض الضوابط عليه ويقابل هذا النسق ووظيفة التكامل ثالث مستوى من مستويات تمكين المرأة والذي يقوم على عملية الوعي والادراك، وذلك عن طريق توعية المرأة وادراكها بان التقسيم النوعي التقليدي لأدوار العمل والمكانة الاجتماعية والاقتصادية المتدنية التي وضعت لها، وانما هو جزء من الوضع الاجتماعي العام وانعكاساته الذي ينتقل عادة في وسائل الحياة اليومية عن طريق التنشئة الاجتماعية ووسائل الاعلام المختلفة والكتب المدرسية فضلًا عن المصادر الثقافية المختلفة، وعلى ذلك فان عملية رفع قدرة الوعي والادراك لدى المرأة انما لأجل الوصول إلى مجتمع

تسود فيه العدالة والمساواة ومن ثم تتحقق تنمية هذا المجتمع ورفاهيته عن طريق تحقيق التكامل بينها وبين الرجل، وكذلك فان تمكين المرأة في هذا المستوى بمعنى توعيتها وادراكها بان مشكلاتها ليست ناتجة عن عدم كفاءتها او قدرتها بقدر ما هي ناتجة عن معايشتها لنظام اجتماعي يحد من قدراتها وامكانياتها.

٤- وأما بخصوص نسق الثقافة فانه يمثل وظيفة الكمون أو ضبط التوتر حيث انها تزود الفاعلين بالدافعية والدعم اللازمين لأفعالهم وذلك عن طريق المعايير والمثل العليا والقيم والايديولوجيات التي تسمح بها أو حتى تفرضها عليهم، ويقابل هذا النسق ووظيفته المتمثله باالتكامل المستويين الرابع والخامس اللذان يتمثلان بالمشاركة والتحكم ذلك ان مشاركة المرأه وكذلك معاملتها بصوره متساويه مع الرجل في مختلف المشاريع التنموية على اساس كونها شريك كامل الأهلية ومتساوي بدلًا من النظر إليها بوصفها مستفيد فقط، وهذا يعني إسقاط الكثير من الاعتبارات التي تمنح الرجل حق الهيمنة أو السيطرة على كافة الأمور لعل أبرزها صنع القرارات وفي نفس الوقت إشعار المرأة أو احساسها بانها لا تملك المقدرة أو الكفاءة اللازمة والكافية لإحكام السيطرة أو صناعة القرار، فضلًا عما تقدم فان عملية التحكم كذلك تعني قدرة الفرد في التأثير على مجريات الامور وتوجيهها لحماية حقوقه ومصالحه وفي إطار تمكين المرأة يعني ان تكون للنساء فرص متساوية مع الرجال في التحكم بالموارد والعائدات، وبمعنى آخر تحقيق التوازن في القوى بين المرأة والرجل بحيث لا يتمتع احدهما بالمركز والهيمنة على الآخر، وايضًا ان تشارك المرأة وهي تمتلك القوة المؤثرة على مستقبلها ومستقبل المجتمع ككل إلى جانب الرجل.

نخلص مما تقدم أن الغاية من تمكين المرأة وتحقيق المساواة ينبغي ان تنتج عنه المزيد من التحكم والمشاركة في مجال الخدمات الأساسية وسهولة الحصول على الموارد ووسائل الانتاج وما يرافق كل ذلك من وعي وإدراك لمختلف الأمور[١١].

الخاتمة

أخيرًا وفي ضوء انطباعاتنا الشخصية، وبعد الأخذ بنظر الاعتبار ان الفعل البشري يرتبط بمجالين يشكلان نوعين من القيود على الفاعل (مجال البيئة الفيزيقية أو الداخلية ومجال البيئة الرمزية أو الخارجية) فأننا نستطيع القول ان مفهوم التمكين لغويًا لفظ مشتق ومرادف لمفردة القوة (Power) وبما ان مصادر القوة في المجتمع ليست في مستوى واحد، فان عملية التمكين ليست على مستوى واحد سواء في المدخلات أو في المخرجات، ذلك ان البشر مختلفون في قدراتهم الفردية (Human capability) ومختلفون في امتلاكهم لعناصر القوة ومصادرها وفي الظروف والعوامل النفسية والاجتماعية والعضوية التي ينشأون عليها ويخضعون لتأثيراتها، وهي محددات تدفعنا إلى تصنيف التمكين إلى صنفين رئيسين، فالصنف الأول: والذي يشير إلى ان يكون هناك عجز في قدرات

الفـرد الذاتيـة يمنعه من ممارسـة دوره في الحياة كاملًا، وان هـذا العجز مصدره نقص في المؤهلات و القدرات الذاتية والبيولوجية كالعجـز العضـوي أو الصحـي، أو خلل في بنـاء الشـخصية الذاتيـة، والصنـف الثاني: وهـو ان يكـون هنـاك نقـص فـي التمكيـن مصدره مؤسسـي عملت التقاليـد الاجتماعية والمؤسسـات المجتمعيـة علـى صياغتـه وتعزيـزه حتـى اصبح نقصًـا مؤسسـيًا يمد جذرًا لـه في البناء الاجتماعـي للمجتمع مثل ذلك العـادات والتقاليـد والقيـم البطرياركية (الابويـة) أو الدكتاتوريـة والتسـلطية ومن دون تجاوز احتمالية التداخـل بين المجالين.

وبهـذا نتوصل إلـى التوافق فـي العناصر البنائيـة والابعـاد الوظيفيـة لانسـاق الفعـل الاجتماعـي في نظرية بارسـنز مع مسـتويات تمكين المرأة من صناعة القرار، وكذلك نتوصل إلـى ان واقع المرأة فـي مجتمعنا العراقي وفي ظل الأوضـاع الراهنة والظـروف المعاصرة مازال من دون استيفاء كامل متطلبات التمكين، فالنظم الاجتماعية السائدة لها الحكم الفصل في تقرير أدوار النسـاء ومراكزهـن في المجتمع، بل ن عملية صناعة القرار ذاتها سـواء للرجال أو للنسـاء تخضع في مفردات وآليات مساراتها وصناعتها للظروف الاجتماعية التي تسود في المجتمـع ولطبيعة النظـم الاجتماعية والافكار الايديولوجية السـائدة من دون ان يعني ذلك ان الوقائع الذاتية للعنصر النسـوي لا دخل لها في تلك الصيرورات.

المصادر كما وردت في البحث

١- المنجـد فـي اللغة والاعـلام، دار المشـرق، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص ٧٧١.

٢- د. قيـس النوري ود. عبد المنعم الحسـني، النظريات الاجتماعية، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٩.

3- C.merrian, Webster,s, International Dictionary (New york) Longman green, 1971 p.57

٤- د. محمـد عـزت الحلالمة ود. أحمد نافـع المدادحه، المفاهيـم الحديثـة في علـم الادارة، مكتبة الجامعة، الشـارقة، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠م، ص ١٣٥.

٥- جـي، روشـيه، علـم الاجتمـاع الامريكي، دراسـة لاعمـال تالكوت بارسـنز، دار المعـارف بمصر، مترجم، ١٩٨١م، ص ٦٣-٦٤.

٦- د. كامـل جاسـم المرایاتي، تحليـل الفعل الاجتماعي وبدائـل اتخاذ القرار، مجلة مدارك، السـنة الرابعة، العددان (٩،١٠)، ٢٠٠٨م، ص ١٨٠-١٨٢.

٧- د. كامـل جاسـم المرایاتـي، المصدر السـابق، ص ١٨٦-١٨٩.

٨- د. محمـد عوض عبد السـلام، الفعل الاجتماعي عند تالكوت بارسنز، دار المطبوعات الجديدة، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٥٧-٦٢.

٩- د. محمـد محمود الجوهري، وزملائه، تاريخ التفكير الاجتماعي (الرواد)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١م، ص ٣٤٥-٣٤٨.

١٠- د. عدنـان ياسـين مصطفـى، المجتمـع العراقـي وديناميـات التغييـر، بيت الحكمة، العـراق، بغداد، ٢٠١١م، ص ١٨٢-١٨٤.

١١- د. رجـاء محمد قاسـم، المـرأة وصناعـة القرار، دراسـة اجتماعيـة ميدانية، في تمكيـن المرأة، بيت الحكمة/قسم الدراسات الاجتماعية، ٢٠١٥م، بغداد، ص ١١٢-١١٥.

Enabling woman into decision-making in the light of the theory of the sociologist (TALCOT BARSINZ)

Study prepared by: Prof. Dr. Rajaa Mohammed Qasim

Abstract

So long as the matter of woman has been constituted one of most important variables in the society , along with enabling her to decision making, thus it has been regarded as a prominent subject that being hugely concerned over by the societies at the present time. The social theory has an opinion in this respect , most importantly the theory of social action for the sociologist (Tacot Barsinz). Thus , I have tried in the current study to make theoretical closeness between the social action symmetry and its functions for the over mentioned sociologist and between levels of enabling woman in making decision as to direct the attention toward the necessarily bringing about a change in the social reality in a way that could enforce the equity between the men and women and to achieve the social accomplishment in the society.

For achieving the study , I have dealt with four axes in addition to preface and conclusion. In the first axis , I have exposed some concepts as enabling , theory , decision and decision –making. In the second axis , I have exposed the theory of social action for the sociologist (Barzns). In the third axis , it includes concept of enabling , along with its approaches and its elements in addition to its levels. In the fourth axis , the closeness of theory between the social action asymmetry and its functions for the sociologist over mentioned and between levels of enabling woman in decisions making , along with depicting this closeness. The study is concluded with the woman ‹s reality in the Iraqi society under the current conditions , systems , prevailing ideological thoughts in addition to the women -self reality.

مقاربة نقدية في منهجية الدراسات الأنثروبولوجية العراقية

أ.م.د. حسين فاضل سلمان(*)

ملخص البحث

تكمن أهمية هذه البحث بمناقشة منهجية الدراسات الانثروبولوجية العراقية ومراحل نشوئها وتبلورها بالاعتماد على مرجعياتها النظرية وميادين بحثها زمانيا ومكانياً، وتأطير موضوعاتها بنماذج وظيفية، تبرز التوجهات الانثروبولوجية العراقية، وتمكننا من استجلاء وفهم طبيعة البحث الانثروبولوجي وموجهاتها لنظرية والمنهج المعتمد، ومما لا شك فيه ان لكل علم من العلوم سماته الخاصة التي يتميز بها، ويميز هذه المعايير عن باقي التخصصات، إذ يحتكم إليها أهلا لتخصص في الإجرائية المنهجية (Methodological Operationalization) التي تتشكل من الموجهات النظرية وتشتغل على وفيق واعد البحث الميداني.

فقد تبنت الدراسات الانثروبولوجية العراقية نهج المدرسة (البريطانية الاجتماعية، الاميركية الثقافية، الفرنسية البنيوية)،إن الاختلاف والتوازي والتقاطع في المدارس السابقة افرز منهجية انثروبولوجية انعكست على موضوع الدراسات العراقية وميادينها، ومنهج التساؤل فيها.

وتمحور البحث حول مجموعة من الاسئلة التي قادتنا بالنتيجة الى فهم طبيعة التباين بين الممارسات البحثية ومرجعياتها النظرية، وهي كالآتي:

١. ما هي المرجعيات النظرية الاساس التي اعتمدت عليها الدراسات الانثروبولوجية العراقية في تأطير الممارسة العملية (الميدانية)، وما هي المفاهيم الحارسة التي اعتمدها الانثروبولوجيون العراقيون كموجهات نظرية للإرشاد المنهجي زمانيا ومكانياً؟.

٢. ما هو دور المكان في تقسيم وبلورة هوية الانثروبولوجي العراقي والتغيرات التي

(*) جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم علم الاجتماع.

طرأت عليه، وعلاقة هذه التغيرات بالمرجعيات النظرية؟.

٣. الى اي مدى تمتاز الدراسات الانثروبولوجية العراقية بالاستقلال عن باقي التخصصات الانسانية كالسوسيولوجيا، وهل ان التداخل والاستعارة اسهمت في تطور هذه الدراسات، أم ان هذا التداخل أفقد الباحث روح المنهج الانثروبولوجي الحقيقي العلمي؟.

وبالرغم من تعدد الممكنات النظرية في علاقة الممارسة البحثية والمرجعيات النظرية، إلا أننا نرى أن الخلط والاستبدال قد ورد في العديد من أماكن الدراسات الانثروبولوجية التي تناولناها في هذا البحث. وقام التصنيف الذي عملنا على تحديده في بحثنا هذا، على فهم تطور الانثروبولوجيا العراقية التي انتقلت باطراد من دراسة المجتمعات القروية إلى دراسة الموضوعات المعقدة، في مديات تصنف ديمغرافياً على أنها حضرية، مما أدى إلى عملية تنهيج (Methdololisation) المناهج المستخدمة في الدراسة لمجال مكاني وبشري وزماني بما يتوافق مع متطلبات عناوين الدراسة، وليس بما تقتضيه الموضوعية في البحث، إذ تشكل هذه الحقيقة لبالإشكالية في الاتجاهات المستعملة. وبحسب المراجعة للدراسات الانثروبولوجية العراقية، يمكن القول بوجود ثلاث اتجاهات في الانثروبولوجيا العراقية يفهم من خلالها المنظار المنهجي: الأول: انثروبولوجيا القرية، إذ جاء تصنيف اغلب العناصر المنهجية لهذه المواضيع تحت عنوان المدرسة الوظيفية (الانثروبولوجية الاجتماعية). أما الاتجاه الثاني فهو: انثروبولوجيا التغير الاجتماعي، وينصب الاهتمام فيها على العنوان (المفاهيم)، على خلاف الاتجاه الأول الذي يركز على المكان كدراسة أنثروبولوجية شمولية، أما الاتجاه الثالث : فيركز فيه الأنثروبولوجي ينفي دراساته مع مفهوم الثقافة، وعلى وفق المدرسة الانثروبولوجية الثقافية، وهو الاتجاه الذي أبدى فيها لانثروبولوجيون اهتماماً منهجيا للدخول في الدراسات الحضرية والمجتمعات المركبة في المدنية. وهو ماكان تعليه مباحث بحثنا الحالي.

وقد توصلنا الى جملة من النتائج بشأن طبيعة الدراسات الانثروبولوجية وتقاطع منهجياتها، وهي كالآتي:

نتائج البحث:

١. ان منهجية الانثروبولوجيا العراقية في بداية التأسيس (شاكر مصطفى سليم) كانت ذات طبيعة استقرائية وحوارية بالمعنى النظري والمنهجي، ومن ثم تحولت الى استقرائية تميل الى التكميم.

٢. يشكل البعد المكاني في الدراسات الانثروبولوجية العراقية أهمية تنعكس على منهجية الدراسة، إذن لاحظ أن مدينة بغداد حصلت على أكثر من سبعين بالمئة من نصيب الدراسات الانثروبولوجية، وهذا مؤشر خطير يتضح في جوانب عدة منها ما يخص المنهجية وتطبيقاتها في المدينة بأسلوب تقليدي، وأما الجانب الآخر فهو القصور في دراسة المجتمع العراقي ككل وفهم ثقافاته الريفية والحضرية والهامشية، بل أن دراسة الأثنيات والأبعاد الاقتصادية تحتاج إلى توسع كبير يسهم في حل العديد من الإشكاليات الموجود حالياً.

٣. إن المنظور الكلاسيكي للبنائية الوظيفية أخذ حيزاً واسعاً في دراسات القرية والتغير الاجتماعي وحتى نموذج الدراسات الثقافية، والإشكالية تكمن في تركيز هذا الاتجاه على فهم كيف يتوازن المجتمع (النظرة السلوكية)، في مقابل ذلك نحتاج في مجتمعنا العراقي إلى فهم لماذا هذا التوازن التقليدي وعدمية التغير المبرمج لخلق مجتمع متجدد.

٤. إن استعمال الفرضية في الدراسات الانثروبولوجية لا يؤشر إشكالية منهجية إلا عندما يتحول الافتراض النظري إلى حكم مسبق يؤطر مسيره البحث، بمعنى انه يتوجب على الانثروبولوجي استعمال الفروض كآلية منهجية لتفسير المعطيات الميدانية، وليس كآلية لرسم أو تصوير المعطيات، وقد تتحول الكثير من الافتراضات التي تحتويها مفاهيم الدراسة إلى تعاريف إجرائية كما هو موجود في بعض الدراسات المؤشرة في نموذج القرية، إذ يتخذ بعض الانثروبولوجيين افتراضا مسبقاً، وعليه يتوجب معالجة هذه الإشكالية في منهجية الدراسات الأنثروبولوجية.

٥. التوسع في الجانب النظري على حساب المهمة الأساسية للبحث المتمثلة بدراسة مكان محدد أو موضوع محدد داخل سياق اجتماعي، ففي أغلب الدراسات وجدنا سبعين بالمئة من هيكل الدراسة يركز على فلسفة العلم ويتجاوز فلسفة الميدان.

٦. عدم تحرر الدراسات الأنثروبولوجية من الوصاية السوسيولوجية، إذ نلاحظ أن تراث المدرسة الأنثروبولوجية الاجتماعية نُقل إلى المدرسة العراقية ومن هذا التراث توجهات بر او نفي (علم الاجتماع المقارن).

٧. في الغالب يأتي اختيار موضوع البحث على أساس مهنة الباحث، أومكان سكنة، أو نمطه الثقافي، مما أدى إلى اختزال الخيال التحليلي بشخصية الباحث، فضلا عن ارتباط زمن المعايشة الفعلية بالمجتمع نفسه، اي ان الباحث من مجتمع الدراسة نفسه، اي عد متوفر شرط التغريب المنهجي، وهو شرط اساس لفهم المعطيات وانتاجها.

٨. تعاني معظم دراسات القرية والتغير الاجتماعي من إشكالية بناء تساؤلات إجرائية مستخلصة من المدرسة البنائية الوظيفية.

٩. التداخل في المفهوم الأثنوجرافي، فعندما نتكلم عن منهج أثنوجرافي نقصد مجملا لمناهج التجريبية أو طرائق البحث ولا نكتفي بذكر منهج وصفي، وبهذا الخصوص يصبح التحدث عن منهج أثنوجرافي بالمفرد مخادعاً بعض الشيء، إذ نجد أن أغلب الدراسات الأنثروبولوجية العراقية تطلق على الأثنوجرافيا منهجاً وهي آلية للبحث.

١٠. غياب ثنائية الموقع والواقعة التفاعلية في الاعمال الاثنوجرافية لنموذج القرية والتغير والاكتفاء بالمكان الشمولي، وهذا يؤكد ان معظم الدراسات الانثروبولوجية العراقية ذات طبيعة مونوغرافية ابتعدت عن الغرض من التوصيف.

١١. امتداد تأثير المفاهيم الحارسة في الدراسات الانثروبولوجية العراقية من الريف الى المدينة مع بعض التغير، مثال ذلك (شبكة العلاقات الاجتماعية في المدينة)، و(تغير السلطة الابوية في منطقة الكرادة).

واستنتجنا من خلال ما توصلنا اليه من

نتائـج ان تاريـخ الدراسـات الانثروبولوجيـة العراقيـة وارتباطه بالممارسـة الحالية للبحث الانثروبولوجـي يمثل رمـزي نمهمين لتقاطع المدارس البريطانية والاميركية وتداخلهما على صعيـد النظرية الانثروبولوجيـة المعاصرة ما افرز تشـظياً أثر على طبيعة الممارسة الفعلية. وعلى اسـاس من هذه النتائج يمكن استخلاص ان الانثروبولوجيا العراقية – في حقيقها البحثية – لـم تمارس عمليـة (التغريـب المنهجي)،بل مارسـت (التغريب المجاور)، فهـي بعيدة كل البعـد عـن انثروبولوجيـات مجـاورة عديدة، بـل ركنـت الـى المرجعيـات الانثروبولوجية المصرية التي تعاني اصلا من تداخلية ووصايا تسوسيولوجية كبيرة.

والاشـكالية الاكثر تعقيدا وتأثرا على حقيقة البحث الانثروبولوجي العراقي، هوعدم وجود تقارير ميدانية ومذكـرات عملت تابعية تعكس وتجذر الاقامة الميدانيـة للباحث، وهذا واضح في اغلب الدراسات الانثربولوجية العراقية.

تمهيد:

تكمـن أهمية هـذه البحث بمناقشـة منهجية الدراسـات الانثروبولوجيـة العراقية ومراحل نشـوئها وتبلورهـا بالاعتماد علـى مرجعياتها النظرية وميادين بحثها زمانيا ومكانياً، وتأطير موضوعاتها بنماذج وظيفيـة، تبرز التوجهات الانثروبولوجية العراقية، وتمكننا من استجلاء وفهم طبيعة البحـث الانثروبولوجي وموجهاته النظريـة والمنهـج المعتمـد، ومما لا شـك فيه ان لـكل علـم من العلـوم سـماته الخاصة التي يتميـز بهـا، ويميـز هـذه المعاييـر عـن باقي التخصصـات إذ يحتكـم إليها أهـل التخصص في الإجرائية المنهجيـة (Methodological Operationalization) التـي تتشـكل مـن الموجهـات النظرية وتشـتغل على وفي قواعد البحث الميداني.

إن هـدف المنهجيـة (Methodoloy) فـي البحـث العلمي هو مسـاعدتنا علـى الفهم الشـامل والواعي لنتائج البحث، ولعملية البحث ذاتهـا، فالمنهجية هي: دراسـة المناهج وتكمن وظائفها في مناقشـة البنية النظرية، والأسـئلة التـي تطرحها علـى ميـدان البحث ومناقشـة مناهج البحث ومدى قدرتها على طرح الأسئلة ودراسـتها فـي الواقـع، وتبحث فـي الاعتماد المتبادل بين النظرية والنموذج والمنهج[1].

فقـد تبنـت الدراسـات الانثروبولوجيـة العراقية نهج المدرسة (البريطانية الاجتماعية، الاميركيـة الثقافيـة، الفرنسـية البنيويـة)، إن الاختـلاف والتـوازي والتقاطع فـي المدارس السـابقة افرز منهجية انثروبولوجية انعكسـت على موضوع الدراسـات العراقيـة وميادينها، ومنهج التساؤل فيها.

وبالرغـم من تعـدد الممكنـات النظرية في هذه العلاقة، إلا أننا نرى أن الخلط والاسـتبدال قـد ورد فـي العديـد مـن أماكـن الدراسـات الانثروبولوجية التي سنتناولها في هذا البحث.

إن الإطار النظري المتعارف عليه في مقابل الجانب الميداني في الدراسات الانثروبولوجية قد جرت العادة ان ينظر اليه على وفق الترتيب الـذي يبدأ بـ :(الأهمية وأهداف الدراسـة) ثم (المشـكلة) والتي تحوي فـي طياتها مجموعة من التساؤلات المعتمدة، وفي مقابل هذا تحوي عناوين الأطروحات المفاهيم التي يتبناها الباحث بالشرح والتفصيل، أما دور النظرية والنموذج

والمنهج فيختلف من دراسة إلى أخرى، فبعض الدراسات تتبنى (نظرية ومنهج)، والأخرى تتبنى (نموذج ومنهج)، وأخرى تجمع بين الثلاثة. وهنا تكمن الإشكالية التي نتناولها في بحثنا، إذ (تأتي اغلب النماذج المستخدمة في الإطار النظري باعتبارها دراسات سابقة عراقية وعربية وأجنبية) وهي في الغالب عبارة عن تجميع شكلي لهذه الدراسات، ولا يوجد توظيف فعلي لها باعتبارها نماذج إرشادية، هذا من الجانب الاول، أما الجانب الآخر وهو ما يتعلق بالنظرية والمنهج، فإننا نجد أن قسماً من الباحثين يستخدمون اصطلاح النظرية البنائية الوظيفية والمنهج البنائي الوظيفي في الإطار نفسه، فاختلاف الدراسات الانثروبولوجية وتداخل مواضيعها المنهجية وأماكن البحث فيها يدفعنا إلى تصنيفها في نماذج وظيفية ليتسنى لنا فهم منهجيتها.

ويقوم التصنيف الذي نعمل على تحديده في بحثنا هذا، على فهم وتحديد تطور الانثروبولوجيا العراقية التي انتقلت باطراد من دراسة المجتمعات القروية إلى دراسة الموضوعات المعقدة، في مديات تصنف ديمغرافياً على أنها حضرية، مما أدى إلى عملية تنهيج (Methdololisation) المناهج المستخدمة في الدراسة لمجال مكاني وبشري وزماني بما يتوافق مع متطلبات عناوين الدراسة، وليس بما تقتضيه الموضوعية في البحث، إذ تشكل هذه الحقيقة لب الإشكالية في الاتجاهات المقبلة.

وبحسب المراجعة للدراسات الانثروبولوجية العراقية، يمكن القول بوجود ثلاث اتجاهات في الانثروبولوجيا العراقية يفهم من خلالها المنظار المنهجي: **الأول**: **انثروبولوجيا القرية**، إذ جاء تصنيف اغلب العناصر المنهجية لهذه المواضيع تحت عنوان المدرسة الوظيفية (الانثروبولوجية الاجتماعية). أما الاتجاه **الثاني** فهو: **انثروبولوجيا التغير الاجتماعي**، وينصب الاهتمام فيها على العنوان (المفاهيم)، على خلاف الاتجاه الأول الذي يركز على المكان كدراسة أنثروبولوجية شمولية، أما الاتجاه **الثالث** : فيركز فيه الأنثروبولوجيين في دراساتهم على **مفهوم الثقافة**، وعلى وفق المدرسة الانثروبولوجية الثقافية، وهو الاتجاه الذي أبدى فيه الانثروبولوجيون اهتماماً منهجيا للدخول في الدراسات الحضرية والمجتمعات المركبة في المدنية. وهو ما ستكون عليه مباحث بحثنا الحالي.

أولا: أهمية البحث:

للوصول إلى الحقيقة، يتوجب القول أن عملية التفريق بين (**النموذج والنظرية والمنهج**) في الدراسات الانثروبولوجية هي العملية الأساس التي تنبثق منها مجموعة من التساؤلات المعرفية المرتبطة بعلاقة (**الاتصال والانفصال**) في الثلاثية المنهجية السابقة الذكر، ويشكل هذا البحث مراجعة لمعظم الدراسات الانثروبولوجية العراقية، هذه الدراسات التي امتدت لمدة طويلة والتي تعدّ المادة الخام التي يستند إليها بحثنا هذا. وعليه، فان البحث الحالي سوف يركز على دور المكان في مسيرة البحث الانثروبولوجي العراقي، وصولا الى فهم المنهجية الانثروبولوجية التي درست طبيعة المجتمع العراقي.

ثانياً: هدف البحث:

إن الهدف من مناقشة المنهجية الانثروبولوجية

وموجهاتها النظرية من خلال مراحل نشوء وتبلور الدراسات الانثروبولوجية وطبيعة المواضيع ومجالاتها المكانية وبنيتها الزمنية، هو الوصول إلى فهم متكامل عن طبيعة الصعوبات المعرفية والميدانية التي مرت بها هذه الدراسات، وكذلك رسم السمات الأساسية التي نمّطت طبيعة البحث الانثروبولوجي العراقي.

ثالثاً: تساؤلات البحث:

١. ماهي المرجعيات النظرية الاساس التي اعتمدت عليها الدراسات الانثروبولوجية العراقية في تأطير الممارسة العملية (الميدانية)، وماهي المفاهيم الحارسة التي اعتمدها الانثروبولوجيون العراقيون كموجهات نظرية للإرشاد المنهجي زمانيا ومكانياً؟.

٢. ما هو دور المكان في تقسيم وبلورة هوية الانثروبولوجي العراقي والتغيرات التي طرأت عليه، وعلاقة هذه التغيرات بالمرجعيات النظرية؟.

٣. الى اي مدى تمتاز الدراسات الانثروبولوجية العراقية بالاستقلال عن باقي التخصصات الانسانية كالسوسيولوجيا، وهل ان التداخل والاستعارة اسهمت في تطور هذه الدراسات، أم ان هذا التداخل أفقد الباحث روح المنهج الانثروبولوجي الحقيقي العلمي؟.

المبحث الأول:
انثروبولوجيا القرية:

إن اغلب الدراسات التأسيسية لم تحدد لعناوينها مفاهيم مسبقة، بل أنها ابتعدت عن جدلية المتغيرات السببية، إذ ركزت هذه الدراسات على مجتمعات صغيرة، وأقامت توصيفاً اجتماعياً ثقافياً شمولياً لها، فالبحث الانثروبولوجي الكلاسيكي يمتاز بالشمولية، وتعد هذه من أهم الخصائص التي ميزت تلك الدراسات، إضافة إلى الإقامة المتجذرة في الميدان والتي يسعى الباحث خلالها إلى صناعة وشائج موضوعية ينفصل فيها عن زمنه المعرفي المسبق، والابتعاد عن الأحكام المسبقة، ويرتبط بالتاريخ الاجتماعي للثقافة المدروسة. ومن خلال الدرس التشاركي لمجتمعية التفاعل، يركز الباحث على ظاهرة محددة (البؤرة الثقافية لمجتمعية الجماعات) تتمحور حولها أغلب الأنماط المجتمعية.

ويمكن فهم المديات النظرية والميدانية لعملية بناء الموضوعات واختيار الميدان ونشوء الدراسات الانثروبولوجية القروية من خلال عرض لطبيعة الدراسات التأسيسية العراقية ومنها: (الچبايش: دراسة انثروبولوجية لقرية في أهوار العراق)، مكتوبة طبقا لطريقة المدرسة الانثروبولوجية المعروفة باسم[٢] (The British Functional School of Anthropology)، إذ أشار الانثروبولوجي شاكر مصطفى سليم وفي ملاحظاته حول الدراسة الانثروبولوجية الأولى في العراق، بأنها اتبعت المنهج الوظيفي البريطاني، وقد جاء التأسيس على شكل عمل مونوغرافي تجاوز الحدود الوصفية ليتخذ من السمات الثقافية الظاهرة في العلاقات الاجتماعية دليل لتنظيمات اجتماعية ميزت القرية في الأهوار، وفي مجال النظرية الانثروبولوجية السائدة للمدرسة البريطانية الكلاسيكية ومنهاجها والتي اعتمد عليها المؤسسون العراقيون من خلال دراستهم الميدانية.

وتأسيساً على هذه الدراسة، جاءت معظم الدراسات اللاحقة على هذا المنوال النظري والمنهجي، مع بعض الاختلافات في آليات البحث، ومنها دراسة الانثروبولوجي علاء الدين جاسم في (الراشدية: دراسة انثروبولوجية اجتماعية في ضواحي مدينة بغداد)، ودراسته الثانية (نظرية ريدفيلد في دراسة المجتمعات المحلية وتطبيقاتها دراسة انثروبولوجية لواحة شتاتة)[٣]، وقد شكّلت دراسات (الأهوار والراشدية وشتاتة) نموذجاً إرشادياً للعديد من الدراسات لأنثروبولوجيا القرية كالدراسات المؤشرة في النموذج الآتي:

ت	الموضوع	المكان	السنة
١	دراسة أنثروبولوجية لقرية الشرش.	الجنوب	١٩٧٥
٢	الصيكل – دراسة أنثروبولوجية لقرية في الأهوار.	الجنوب	١٩٨٣
٣	قرية الصوفية – دراسة انثروبولوجية اجتماعية.	الأنبار	١٩٨٩
٤	أبو فليس – دراسة انثروبولوجية اجتماعية.	الأنبار	١٩٩٥
٥	العليمية – دراسة انثروبولوجية اجتماعية.	بغداد	٢٠٠٢
٦	البو حشمة – دراسة انثروبولوجية اجتماعية.	صلاح الدين	٢٠٠٢
٧	البو جواري – دراسة انثروبولجية اجتماعية.	صلاح الدين	٢٠٠٤
٨	الكرطان – دراسة انثروبولوجية اجتماعية.	الأنبار	٢٠٠٥

إن جميع هذه الدراسات اعتمدت على الأبعاد النظرية للمدرسة البنائية الوظيفية الكلاسيكية وعلى منهجية كيفية تبلورت من خلال الملاحظة بالمشاركة، والمعايشة، والمقابلة، إذ أن من أهم السمات المعرفية التي تتميز بها هذه المدرسة هي الدراسة الشمولية ومبدأ الدراسة التزامنية وعدم استعمال المنهج التاريخي. وبالرغم من هذه السمات، إلا أننا نجد أن جميع هذه الدراسات اعتمدت على الجوانب التاريخية والخلط بين النظرية والنموذج والمنهج.

ولتقديم صورة أكثر وضوحا، نشير إلى أن دراسة الانثروبولوجي شاكر مصطفى سليم ودراسة علاء الدين جاسم احتوت في مضمونها على النقاط المنهجية الآتية:

أولاً: استعمال التفسيرات التاريخية التي لا تتبناها المدرسة البنائية الوظيفية.

ثانياً: استعمال التوجهات الكمية التي تجاوزت الإحصاء الوصفي.

ثالثاً: إعطاء الافتراض النظري المسبق دور كبير في البحث الميداني.

ان استعمال الانثروبولوجي شاكر مصطفى سليم تواريخ حياة الذين اجرى عليهم البحث في دراسته للأهوار جاء كوسيلة لبناء تاريخ الظاهرة المراد تفسيرها، ولا نعتقد بأنه يشبه مبدأ التخمين أو الافتراض التي اتبعه الانثروبولوجيون الأوائل في دراسة المجتمعات البسيطة (البدائية)، بل جاء من منظور أن التضلع التاريخي ضرورة يقتضي العمل به في البحث الانثروبولوجي المقارن، وعلى أساس هذا المنظور يرى (Nadel) أن العلاقة بين الانثروبولوجية والتاريخ تتلخص في دراسة الوقائع في ضوء الماضي بالنسبة للمؤرخ، في حين يدرس الانثروبولوجي الوقائع في ضوء الحاضر، أي يسجل الأحداث خلال زمن معين بالذات ولذلك فهو يدرس الظواهر الإنسانية التي تحدث هنا

والآن (Here and Now). ويميز رادكليف براون بين التفسير التاريخي (Historical Explanation) والمفهومات النظرية (The Optical Understanding) على أساس أن التاريخ يتضمن أيضا إيضاحات رمزية، كما انه يصف تعاقب الأحداث المفردة بينما تتميز الانثروبولوجيا وتميز بالمقارنة والتحليل، ويظهر هذا التميز بوضوح عندما نسأل لماذا يوجد نظام معين في مجتمع معين؟ وبالنسبة للإجابة على وجود نظام واستمراره، فانه يفسر في ضوء التتابع المعقد للأحداث الذي يشكل مركبات نمطية متوارثة ينتج عنها هذا النظام[٤]. وبهذا المعنى بين التفسيرين ندرك أن النظر في تاريخ المجتمع المدروس لا يعني الانزلاق نحو التفسيرات التاريخية، وإنما هو توضيح لخلفيات الأنظمة، وقد يفضي إلى عقد بعض المقارنات، على أننا يجب أن نشير إلى أن المقارنة تعد رديفا للمنهج التاريخي عند بعض الانثروبولوجيون ومنهم فرانس بواز (Franz Poas) الذي اعتبر أن منهجه التاريخي هو منهج مقارن في صورة متقدمة[٥].

والملاحظ على بعض الدراسات الانثروبولوجية المؤشرة في النموذج الأول أدناه، أنها استخدمت التاريخ كإطار شكلي بعيداً عن التوظيف التفسيري، مما تسبب في فقدان كثير من الحقائق الثقافية في هذه الدراسات ببعدها البنائي الوظيفي، إذ جاء استعمال التاريخ في نموذج القرية عن طريق تحليل البناء الاجتماعي والأعمال الثقافية كبناءات مبنية من دون ذوات تبني (تاريخ تفاعل الأفراد)، ومن جانب آخر جاء التركيز على الحاضر في (التفاعلات الاجتماعية الآنية) من دون الرجوع للشروط الاقتصادية أو الاجتماعية لإنتاج العمل الثقافي أو لمنتجه، أي دراسة التاريخ العمودي من دون التحليل الأفقي، ودراسة التاريخ الأفقي من دون التحليل العمودي، وباعتقادنا أن هذا الاتجاه يخرج من توجهات المدرسة البنائية الوظيفية ويحسب على الدراسات الانثروبولوجية العراقية وبمنظور معرفي نسبي، أما استعمال الانثروبولوجست شاكر مصطفى سليم للتاريخ فقد جاء على وفق منظور المدرسة الوظيفية التي تركز على دراسة الحالة لإيجاد وتصنيف الذوات التي بنت التاريخ الاجتماعي وتشكلت النظم على أساسها.

وتأتي إشكالية الاستبيان (استمارات جمع المعلومات) لتؤشر الجدل الدائر بين المنهجية الكيفية والكمية أو ما يعرف بالاتجاه (السوسيو انثروبولوجي) والتي سوف نتناولها في الاتجاه الثاني والثالث الذي نجد في دراسته استخداما واسعا للتوجهات الكمية، ونقتصر هنا بالإشارة إلى استعمال الدراسات التأسيسية لهذا الاتجاه وطبيعته.

إن الملاحظة الإحصائية التي نريدها هنا تستهدف دعم المعرفة الاثنولوجية عن طريق المقابلات المقننة (Stndarddzid)، والتي تعتمد أساساً على خطة معينة يتم تنفيذها في وقت محدد، وتستهدف الحصول على الحقائق والاتجاهات والآراء، وغالباً ما تعد الاستمارة كوسيلة لجمع المادة... ومما لا شك فيه أن استعمال الانثروبولوجيين لاستمارة المقابلة يختلف إلى حد ما عن استعمال السوسيولوجيين[٦]، فالاستمارة لدى الباحث الانثروبولوجي تستمد معطياتها من الممارسة الاثنوجرافية كتلك التي قام بها شاكر

مصطفى سليم، بينما تستمد الاستمارة مكوناتها في البحوث السوسيولوجية بالاعتماد على الافتراضات النظرية المسبقة والتي يعتمدها السوسيولوجيون.

وفي إطار الحديث عن الافتراض النظري والممارسة الفعلية في الميدان، فإننا نلاحظ وجود بعض المفاهيم المنهجية التي يتناولها الانثروبولوجيون في الدراسات العراقية ومنها: (فرضيات الدراسة)، (التعريف الإجرائي)، وقبل الدخول في تأشير مواقع هذه المفاهيم ودورها في الدراسة الميدانية، يتوجب علينا تعريف النظرية والمنهج والنموذج لكي يتسنى لنا فهم الاعتماد المتبادل بين النظرية (الافتراض) والنموذج (الإجرائي) والمنهج (الطريقة).

فالنظرية: هي (مخطط أو نسق من الافكار او الاحكام التي تراعي كتوضيح او تفسير لمجموعة من الوقائع او الظواهر، أي هي فرضية تؤكدها او ترسخها الملاحظة او التجريب، وتقترح او تقبل كتفسير لوقائع معروفة، فالنظرية تمثل مجموعة من المفاهيم المرتبطة التي تقدم رؤية منظمة منهجية للظاهرة بتحديدها العلاقة بين المتغيرات مستهدفة التفسير)[٧]. وبصفة عامة فان هناك خلط واضح في معالجة النظرية التي قد يشار إليها أحيانا بالإطار التصوري أو النموذج أو النظرية، ولعل أكثر الإشارات شيوعا (النموذج والنظرية) فالفرق بين النموذج والنظرية هو: أن النماذج تجريد من الواقع يستهدف تنظيم وتبسيط نظرتنا إلى هذا الواقع... إن الانثروبولوجيين يتعاملون مع نماذج تقوم بوظيفة إرشادية تفسيرية ذات طبيعة تأملية فالنماذج: (تشير إلى وجهات نظر مستمدة من البحث ومشكلاته، إنها تضع للباحث حدود الأسئلة في الميدان ومن خلال الأفكار والقيم والأساليب التي يشارك فيها أعضاء المجتمع وتعمل كمرشح من خلاله تحدد الرؤية الشخصية للباحث)[٨].

وفي مقابل ذلك، يأتي تعريف المنهج كمجموعة من القواعد والأسس والخطوات التي يستعين بها الباحث في تنظيم النشاط الإنساني الذي يقوم به من اجل البحث عن الحقائق العلمية أو الفحص الدقيق لها فالمنهج هو: مجموعة من العمليات العقلية التي تقود إلى دراسة علمية مهما كان موضوعها، وأما أدوات البحث العملي فهو وسيلة كل علم لجمع الحقائق بطريقة خاصة ولهدف معين، فالمنهج العلمي حسب هذا الرأي هو واحد وإنما الاختلاف يكون في أدوات البحث[٩].

عموماً، فان طرق جمع البيانات وتحليلها واستخلاص النتائج تحتاج من دون شك إلى تصورات نظرية دقيقة، فكل معالجة للمنهج تحتاج منا منذ البداية بان نسلم بان لكل منهج من مناهج البحث طبيعته الخاصة، وبالتأكيد ان المنهج الواحد لا يلائم كل مشكلة ندرسها، وإنما يحدد هذا الاتفاق بين المنهج والمشكلة. وطبيعة الموضوع الذي نتناوله بالبحث هو الذي يحدد اختيارنا للمنهج الملائم، ويمكننا القول: أننا لا نستطيع أن ندرس المناهج ذاتها من الفراغ وإنما لا بد أن تستند هذه المناهج بدورها على أسس نظرية، ويجب تبريرها وفهمها في إطار هذه الأسس[١٠]، ويأتي التصور الذي وضعه الانثروبولوجست علاء الدين جاسم بشأن المزاوجة بين النظرية والنموذج ليؤشر الى

العديد من علامات الاستفهام، فقد وظّف الباحث نمـوذج (ريدفيلد) النظري من خـلال النظرية الوظيفية ومنهجية المعايشة بالملاحظة، إضافة إلى المنهج التاريخي.

إن عمليـة المزاوجة بين الأبعـاد المنهجية السـابقة الذكر اتخذها الباحث علاء الدين جاسم كنموذج إرشـادي يحدد الأبعاد النظرية المتخذة كفروض أساسية، وهذه الفروض هي[١١]:

أولاً: دور العلاقـات الاجتماعيـة الثنائيـة والعلاقـات الاجتماعيـة الدائمـة فـي البنـاء الاجتماعي في المجتمعات الصغيرة.

ثانياً: علاقة النسـق الايكولوجي بالأنسـاق الاجتماعيـة الأخـرى التـي تؤلـف البنـاء في المجتمعات الصغيرة.

ثالثاً: دراسـة البنيـة الاجتماعيـة والثقافية للمجتمعـات المحليـة الصغيـرة فـي ضـوء علاقتهـا بالأبنية الاجتماعية والثقافية التاريخية للمجتمعات القومية.

رابعـاً: النمطيـة المثاليـة النموذجيـة في المتصل الشعبي – الحضري.

وتأسيسا على ما سبق، فان استعمال الفرضية في الدراسات الانثروبولوجية لا يؤشر إشكالية منهجيـة إلا عندما يتحول الافتـراض النظري إلى حكم مسبق يؤطر مسيره البحث، بمعنى انه يتوجب على الانثروبولوجي استعمال الفروض كآلية منهجية لتفسير المعطيات الميدانية، وليس كآلية لرسـم أو تصوير المعطيات، وقد تتحول الكثير مـن الافتراضات التـي تحتويها مفاهيم الدراسـة إلى تعاريف إجرائيـة كما هو موجود في بعض الدراسات المؤشرة في نموذج القرية، إذ يتخذ بعض الانثروبولوجيين افتراضا مسبقاً.

والمشـكلة هنا، ان اسـتعمال الافتراض لم يأت بناؤه وتوليده من المعطيات الاثنوجرافية، بـل جـاء علـى وفـق منظـور الافتراضـات والمفاهيـم البنائية، اي ان محـور الاثنوجرافيا كان اسـتقرائيا، مبتعـدا عن مبـدأ الأثنوجرافيا الحوارية التي تهتم بإثارة الاسـئلة الاستفهامية من الميدان واليه.

فيمـا يرتبـط التعريف الإجرائـي بالقياس، ويقوم على تحديد المفاهيم المسـتعملة بواسطة الإجـراءات، أي دلائـل تجريبيـة او عدديـة تمثـل الظواهـر الاجتماعيـة وتسـاعد هـذه الإجـراءات علـى توضيـح المعنـى العلمـي للمفهـوم[١٢]. والملاحظ على بعض الدراسـات الانثروبولوجيـة اسـتخدامها لبعـض المفاهيم المأخوذة من موضوع أو عنوان البحث في كل إجراءات البحث الميداني من دون اشـتمال هذه الدراسـات على تضلع إحصائي يبرر استعمال أو ربط الإجرائية بالتجريب.

وبما ان التعريف الاجرائي هو نشاط يجب أن يتم قبل بدء البحث في المنهجية الكميـة، فأنـه يفهم في المنهجيـة الكيفية كنشاط قلما يتم قبل بدء البحث، والاغلب أنه يؤدى في اثنـاء اجراء البحث عندما يكون الباحث قد اكتسب فهم الظاهرة[١٣].

إن الفكـرة الأساسـية والـدور التبادلي بين النظريـة والنمـوذج والمنهـج في الدراسـات الانثروبولوجيـة هي أن تصف منهجيا الظاهرة الملاحظة من خـلال الطريقة المتبعة (المنهج) بخطـوات تعتمد علـى أدوات كيفية (الملاحظة بالمشاركة، المقابلة، الإخباريين) ومن ثم تثبيت

المعطيات المستخلصة أثناء الوصف عن طريق تفسيرها وتثبيتها بقالب مفاهيمي، ويتم التفسير بواسطة مجموعة من التصورات النظرية غير المقيدة للباحث، أو الخروج بتصورات نظرية جديدة من المادة الخام المستخلصة من الميدان، وإجمالا فان الدراسات الانثروبولوجية المثبتة في نموذج القرية قد حوّلت دراسة كل من (الاهوار والراشدية وشتاتة) إلى نموذج نظري وسارت عليه. وباعتقادنا أن هذا الأمر ناتج من تشابه طبيعة المجتمعات القروية وبنيتها الثقافية النسبية، إلا أن الإشكالية المنهجية تكمن بالاعتماد على الافتراض المسبق والخلط بين المسميات ومضامينها، مثل استعمال النظرية البنائية الوظيفية والمنهج الوظيفي، وعدم التفريق بين النظرية والنموذج كموجهات تفسيرية للبحث والمنهج كخطوات تعتمد على الحواس لدى الباحث في الميدان، مما افرز نتائج متقاربة مع بعضها.

إن اشتقاق الأسئلة التي يعتمد عليها الباحث من النظرية، وبتصورات مسبقة بين البناء الاجتماعي والوظائفية التي تشكل ديمومته واستقراره تعدّ من أهم السمات التي ادت الى نمطية التوجهات الانثروبولوجية العراقية، بل أن الاهتمام بكتابة الأبعاد التاريخية وافتراض مبدأ التغير الاجتماعي المادي وانعكاساته المعنوية على طبيعة التعاملات الاجتماعية أوجد ثنائية من التقديرات المسبقة، ففي الوقت الذي انطلقت فيه الدراسات الانثروبولوجية من الاهوار في جنوب العراق لتجسد المنظور الكلاسيكي للبنائية الوظيفية وتبحث في طبيعة العلاقات الاجتماعية للمجتمعات البسيطة الصغيرة (القرية)، جاءت دراسات الانثروبولوجي فريدريك بارث (**fredrik barth**) لقرى الاكراد في شمال العراق لتحارب الاتجاه الكلاسيكي الذي يركز على وصف الاطراد والانتظام، إذ أوضح البحث كيف ان بارث يركز على الفرد لفهم عمليات التفاعل الاجتماعي في حين أن الوظيفية تركز على مستوى النظم والأنساق[١٤].

طرح (بارث) توجهاً نظرياً من خلال دراساته الميدانية عرف اصطلاحا باسم النماذج المولدة (Generative Models) عند دراسته للنظم الاجتماعية، إذ اهتم بدراسة الصورة (Form) في الحياة الاجتماعية التي تتكون من خلال التسلسلات المتسقة في السلوك ضمن مجموعة كبيرة من الفقرات (المهام) التي يقوم بها الفرد، أي وصفها بارث بأنها المختلفة عن تلك النماذج المقدمة من أتباع المدرسة الوظيفية البريطانية بشكل خاص، والتي تركز على اهتمام الباحث كنقطة أساسية (**اثنوجرافيا استقرائية**)، والسبب في ذلك يعود إلى الاعتماد المسبّق للباحث على نماذج مشيّدة أو نحو وصف الأنماط السلوكية للصورة الاجتماعية، عندها تكون السمات البنائية معروضة أمام الباحث، وثابتة عند دراسته للمجتمع، ويضيف أن النماذج التي نقدمها تختلف عن تلك المتبعة في المدرسة البنائية الوظيفية عند دراسة السلوك المعروض بهيئة صورة اجتماعية، إذ أنها ليست معدّة لتكون مماثلة لما تمت ملاحظته عن انتظام الحياة الاجتماعية قيد الدراسة (**اثنوجرافيا حوارية**)، وإنما عوضاً عنها، هي المصممة لكي تماثل ما هو ملاحظ في انتظام الحياة الاجتماعية وبإجراءات محددة تستطيع توليد مثل هذه الانتظام (**اثنوجرافيا انعكاسية**)[١٥].

لهـذا، فـان بـارث يهتـم بإنتـاج نمـاذج إرشـادية من الميدان ليعتمد عليهـا منهجياً في توليد العديـد من الصور وتأويلهـا لفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية، وهنا يكمن مبدأ الاعتماد المتبـادل بيـن النظريـة المسـبقة والنمـوذج الإرشـادي (من الميدان) والمنهج الذي يصف ويولـد ويفسـر أشـكال المؤانسـة فـي الحيـاة الاجتماعيـة بالملاحظة التشـاركية. وغير بعيد عن هذا الطـرح، نجد اننا فـي نقدنا للتوجهات الانثروبولوجيـة العراقيـة لا نختلـف عن النقد الموجه للدراسات السوسيولوجية العراقية التي تعتمـد على تجريـب الابعاد النظريـة الجاهزة بافتراضاتهـا، وصـب المجتمـع او الظاهـرة المدروسة بقالبها المفاهيمي والافتراضي، وهذا مـا فعلته الدراسـات الانثروبولوجية باعتمادها على المؤسسين لدراسات للقرية وجعلها بمثابة نظريـة تنطبق افتراضياً علـى كل القرى، بدءا بهيكليـة الرسـالة او الاطروحـة، والمنهجية، وحتى النتائج.

وتأسيسـاً علـى الملاحظات الرئيسـة على نموذج دراسـات القرية، فأننا نود ان نؤشـر خط سير المرجعيات الانثروبولوجية العراقية في هذا الاتجاه، اذ تقسّـمت بين كل من الانثروبولوجيين (شاكر مصطفى سليم، وعلاء الدين جاسم البياتي، وخالد الجابري، وقيس النوري، وعبد علي سلمان، وادهام الجبوري، وقحطان الناصري)، وتشـكل البنائية الوظيفية المرجع الاساس لمنهجياتهم، الا ان امتـداد هذه المرجعية لم يسـتمر على وفق ما بدأ به الدكتور شـاكر مصطفى سـليم الذي انتهج اسلوب المدرسة البريطانية، اذ تعرض الى قطع واعادة توجيه من قبل الدكتور علاء الدين جاسـم ومن تلاه في ترسيخ المدرسة المصرية المعدّلة من صورة الانثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية التي تنتمي بامتياز الى التوجهات السوسيولوجية والتي عرفت بالاتجاه السوسيوانثروبولوجي، فيما ذهب كل من النوري والجابري وسلمان والجبوري الى انتهاج منهج بنائي يقترب من التفسيرات الثقافية التـي تتوافق مع الدكتور سـليم في المزاوجة بين البناء الاجتماعي والبناء الثقافي، وهي الرؤية التي اسـس لها مالينوفسكي داخل المدرسة البريطانية التي افلح العديد من تلاميذ مالينوفسـكي بنقد هذا الاتجاه وتعدله.

نموذج يوضح طبيعة الاشكالية بين العمل المنهجي والتأطيرات النظرية في دراسات القرية

المبحث الثاني:
انثروبولوجيا التغير الاجتماعي:

التغير بكل أشكاله هو المحور الرئيس الذي تـدور حوله التوجهات المنهجية للأنثروبولوجيا الاجتماعية التي انتقلت فيها الدراسات من المكان (القريـة) كدراسـة أنثروبولوجية إلـى المفهوم المحوري للعنوان كظاهرة يتركز البحث حولها، ومثال على ذلك (التنشئة الاجتماعية، التحديث، التكيـف، الاتصال، التغيـر، التحضر، الهجرة، التبـادل، التريف، الاكتظاظ، العشـوائيات) فقد سـارت هذه الدراسـات بافتراض ان التغير ـــ وان اختلفت مدياته ـــ قد اثر على شـكل البناء العلائقـي للمجتمع وثقافته، وهذه الدراسـات لا تختلـف كثيرا عن طبيعة النمـوذج الأول إلا في صياغـة العناوين وميدان الدراسـة، وفي بعض الأحيان جاءت متشابهة إلى حد ما في المنهجية، امـا الاختلاف الأسـاس فيكمن فـي الانتقال من القريـة إلى المدينة أو البقاء فـي القرية، وبتأثير المزاجيات الاكاديمية، اختفى اسـم المكان وحل محله عنوان معين، ونصل من ذلك إلى تصنيف

الدراسات من خلال موضوعاتها تحت اتجاه التغير وكما يلي:

نموذج دراسات التغير:

ت	الموضـوع	المكان	السنة
١	تغير القيم الاجتماعية وأثره على التنظيم الاجتماعي – دراسة انثروبولوجية لقرية ألبو طعمة.	صلاح الدين	1974
٢	التنشئة الاجتماعية في قرية الذهب الأبيض دراسة انثروبولوجية.	بغداد	1976
٣	الإصلاح الزراعي وأثره على التنظيم الاجتماعي الريفي – دراسة ميدانية لقرية الانتصار.	بغداد	1982
٤	التحديث في أسرة قوش تبة.	الموصل	1983
٥	التكيف الاجتماعي في مزرعة نساء.	بغداد	1989
٦	الاتصال الجماهيري وتنمية الشخصية الريفية – دراسة ميدانية	بغداد	1989
٧	التغير الاجتماعي والقيمي في مركز السليمانية	السليمانية	1989
٨	التنشئة الاجتماعية في ناحية النمرود دراسة انثروبولوجية	الموصل	1991
٩	التغير القيمي في المجتمع الريفي	ديالى	1994
١٠	واقع الحياة الاجتماعية للأسرة الفلاحية في قرية بدران في الراشدية س دراسة انثروبولوجية	بغداد	1998
١١	التغير الاجتماعي في قضاء الراشدية	بغداد	1999
١٢	تحضر الضواحي دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية لقضاء ابو غريب	بغداد	2002
١٣	التغير البنائي في مدينة الصدر دراسة انثروبولوجية	بغداد	2005
١٤	الاستقرار والتغير لطائفة الصابئة المندائيين	صلاح الدين	2005
١٥	التغير الاجتماعي في مدينة الفلوجة دراسة انثروبولوجية	الانبار	2004
١٦	التغير الاجتماعي في قضاء الطارمية - دراسة انثروبولوجية	بغداد	
١٧	التغير الاجتماعي في مركز قضاء الحويجة دراسة انثروبولوجية	صلاح الدين	
١٨	التغير الاجتماعي والاقتصادي في قرى عشائر العنبكية - دراسة انثروبولوجية اجتماعية	الانبار	2008
١٩	تغير السلطة الابوية واثره في تبادل الآراء في الاسرة العراقية	بغداد	2005
٢٠	الهجرة والتكيف الاجتماعي دراسة انثروبولوجية	بغداد	2005
٢١	التبادل واثره في توثيق العلاقات الاجتماعية	بغداد	2006
٢٢	التغير الاجتماعي واثره في التنظيم الاجتماعي : زواج، اسرة، قرابة، دراسة انثروبولوجية اجتماعية لقرية الصوفية	الانبار	2010
٢٣	النظام القبلي والدولة في المجتمع العراقي دراسة انثروبولوجية في بغداد	بغداد	2010
٢٤	الغجر في العراق دراسة انثروبولوجية في التكيف الاجتماعي	العراق	1994
٢٥	تريف مدينة بغداد دراسة انثروبولوجية	بغداد	2010
٢٦	الاكتظاظ المنزلي والمشكلات الاسرية دراسة سوسيو انثروبولوجية	بغداد	2010
٢٧	العشوائيات في مدينة بغداد دراسة انثروبولوجية (حي التنك)	بغداد	2011
٢٨	شبكة العلاقات الاجتماعية للعائلة الحضرية دراسة ميدانية في قضاء الاعظمية	بغداد	2001
٢٩	مدينة الكاظمية القديمة: دراسة انثروبولوجية	بغداد	2008
٣٠	مدينة النجف: دراسة انثروبولوجية	نجف	2008
٣١	الشعلة: دراسة انثروبولوجية اجتماعية	بغداد	2010
٣٢	قلعة صالح: دراسة انثروبولوجية اجتماعية	ميسان	2010
٣٣	التهجير القسري واثاره الاجتماعية على الاسرة المعاصرة دراسة انثروبولوجية اجتماعية	بغداد	2008

إن المفهوم هو فكرة جزئية. ولا تستقيم الفكرة الكاملة إلا بتنسيق سلسلة المفاهيم منطقياً مع بعضها، ويأتي استعمال معظم العلماء لمفاهيم تجريدية (Abstract Concept) في عناوين الموضوعات التي يختارونها لغرض التحديد والتوضيح[١٦]. فبعد دخول الدراسات الانثروبولوجية المديات الحضرية ودراسة المجتمعات المركبة والاهتمام بموضوعات متعددة مثل البطالة والاستهلاك والهجرة والتبادل، وكذلك اتساع الحيز المكاني أمام الباحثين الانثروبولوجيين، دفعهم ذلك إلى توضيح المرتكز الأساس للدراسة من خلال تحديد الموضوع (عنوان البحث) بمفاهيم تتخذ في الغالب بعداً اجتماعياً أو ثقافياً. والملاحظ على الدراسات المشار إليها في نموذج التغير بأنها تتوزع على وفق منهجية "تبريرية" تهدف إلى تثبيت التخصص أولاً، والخروج من مأزق المكان (المكرو- الميكرو) ثانياً، وتقديم العلاقات السببية في ثنائيات منهجية تتوزع بين البعد النظري للموضوع (مفاهيم ثنائية ومتغيرات)، أو على أساس المنهجية (الاتجاه السوسيوانثروبولوجي) ثالثاً، ويأتي الجزء الأكبر منها ليركز على مفهوم معين ومكان للدراسة سواء أكان مجموعة قرى أو قضاء أو مركز وصولاً إلى المدينة، وكل هذه المبررات تصب في إشكالية الزمن المنهجي والزمن الاجتماعي، وبالتالي يأتي تقديم تبريرات المكان.

مخطط رقم (١) يوضح طبيعة الموضوعات الانثروبولوجية التغير

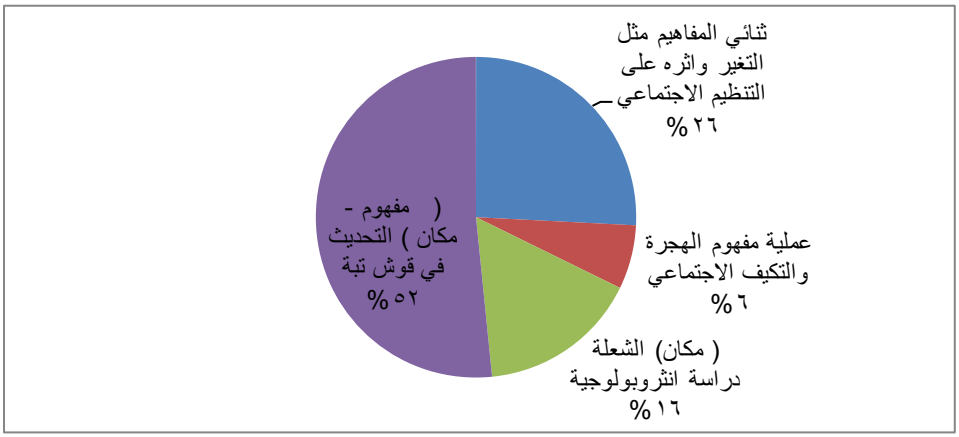

إن اهتمام الباحثين بتقديم مفهوم أحادي يرتبط مع مكان الدراسة، جعل من التوجهات المنهجية والمعايشة الميدانية تصب في محور المفهوم، وهي في الغالب دراسات بنائية وظيفية اتخذت من افتراض التغير الاجتماعي آلية منهجية للخروج من إشكالية المكان، على أساس أن منهجية البحث الانثروبولوجي (**الملاحظة، المقابلة، المعايشة**) لا تستطيع السيطرة على الميدان الواسع كالمدينة والقضاء، فجاء التركيز على مفهوم أحادي يختزل الباحث بواسطته المجال المكاني الواسع. الا ان مرجعية هذا المفهوم بقيت مسنودة بالنظرة الكلاسيكية للبنائية الوظيفية.

وتأتي في المرتبة الثانية ثنائية المفاهيم ومكان الدراسة، أو ما يعرف بجدلية المتغيرات كنموذج مصنوع يتبعه الباحث في منهجيته، فالمتغيرات هي بمثابة خواص الشيء وعلاماته الخارجية التي يستخدمها الباحث كي يبني بواسطتها وعن طريقها المعطيات في الواقع المحسوس، فالمتغيرات تختلف

تبعـا لأوضاعها في البحث، فهي تارة كمية كما يمكـن أن تكون تراتبيـة أو نوعية عندما تعطي اتجاها للعناصر التي يهتم الباحث بدراستها[١٧].

فالمتغيرات فـي المنهجية السوسـيولوجية اداة اجرائيـة موحـدة لقياس الظاهـرة، أما في الاشـتغال الانثروبولوجي فـان امكانية القياس مرفوضـة، فالمتغيـرات ادوات اجرائية تعتمد على الظروف والمواقف من اجل تحسـين شدة وقوة تفسير المعطيات الاثنوجرافية تزامنياً بين الباحث والموضوع الملاحظ[١٨].

والملاحظ على التوجهات التي تهتم بدراسة مجتمـع معين وفـق المنظـور الانثروبولوجي بثنائيـات التأثيـر والأثر، أنها أفـرزت منهجية مقيدة للباحث عن طريق ارتباط الزمن المنهجي أو المعرفي للباحث بتفسـيرات مسـبقة. ومثال علـى هـذا (تغير القيـم الاجتماعيـة واثر على التنظيـم الاجتماعي) أو (تغير السـلطة الأبوية وأثره في تبادل الأدوار في الأسـرة العراقية)، فالمقصـود بالزمن المعرفي للباحث هو: الأطر النظرية التي بواسـطتها يفسر ويفهم المعطيات في أثناء الملاحظة، فإذا ارتبطت ذهنية الباحث بمفاهيم ومتغيرات مسـبقة فـان التحليل يقتصر في إطارها، وهذا يكـون منافيا لمنهجية البحث الانثروبولوجـي المنتجـة للنظريـة باختـلاف التصورات والمعطيات.

وتأتـي إشـكالية الزمن الاجتماعي لتؤشـر بعـض التغيرات الحاصلة في هذا المفهوم الذي يدل على زمن المعايشة الفعلية للباحث لمجتمع الدراسـة والتي لا تقل عن سـنة، حسـب رأي (الانثروبولوجسـت مالينوفسـكي)، إن اغلـب الباحثين هم من أفـراد مجتمع البحث، وبالتالي فالموضوعيـة الميدانية تتعـرض للخطر جراء اقتصـار التأويل التحليلي على منظور الباحث، أو صفـات مجموعة صغيرة قيـد البحث، وفي الغالـب فأن أفـراد المجتمع لا يجـدون الغرابة أو الاختلاف فـي مجتمعاتهم بصورة واضحة، وبالتالي ينعكس هذا الفهم في تعاملاتهم اليومية وفـي ثقافتهم الماديـة والمعنوية فتاتـي النتائج بصـورة تقليدية (اي لا يتوافر شـرط التغريب المنهجـي وهو شـرط اسـاس لفهـم المعطيات الكيفيـة وتحليلها)، أما الدراسـات المتبقية، فقد جـاءت لتركـز على دراسـة المدينـة بمنظور تقليدي لا يختلف عن نموذج القرية، والاختلاف الوحيد فـي هـذه التوجهات هـو التركيز على السمات الجوهرية للمدينة للخروج من إشكالية الاتساع الميداني، فقد جاء التركيز على الطابع الديني ليكون المحور الأسـاس الـذي يفهم من خلالـه البنـاء الاجتماعـي، فمدينـة الكاظمية القديمـة والنجـف القديمة تشـكلان تحدياً كبيراً للباحثيـن الذين ينتهجون الأدوات الكلاسـيكية، وينتـج عـن هـذا ان هـذه الدراسـات ركزت علـى التأريـخ الاجتماعي لفهم طبيعـة المدينة والتطورات التي مرت بها.

والسـؤال الجوهري هنا، الـذي يجب على الانثروبولوجيين ان يوجهوه الى انفسـهم بشأن النظريـة الانثروبولوجية عبر الزمن، وفي اي لحظة من الزمن، يتعلق بالطبع بما اذا كانت هذه المفاهيم الحارسة، هذه الكنايات النظرية، تعكس حقيقة شيئا مهماً بشان المكان المطروح للبحث، أم تكشـف عن فـرض اعتباطي نسـبيا لاهواء موضة انثروبولوجية على اماكن معينة.... فوق ذلـك، هناك مشـكلة اخرى، وهـي العلاقة بين المكان والمقارنة والتعميم، في النظرية والمنهج الانثروبولوجـي، تصبح المقارنـة صعبة بقدر تأثر التنظير الانثروبولوجي بشـكل غير واع،

بانتقال مواضع انتاجه، لان البعد النقدي للتباين، ليس فقط في المعطيات، ولكن في العلاقة بين الملاحظ (الباحث) والملاحظين (المبحوثون) لم يتم اختباره حين كانت الملاحظة والتعميم ناجحين في الانثروبولوجيا، كان ذلك غالبا في سياق المجتمعات الصغيرة، وفي شأن نواح عالية التنظيم للحياة الاجتماعية، مثل القرابة، لكن، كلما كانت المجتمعات محل النظر اكثر تعقيدا، وكتابية، وتاريخية، كلما اصبح تحقيق النزع من السياق اصعب[١٩].

وتأسيساً على ما طرح في المبحثين الاول والثاني، ولبيان دور المكان في عملية الممارسة المنهجية للبحث الانثروبولوجي، فاننا نستجلي بعضا من المفاهيم الحارسة للتوجهات العراقية السابقة والتي طبعت الهوية الانثروبولوجية المحلية بخط عمل منفرد يعتمد البناء الاجتماعي والنسق والقبيلة والقرية والتغير الاجتماعي والمضيف والعصبية هي كلها مفاهيم عكست التجريدات المقتبسة من المدارس الغربية والمصرية وتجاوزت ان لكل بناء اجتماعي منظومة ثقافية تختلف باختلاف الاماكن ودلالاتها اللغوية.

المبحث الثالث:
الاتجاه الثقافي:

استحوذ مفهوم الثقافة Culture على حيز واسع من التوجهات التأسيسية للمدرسة الانثروبولوجية الأميركية التي سعت إلى فهم طبيعة المجتمعات البسيطة والمعقدة، وقد ارتبطت هذه الاهتمامات بمنهجية أنثروبولوجية جعلت من مفهوم الثقافة هوية معرفية (اتجاه نظري) وأداة تحليلية (منهجية اداتية) يرتكن إليها أهل التخصص في دراساتهم الميدانية.

وبما أن الثقافة ظاهرة نسبية، فإن المنهج والأبعاد النظرية هي نوع من النسبية المعرفية التي لا تعمل في كل المجتمعات، وعلى هذا الأساس اهتم العديد من الانثروبولوجيين بتوجهات بواس (النسبية الثقافية)، وبصور مختلفة، فقد قدم الفرد كروبر(A. Kroeber) فكرة المنطقة الثقافية بتوضيحه العلاقة الوثيقة بين العناصر الثقافية والبيئة،... وكان يرى أن المنهج التاريخي هو الوسيلة المناسبة للكشف عن الأنماط الثقافية، والتاريخ عندما يأخذ الباحث في اعتباره عنصري الزمان والمكان، فإلى جانب الدراسة التاريخية التي تعنى بدراسة الظواهر في أزمان متعاقبة، توجد دراسة تاريخية أخرى تعنى بدراسة زمن محدود في مجتمع معين كما يفعل الباحث في دراسته الحقلية، وهنا نجد أن الأعمال الانثروبولوجية وعلى وفق التصنيف السابق تعمد إلى معالجة الزمن في الأساس عبر أشكال إدراكه، والتصورات التي ينتج عنها، وطريقة احتسابه وإدارته وعلى مختلف الأصعدة[٢٠]. حيث يتجسد هذا النمط المنهجي في بعض الدراسات العراقية ومنها (القيم الحضارية واثرها في استعمال الزمن) و(الإيقونة في النمط الثقافي الفرعي)، ومما لاشك فيه في أنثروبولوجيا الزمن لا تنفصل عن أنثروبولوجيا المكان، ولكن الإشكالية تكمن في كيفية أو إمكانية الباحث الانثروبولوجي موضوعية في الفصل والجمع بين الزمن المنهجي والزمن الاجتماعي عندما ينتقل من المحسوس إلى المدوّن وخارطته المكانية.

أذن فأيديولوجيــة الثقافة موجودة في عقول أفرادهــا، ويتولــون نقلهــا من جيــل إلى جيل، ومن الممكن إخضاعهــا للتحليل ككيان موحد، ومثل هذا المدخل البواســي يساعد على تكوين صورة وصفية عــن الثقافات، ولكنه في الوقت نفســه يركز على الكيان الجماعي على حساب الفــروق الفردية وبالعكس، وعلى المعايير التي تحــدد ما ينبغي أن يكــون أكثر من الملاحظات التــي تتصل بمــا هو كائــن بالفعــل، وعلى ما يعتقده الأفراد أكثر من كيفية توفيرهم لوســائل معيشتهم[٢١].

وإلــى جانــب هــذه الاتجاهات التــي كانت متأثــرة بآراء بــواس ظهــرت اتجاهات أخرى أخذت خطــاً فكريــاً جديداً يحبــذ الوصول إلى القوانيــن والتعميمــات، ويبحــث عــن العلاقة الســببية، ويهتم بالعناصــر الاقتصادية والبيئة والتكنولوجيــة وتأثيرهــا فــي التغيــر الثقافي، وعلــى الرغــم من أن كلاً مــن ليزلي وايت .L White، جوليان ستيوارد J. Steward درساً في البداية على أيدي تلاميذ بواس إلا أن هوايت اتجــه بعد ذلك نحــو إحياء التطوريــة في حين اتجه ســتيوارد نحو دراسة التفاعل بين العوامل الثقافية والبيئية[٢٢].

لقــد أكــدت هــذه الاتجاهــات علــى جانب حيوي في دراســة وتحليل الثقافــة وهو التغير والتعقيد... حيث قدم وايت قانون للتطور يقول فيه أن الثقافــة تتطور وتتدرج في ضوء زيادة الطاقة المتاحة للاســتعمال الإنساني... فالثقافة هنا ما هي إلا نســق لانتاج الطاقة والتحكم فيها وهــي اســتمرارية زمنية للأشــياء والأحداث المعتمــدة علــى الرمزيــة، ويؤكــد وايت على اســتعمال مفهــوم الثقافــة عنــد أدوارد تايلور عندما يشــير إلــى الثقافة على أنهــا تتكون من الآلات والمعــدات وأدوات الزينة واللغة والفن وكل مــا يصنعه الإنســان، أمــا الرمزية فهي كمــا يقول وايــت، القدرة علــى الابتكار ومنح أو إضفــاء معانــي للأشــياء أو الأحداث، وفي نفس الوقت هي القدرة على التقاط هذه المعاني وتداولهــا[٢٣].

أما ســتيوارد فقد نظر إلى الثقافة من زاوية تفاعلهــا مع البيئة لتحقــق التكيف، وحلل عملية التفاعل بين العوامــل البيئية والعوامل الثقافية، واعتبــرت أن العوامــل الثقافيــة الأكثــر تأثيراً بالبيئة من حيث استغلالها والتكيف معها تشكل لب الثقافة Culture Core، وهي تتمثل بصفة أولية في التكنولوجيا والتنظيمات الاقتصادية... وأطلق ســتيوارد على اتجاهه اسم الإيكولوجيا الثقافية Cultural Ecology[٢٤].

وهنا نجد منهجية كل من وايت وســتيوارد تحتكم إلــى الانتاج والتبادل والاســتهلاك على وفــق بنيــة زمنية يراد منها فهــم عملية التكيف الاجتماعــي والتواصــل الثقافــي، وقد تجســد هــذا المنظــور فــي إطــار بعــض الدراســات الانثروبولوجية العراقية ومنها (ثقافة الاستهلاك في المجتمــع العراقي) و(الدليل والإشــارة في ثقافة الأسرة العراقية).

إن الجمــع بين التوجهات النظرية الســابقة الذكر فــي إطار منهجي موّحد ليســت بالعملية الهينة على صعيد السياقات المعرفية للتوجهات الأكاديميــة الانثروبولوجيــة، كــون بعــض الافتراضات النظرية والنماذج المجردة جاءت بصورة متعاقبة وعلى أســاس الانتقاد لما سبق

مـن توجـه نظـري، إلا أن هـذا لا ينفي وجود بعض المحـاولات الواضحة والمسـتترة على الصعيد المحلي.

فعلـى صعيـد الدراسـات الانثروبولوجية العراقيـة، جـاءت أطروحـة التعدديـة الأثنية دراسـة أنثروبولوجيـة فـي مدينة بغـداد لتقدم صورة مبدئية للجمع بين أطر المناهج وأبعادها النظريـة مـع ضمـان عـدم التقاطع، ويشـير الباحـث إلـى إمكانيـة اعتمـاد طريقـة فاعلة يسـميها بـ(الاجتزاء المنهجـي) Systematic Selection Approach، أي اجتزاء عناصر بعينها من مناهج عدة بما يتناسـب وموضوعة الدراسة والخروج بتوليفه تُعتمد في تحقيق هدف الدراسـة بمسـوغاتها الممنطقة علمياً[٢٥]. وقد جمع الباحث فـي منهجية الاجتزائية العديد من التوجهات النظرية المنتمية إلى مدارس متنوعة ومتقاطعة من دون أن تؤثر هذه التوجهات على المنهجية المسـيرة لهدف الدراسـة والميسـرة لـه والتي اهتمت بدراسـة التعدديـة الأثنية في المجتمع العراقي.

وتأسيسـاً على ما سبق ذكره في التوجهات النظرية السـابقة فإن عملية الجمع بين التنظير الإرشـادي والآليـة المنهجيـة علـى اختلاف أدواتهـا ودخـول الميـدان ومحاولـة تدويـن اللحظات العابـرة للحياة الاجتماعية والخروج بنصوص معرفية أوليـة تختلف من منهج إلى آخـر، ويمكـن حصـر المناهج التـي ارتكنت علـى التوجهات السـابقة ورسـم مقاربة تتيح لنـا الولـوج إلـى طبيعـة الإشـكالية المنهجية فـي الدراسـات العراقيـة، فالمنهـج التاريخي والمعرفي والاثنوجرافي والرمزي والوظيفي كلهـا مناهـج تـم اسـتخدامها فـي التوجهات السابقة، إلا أننا وجدنا هذا الاستعمال لم يختلف في العديد من الدراسـات العراقية المؤشرة في نموذج الدراسـات الثقافية ومثـال ذلك المنهج الاثنوجرافـي الـذي يختلـف من مدرسـة إلى أخرى، فالمدرسـة البريطانية الاجتماعية تفهم الاثنوجرافيـة بصـورة تختلف عن المدرسـة الأمريكية الثقافية.

إذ أن مصطلح (الأثنوجرافيا) مشـتق، شأن أغلب تسـميات العلـوم، من كلمتيـن يونانيتين أحداهما (أثنـوس) ومعناها شـعب، والأخرى (جرافيا) وتعني كتب، وصف[٢٦].

والملاحـظ أن عبارتـي أثنـولـوجيـا Athnology وأثنوجرافيـا Athnology أنهـا تسـتعمل بمعانـي متقاربة فـي المدارس الأنثروبولوجيا، وعند التمييز بينهما يشـار إلى الأثنوجرافيـا مهمة جمع المعطيات التي تحللها الأثنولوجيـا، وعندمـا قام ليفي سـتروس بنقل عبارة (أنثروبولوجيا) من المدرسـة الأمريكية إلى فرتسـا فرض على الأثنوجرافيا مهمة جمع المعطيـات، وعلى الأثنولوجيـا مهمة تحضير مادتهـا على صعيد المجتمعات الخاصة، وعلى الانثروبولوجيـا مهمة إجـراء التحليل المقارن للمجتمعـات والثقافات، وتغذية التأمل النظري، هكـذا تتدخل الأثنوجرافيا فـي المرحلة الأولى من العمـل الأنثروبولوجي (الدراسـة الحقلية) فعندمـا نتكلـم عن (منهـج اثنوجرافـي) نقصد مجمـل المناهـج الكيفية أو طرائـق البحث ولا نكتفـي بذكر منهج وصفـي، وبهذا الخصوص يصبح التحـدث عن منهـج اثنوجرافي بالمفرد مخادعاً بعض الشيء[٢٧].

ويبدو لنا على أساس الطروحات السابقة أن أي بحث أنثروبولوجي يتم بواسطة منظور أحادي وتقنية أدائية واحدة، يكون عاجزاً عن الإحاطة بكل جوانب الميدان، إذ تكون النتائج جزئية، وعلى هذا الأساس جاءت طروحات الانثروبولوجست كليفورد جيرتز Clifford Geertz في الدراسات الثقافية لتقدم منظوراً أثنوجرافيا يتعدى مرحلة الوصف أو جمع المعطيات لينتقل إلى بناء النصوص في الميدان وتشكيل النماذج التصورية الأولية ومقارنتها مع إدراك الأهالي لمجتمعهم إضافة إلى البناءات التي يشيدها المخبرين عن مجتمعهم، أي هي طريقة ذات معالم منهجية واضحة تقوم على أساس قاعدة (الوصف الكثيف) إذ تجمع بين استحصال المعطيات وتحليلها في فترة تزامنية يرتبط فيها البعد النظري بالميداني.

ومن منطلق اهتمام جيرتز بدراسة المعاني المتضمنة في الرموز أو الأفعال أو الأحداث أو الموضوعات، فإنه طور الدراسة الاثنوجرافية وعمقها وجعل منها منهجاً أطلق عليه الوصف المكثف Thich Description الذي هو جوهر المدخل التأويلي الرمزي[٢٨].

ويحدد جيرتز أربعة خصائص هامة تميز الوصف الأثنوجرافي المكثف وهي: أولاً: أنه تأويلي، ثانياً: أن ما يؤوله أو يفسره هو سياق الخطاب الاجتماعي، وثالثاً: التأويل يتضمن محاولة تأمين أو حماية ما (يقال) في مثل هذا الخطاب الاجتماعي من المواقف أو الظروف التي يمكن أن تمحوه وذلك من خلال تدوينه في حدود أو كلمات أو مصطلحات يمكن تتبعها، رابعاً أن مثل هذا الوصف يكون محلياً ومكثفاً ومن منظور تفصيلي دقيق Microscopic أو يسعى إلى الوصول إلى أدق التفاصيل[٢٩].

وتعمل منهجية الوصف الكثيف على مستويين، الأول: أنها تقدم تقارير مكثفة عن العالم الذي يعيش فيه الأفراد وهذه التقارير تكون من داخل المجتمع أو طبقاً لرؤى الأفراد أنفسهم أي تحليل من الداخل Emicanalysis. ثانياً: التفكير والتأمل بإمعان في الأسس المعرفية والفكرية لهذه التقارير بغرض استنتاج الرموز أو أنساق الرموز والمعاني المرتبطة بها ويعرف ذلك بتحليل من الخارج Etic Analysis يقوم به الباحث[٣٠].

وهكذا فإن مهمتنا المزدوجة والكلام لجيرتز هي في الكشف عن البنى المفهومية الكامنة خلف أفعال الأشخاص الذين نتابعهم، أي "المقول" في الخطاب الاجتماعي، وفي بناء نظام للتحليل تبرز في إطاره المميزات المكونة لهذه البنى، أي ما يتعلق بهم بوصفهم ما هم عليه، أما الاثنوجرافية فتمكن وظيفة النظرية في تقديم المفردات التي يمكن بواسطتها التعبير عما يعبر عنه الفعل الرمزي عن نفسه أي دور الثقافة في الحياة الإنسانية[٣١]. إذ نجد أن جيرتز جعل الصياغات النظرية المختلفة تحوم على علو منخفض فوق التأويلات التي تخضع لسيطرتها وبصورة غير مقيدة بحيث أن هذه التأويلات لن يمكنها أن تقدم أهمية كبيرة إذا فصلت عن تلك الصياغات... أن المهمة الأساسية لبناء النظريات هنا ليست في تعقيد الأشياء النظامية المجردة بل في التمكين من إجراء التوصيف.

وفيما يأتي بيان لأهم الدراسات الثقافية في هذا الاتجاه:

ت	الموضـوع	المكان	السنة
١	القيم الحضارية وأثرها في استعمال الزمن.	بغداد	1981
٢	الكاكائية – دراسة أنثروبولوجية للحياة الاجتماعية.	الموصل	1985
٣	اتجاهات الشخصية الفلسطينية المعاصرة في بغداد.	بغداد	1986
٤	العلاقات المتفاعلة بين المؤسسة الأسرية والمؤسسة الدينية وفق النظرية البنيوية الوظيفية – دراسة ميدانية في مدينة كركوك.	كركوك	2001
٥	ثقافة السجن - دراسة ميدانية أنثروبولوجية.	بغداد	2003
٦	أنثروبولوجيا السحر في المجتمع العراقي.	العراق	2003
٧	القيم الثقافية وأهميتها في الاتجاه نحو مهنة التمريض.	بغداد	2005
٨	سمات الشخصية الريفية المراقبة في الكتابات الاجتماعية الانثروبولوجية.	نظري	2005
٩	التعاون والتغالب في المجتمع العراقي – دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد – حي الجزائر أنموذجاً.	بغداد	2007
١٠	سوق مريدي – دراسة أنثروبولوجية ميدانية.	بغداد	2007
١١	ثقافة الفقر في المناطق المهمشة – دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد – سبع قصور أنموذجاً.	بغداد	2008
١٢	العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها في تكوين شخصية المرأة العراقية.	بغداد	2008
١٣	طائفة الكلدان في العراق – دراسة ميدانية في مدينة بغداد.	بغداد	2008
١٤	الثقافة الفرعية لمهنة العطارين – دراسة ميدانية في سوق الشورجة.	بغداد	2008
١٥	ثقافة الاستهلاك في المجتمع العراقي – دراسة أنثروبولوجية.	بغداد	2009
١٦	الثقافة والأمراض النفسية في المجتمع العراقي.	بغداد	2009
١٧	القيم الثقافية وتلوث البيئة الحضرية – دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد.	بغداد	2009
١٨	ثقافة العنف المسلح - دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد أنموذجاً.	بغداد	2010
١٩	ثقافة الفقر في منطقة الميدان – دراسة أنثروبولوجية.	بغداد	2010
٢٠	الأيقونة في النمط الفرعي – دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد.	بغداد	2010
٢١	العشوائيات في مدينة بغداد – دراسة أنثروبولوجية في منطقة حي التنك أنموذجاً.	بغداد	2011
٢٢	ثقافة العنف بين نزلاء السجون – دراسة أنثروبولوجية في تسفيرات الرصافة.	بغداد	2011
٢٣	الدليل والإشارة في ثقافة الأسرة العراقية – دراسة أنثروبولوجية ثقافية بمدينة بغداد.	بغداد	2011
٢٤	التعددية الأثنية – دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد.	بغداد	2011
٢٥	بنية العقلية العراقية – دراسة تأويلية من منظور الأنثروبولوجيا الثقافية.	بغداد	2012
٢٦	لعب الأطفال – دراسة أنثروبولوجية في مدينة الكوت.	الكوت	2012
٢٧	مجالس الملايات – دراسة أنثروبولوجية- منطقة جسر ديالى القديم أنموذجاً.	بغداد	2012
٢٨	الانعكاسات الثقافية للعولمة على المجتمع المحلي – دراسة أنثرولولوجية في قضاء الحويجة.	الموصل	2012
٢٩	الثقافات الفرعية والخطاب السياسي لأعضاء مجالس النواب في العراق – دراسة أنثروبولوجية.		2012

وعلى أساس الموضوعات المصنفة داخل الاتجاه الثقافي نقدم المخطط الذي يوضح طبيعة هذه الموضوعات وتوجهاتها التي تهتم بالمفهوم الثقافي بوصفه الدال والمتغير الذي يستند عليه ومن خلاله الباحثين في منهجية الدراسة.

مخطط رقم(٢)

وفيما يأتي بيان لأهم الخصائص التي تميزت بها منهجية الدراسات الثقافية:

أولاً: خصائص الموضوعات: على أساس المخطط رقم (٢) وكما هو موضح فيه أن الموضوعات تركز على المفهوم الأحادي أو ثنائية المفاهيم، إذ يرسم الباحث على أساس طبيعة الموضوع مجال الدراسة والمتغيرات، فالمواضيع الثنائية تحدد للباحث المتغيرات الثقافية التي يلاحقها في الميدان، ويتم بناء موضوع البحث نظرياً وميدانياً بواسطتها، أما الموضوعات ذات الطبيعة الأحادية تمكن الباحث من رسم ثنائية بين المفهوم ومكان الدراسة وبالعكس ليتسنى للباحث إجراء الدراسة على وفق هذا السياق.

وفي بعض الدراسات الانثروبولوجية (الحديثة) نلاحظ تطور في صياغة عناوين الدراسة وهو غير مفهوم في الغالب أو يحسب على أساس تحديد ميدان الدراسة داخل المدينة الحضرية، ومثال ذلك (التعاون والتغالب في المجتمع العراقي – دراسة انثروبولوجيا في مدينة بغداد – حي الجزائر أنموذجاً)، و(ثقافة الفقر في المناطق المهمشة- دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد – سبع قصور أنموذجاً)، و(ثقافة العنف المسلح- دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد أنموذجاً)، و(العشوائيات في مدينة بغداد – دراسة انثروبولوجية في منطقة حي التنك أنموذجاً)، و(مجالس الملايات – دراسة أنثروبولوجية – منطقة جسر ديالى القديم أنموذجاً). وتجدر الإشارة إلى أن اصطلاح الأنموذج في عنوان البحث يعني الدراسة التعميمية المقارنة والتي تتصف بها بعض الدراسات السوسيولوجية، أما التوجهات الأنثروبولوجية الثقافية والتي تركز على مبدأ النسبية الثقافية بكل سياق اجتماعي مهما كانت درجة القرب أو البعد من المجتمع ككل، ولا تتبنى التعميم المسبق، فهي أي الدراسات الانثروبولوجية الثقافية تعتمد على صناعة نموذج تجريدي من الواقع المعاش لإجراء مقارنة بينية بواسطة المبحوثين ونخبة من المخبرين إضافة إلى مدونات الباحث لصناعة أنموذج يتسم بالتجريد الأثنولوجي يفسر في مضمونه وبواسطته.

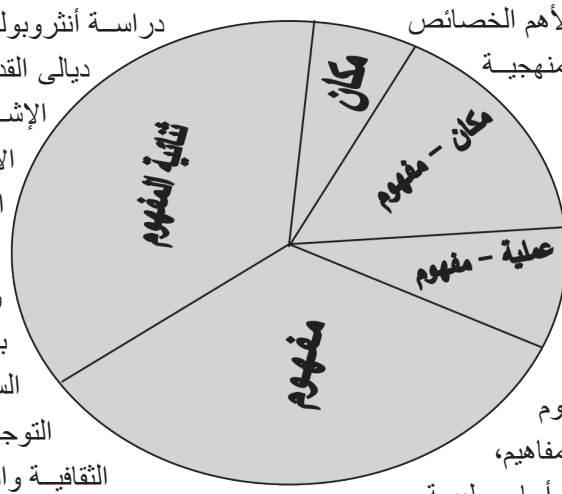

ثانياً: التفسير مقابل الفهم: لقد شغل هذا الموضوع العلوم الاجتماعية، ومازال يشغلها حتى الآن، العلوم الطبيعية تقوم على التفسير، أما العلوم العقلية فتقوم على الفهم، الأولى تفسر سببياً وتبحث في العلاقات السببية بين الظواهر، الثانية تحاول فهم دوافعهم ومغزاه[٣٢]،

إن التفسير يأخذ بأنموذج العلوم الطبيعية ويهمل بنية الواقع الاجتماعي، لكن الظواهر الاجتماعية تتكون وتفسر من خلال البشر، فهي ليست وقائع طبيعية موجودة، بل ظواهر ذات مغزى، فالهدف هو الفعل الاجتماعي ومغزاه[٣٣]. إذ نجد هذه الثنائية معمول بها داخل قسم علم الاجتماع على شكل صورة مقارنة بين المنهج الكمي الذي يشكل هوية السوسيولوجيا والمنهج النوعي الذي يشكل الانثروبولوجيا، إلا أن هذا التقسيم لا يمنع التداخل الذي حصل بين التخصصين.

وقد سارت بعض الدراسات الثقافية منهجياً باستعمالها النظرية البنائية الوظيفية بمنظورها الكلاسيكي (المماثلة العضوية)، بل أن الأمر تعدى ذلك ليدخل الاستعمال الإحصائي وبقوة تفسيرية ذات أبعاد سببية مبنية على الافتراض وبناء المقياس لموضوعة ثقافية لا يمكن قياسها كمياً بل نوعياً من خلال التوغل في الأنماط المعاشة، فالسلوك المعنوي لا يمكن تكميمه أو التنبؤ به بل يتشكل فهمنا له من خلال الوصف والمتابعة والتحليل المعمق. لكن التفسير والفهم لم يبقيا معبرين عن منهجين مختلفين رغم الاستخدامات الخاطئة، بل مكملين لبعضهما بعضاً، كما هو الحال في المنهج التأويلي. إلا ان عملية الموائمة بين التفسير والفهم قد تم تبنيها وبنجاح نسبي من دون الدخول في السببية الإحصائية عن طريق منهجية التوصيف الكثيف وآلية تحليل المضمون، أي استعمال الوصف وتفسير ما هو موصوف من خلال بناءات هرمية معرفية (تفسير النصوص المدونة)، اي العمل بالكم لكيفي

ثالثاً: جزئي مقابل كلي: إن البحث الكمي يدرس الظواهر الاجتماعية، لا البنى الاجتماعية، أي الأجزاء لا الكليات، والسبب في ذلك أنه يريد عزل هذه الظواهر عن سياقها الاجتماعي، ويخضعها للملاحظة والتجربة، أما البحث الكيفي فينتقد هذا المنهج، وينطلق من دراسة البنى الاجتماعية والثقافية والمجتمع كلاً[٣٤]. هذه القواعد معمول بها في الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية عندما كان ميدان الأولى المجتمعات الصغيرة البسيطة التي يسهل السيطرة عليها، أما في الجانب الآخر فتأتي في الدراسات السوسيولوجية والتي اتخذت من المدينة ذات المجال المكاني الواسع والتعقيد في الأنماط المجتمعية وطبقيتها، وبدخول الدراسات الانثروبولوجية المدينة بدأت شيئاً فشيئاً تستخدم المنهجية الجزئية للوصول إلى الكلية عن طريق تحديد ميدان الدراسة بموضوعة ثقافية مستندة إلى البعد المفاهيمي.

رابعاً: التداخل والتقاطع: يتشكل البحث الانثروبولوجي في العراق على أساس عنوان البحث الذي يحدد المدرسة التي يتبناها الباحث، فالأنثروبولوجية الاجتماعية تعني المدرسة البريطانية أي النظرية البنائية الوظيفية، والانثروبولوجيا الثقافية تعني المدرسة الثقافية واتجاهاتها النظرية المؤشر في النموذج الثقافي، بقي أن نشير إلى المدرسة الفرنسية التي لم يتبلور استعمال مفاهيمي يحدد المنهجية في العنوان، والسبب في ذلك باعتقادنا أن المنهج البنيوي يتجذر في اتجاهين، يمثل الاتجاه الأول ليفي ستراوس بمنظار تشترك فيه التصورات البنيوية بين المدرسة الفرنسية والأمريكية، أما الاتجاه الثاني فيمثله مارسل موس بمنظار معرفي

يتـوزع بيـن المدرسـة الاجتماعيـة البريطانية والمدرسة الفرنسية. وتأسيساً على ما سبق ذكره من توجهات المدرسة الفرنسية بصورة مختصرة فإننـا نجـد بعـض الدراسـات الانثروبولوجية استخدمت التوجهات النظرية والمنهجية السابقة بصورة مفردة أي وفق المدرسـة الفرنسـية أما الأعـم والأغلب فـي الدراسـات الثقافية وحتى دراسـات التغير الاجتماعي استخدمت توجهات هذه المدرسـة بصورة مشـتركة مـع توجهات المـدارس الأخرى، بل أن بعض الدراسـات لا يفرق بين البنائية الاجتماعية والبنيوية الإدراكية، مما أفقد المسـار البحثي أهميته من خلال الخلط والتضارب المفاهيمي والمنهجي.

نتائج البحث:

(١) ان منهجيـة الانثروبولوجيـا العراقيـة في بداية التأسيس (شاكر مصطفى سليم) كانت ذات طبيعـة اسـتقرائية وحوارية بالمعنى النظـري والمنهجي، ومن ثـم تحولت الى استقرائية تميل الى التكميم.

(٢) يشـكل البعـد المكانـي فـي الدراسـات الانثروبولوجية العراقية أهمية تنعكس على منهجية الدراسة، إذ نلاحظ أن مدينة بغداد حصلت علـى أكثر من سـبعين بالمئة من نصيب الدراسـات الانثروبولوجية، وهذا مؤشـر خطير يتضح في جوانب عدة منها ما يخص المنهجيـة وتطبيقاتها في المدينة بأسـلوب تقليدي، وأمـا الجانب الآخر فهو القصور في دراسـة المجتمع العراقي ككل وفهم ثقافاته الريفية والحضرية والهامشية، بل أن دراسة الأثنيات والأبعاد الاقتصادية تحتاج إلى توسع كبير يسهم في حل العديد من الإشكاليات الموجود حالياً.

(٣) إن المنظـور الكلاسـيكي للبنائية الوظيفية أخذ حيزاً واسعاً في دراسات القرية والتغير الاجتماعـي وحتـى نمـوذج الدراسـات الثقافية، والإشـكالية تكمـن في تركيز هذا الاتجـاه على فهـم كيف يتـوازن المجتمع (النظرة السـلوكية)، في مقابل ذلك نحتاج فـي مجتمعنا العراقـي إلى فهم لمـاذا هذا التوازن التقليدي وعدميـة التغير المبرمج لخلق مجتمع متجدد.

(٤) إن اسـتعمال الفرضيـة فـي الدراسـات الانثروبولوجية لا يؤشـر إشكالية منهجية إلا عندمـا يتحـول الافتـراض النظـري إلـى حكم مسـبق يؤطـر مسـيره البحث، بمعنى انـه يتوجب علـى الانثروبولوجي اسـتعمال الفروض كآلية منهجية لتفسـير المعطيات الميدانية، وليس كآلية لرسـم أو تصويـر المعطيات، وقد تتحول الكثير من الافتراضات التي تحتويها مفاهيم الدراسة إلـى تعاريف إجرائية كمـا هو موجود في بعـض الدراسـات المؤشـرة فـي نموذج القريـة، إذ يتخذ بعـض الانثروبولوجيين افتراضـا مسـبقاً، وعليه يتوجـب معالجة هـذه الإشـكالية فـي منهجيـة الدراسـات الأنثروبولوجية.

(٥) على اساس الترسيمات الموجودة في المباحث الثلاثة، فان مسـيرة البحث الانثروبولوجي العراقـي تبلورت على وفق ثنائيات تجسـد مواضـع بحثها، ومنهـا: (المكان: دراسـة انثروبولوجيـة)، (مفهـوم/ عملية: دراسـة انثروبولوجيـة)، (مفهـوم/ مفهوم: دراسـة انثروبولوجيـة)، وهـذا يؤشـر تأثير صغر المكان واتساعه على منهجية البحث.

(٦) التداخل المنهجي في الإطار النظري وعدم الفصل بين النظرية والمنهج، إذ يأتي التناول في السياق النظري على أساس الموضوع المقترح للدراسة بافتراض مسبق.

(٧) العرض التقليدي لأدوات البحث الأنثروبولوجي وعدم تزويدها بمفاهيم حديثة تمكّن الباحث بالخروج بنتائج مهمة.

(٨) التوسع في الجانب النظري على حساب المهمة الأساسية للبحث المتمثلة بدراسة مكان محدد أو موضوع محدد داخل سياق اجتماعي، ففي أغلب الدراسات وجدنا سبعين بالمئة من هيكل الدراسة يركز على فلسفة العلم ويتجاوز فلسفة الميدان.

(٩) عدم تحرر الدراسات الأنثروبولوجية من الوصاية السوسيولوجية، إذ نلاحظ أن تراث المدرسة الأنثروبولوجية الاجتماعية نُقل إلى المدرسة العراقية ومن هذا التراث توجهات براون في (علم الاجتماع المقارن).

(١٠) في الغالب يأتي اختيار موضوع البحث على أساس مهنة الباحث، أو مكان سكنة، أو نمطه الثقافي، مما أدى إلى اختزال الخيال التحليلي بشخصية الباحث، فضلا عن ارتباط زمن المعايشة الفعلية بالمجتمع نفسه، اي ان الباحث من مجتمع الدراسة نفسه، اي عدم توفر شرط التغريب المنهجي، وهو شرط اساس لفهم المعطيات وانتاجها.

(١١) تعاني معظم دراسات القرية والتغير الاجتماعي من إشكالية بناء تساؤلات إجرائية مستخلصة من المدرسة البنائية الوظيفية.

(١٢) تزايد الاهتمام بالدراسات ذات الطابع الكمي على حساب التوجهات النوعية.

(١٣) تزايد الاهتمام بالدراسات الثقافية في المدينة مما أعطى زخماً نظرياً للتوجهات الأنثروبولوجية العراقية، إلا إن الإشكالية تكمن في عدم السيطرة على الميدان وبمنظور تقليدي.

(١٤) التداخل في المفهوم الأثنوجرافي، فعندما نتكلم عن منهج أثنوجرافي نقصد مجمل المناهج التجريبية أو طرائق البحث ولا نكتفي بذكر منهج وصفي، وبهذا الخصوص يصبح التحدث عن منهج أثنوجرافي بالمفرد مخادعاً بعض الشيء، إذ نجد أن أغلب الدراسات الأنثروبولوجية العراقية تطلق على الأثنوجرافيا منهجاً وهي آلية للبحث.

(١٥) إن اشتقاق الأسئلة التي يعتمد عليها الباحث من النظرية، وبتصورات مسبقة بين البناء الاجتماعي والوظائفية التي تشكل ديمومته واستقراره تعدّ من أهم السمات التي ادت الى نمطية التوجهات الانثروبولوجية العراقية.

(١٦) غياب ثنائية الموقع والواقعة التفاعلية في الاعمال الاثنوجرافية لنموذج القرية والتغير والاكتفاء بالمكان الشمولي، وهذا يؤكد ان معظم الدراسات الانثروبولوجية العراقية ذات طبيعة مونوغرافية ابتعدت عن الغرض من التوصيف.

(١٧) امتداد تأثير المفاهيم الحارسة في الدراسات الانثروبولوجية العراقية من الريف الى المدينة مع بعض التغير، مثال ذلك (شبكة العلاقات الاجتماعية في المدينة)، و(تغير السلطة الابوية في منطقة الكرادة).

مصادر البحث

- إدريس سالم الحسن، من قضايا الانثروبولوجيا المعاصرة، بارث والوظيفية و المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت،العدد ٢٧٤٠.

- آدم كوبر، الثقافة التفسير الانثروبولوجي، ترجمة: تراجي فتحي، عالم المعرفة، الكويت، ط١، ٢٠٠٨.

- السيد حافظ الأسود، الأنثروبولوجيا الرمزية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٢.

- أيكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري، حسن الشامب، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٢.

- بروملیه بودلین، الأثنوس والتاريخ، ترجمة: طارق معطراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨.

- بيار بونت، ميشال إيزارن معجم الأثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة: مصباح حمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦.

- حسن مبارك طالب، تأصيل المنهج في العلوم الاجتماعية، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المجلد ١٦، العدد٣٢، ٢٠٠١.

- حسين فاضل سلمان، تحضر الضواحي، دراسة انثروبولوجيا الحضرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم الاجتماع،٢٠٠٣.

- حسين فهيم، قصة الانثروبولوجية، فصول في تاريخ علم الإنسان، الكويت، عالم المعرفة، مطابع الرسالة، ١٩٨٦.

- شاكر مصطفى سليم،الجبايش، دراسة انثروبولوجية لقرية في أهوار العراق، بغداد، مطبعة الرابطة، ٩٥٦، الجزء الأول.

- طوني بينيت، لورنس غرو، ميغام موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.

- عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع الإشكاليات، التقنيات، المقاربات، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

- عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٧.

- عبد الوهاب خزعل عبد الباقي، التعددية الأثنية دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١.

- كليفورد جيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة: د. محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٩.

- محمد سليمان الحداد، محمود يوسف

النجار، الانثروبولوجيا مقدمة في علم الإنسان، المطبعة الدولية، الكويت، ١٩٨٨.

- مشير باسيل عون، الغارة الفلسفية، بحث في تاريخ علم التفسير الفلسفي الغربي، دار المشرق، بيروت، طبعة أولى، ٢٠٠٤.

- مصطفى عمر، إشكالية المنهج في الانثروبولوجية، دار العلم للتنوير، القاهرة، د.ت.

- ياس خضر عباس العباس، الدليل والإشارة في ثقافة الإنسان العراقي، دراسة أنثروبولوجية ثقافية بمدينة بغداد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١، ص٩٥.

- شاكر مصطفى سليم، الجبايش، دراسة انثروبولوجية لقرية في أهوار العراق، ج١، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٦.

- علاء الدين جاسم، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار التربية، بغداد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥

- فاروق اسماعيل المدخل إلى الانثروبولوجية النظرية والمنهج، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٨٧.

- فتحية محمد إبراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، الثقافة والبيئة مدخل إلى دراسة الأيكولوجيا الثقافية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٨.

- فتحية محمد إبراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، دار المريخ، الرياض، ط١، ١٩٨٨.

- مهنا يوسف حداد، الأنثروبولوجيا الدينية أو العلاقة البنائية بين ظاهرتي الحضارة والديانة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، عمان، ط١، ٢٠١١.

- جيامبيترو جوبو، اجراءات البحث الاثنوجرافي، ترجمة: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦.

هوامش البحث

(١) عبد القادر عرابي, المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية, دمشق, دار الفكر, ٢٠٠٧, ص٤٥.

(٢) ينظر: شاكر مصطفى سليم, الجبايش, دراسة أنثروبولوجية لقرية في أهوار العراق, بغداد, مطبعة الرابطة, ٩٥٦, الجزء الأول.

(٣) المصدر نفسه, ص١٢-١٣.

(٤) حسين فاضل سلمان، تحضر الضواحي: دراسة انثروبولوجيا الحضرية, رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم الاجتماع،٢٠٠٣، ص٨٤.

(٥) حسين فاضل سلمان، تحضر الضواحي، المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٦) فاروق اسماعيل المدخل إلى الانثروبولوجية النظرية والمنهج، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٨٧, ص٢٤٧.

(٧) فاروق اسماعيل المدخل إلى الانثروبولوجية النظرية والمنهج، مصدر سابق، ص٩.

(٨) طوني بينيت, لورنس غرو، ميغام موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، بيروت, مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى, ٢٠٠١, ص٦٩٢.

(٩) مبارك أحسن طالب, تأصيل المنهج في العلوم الاجتماعية, المجلة العربية للدراسات الأمنية, المجلد ١٦، العدد٣٢, ٢٠٠١, ص٢٩٥-٢٩٦.

(١٠) مصطفى عمر, إشكالية المنهج في الانثروبولوجية, مصدر سابق، ص١٦٠.

(١١) علاء الدين جاسم, علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق, دار التربية, بغداد, مؤسسة الأعلمي, بيروت, الطبعة الأولى, ١٩٧٥, ص٩.

(١٢) علاء الدين جاسم مصطفى, التفسير في العلوم الاجتماعية، دراسة في فلسفة العلم, مصدر سابق, ص ٧٧.

(١٣) جيامبيترو جوبو، اجراءات البحث الاثنوجرافي، ترجمة: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٩١.

(١٤) ينظر: إدريس سالم الحسن، من قضايا الانثروبولوجيا المعاصرة, بارث والوظيفية، المجلة العربية للعلوم الانسانية, جامعة الكويت، العدد ٢٧٤٠, ص.

(١٥) إدريس سالم الحسن، من قضايا الانثروبولوجيا المعاصرة، بارث والوظيفية, مصدر سابق, ص٤٦.

(١٦) عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٧، ص١٢٨.

(١٧) عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص١٩٨.

(١٨) جيامبيترو جوبو، مصدر سابق، ص١٩١.

(١٩) مجموعة من الباحثين، كيف نقرأ العالم العربي، ترجمة: شريف يونس، دار العين للنشر، الاسكندرية، ٢٠١٢، ص٣٣ – ٣٤.

(٢٠) بيار بونت، ميشال إيزارن معجم الأثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة: مصباح حمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦، ص٥٣١.

(٢١) فتحية محمد إبراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، الثقافة والبيئة مدخل إلى دراسة الأيكولوجيا الثقافية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٨، ص٢٢.

(٢٢) فتحية محمد إبراهيم، مصطفى حمدي الشنواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، مصدر سابق، ص٣١.

(٢٣) محمد سليمان الحداد، محمود يوسف النجار، الانثروبولوجيا مقدمة في علم الإنسان، المطبعة الدولية، الكويت، ١٩٨٨، ص٢٢٩.

(٢٤) محمد سليمان الحداد، محمود يوسف النجار، الانثروبولوجيا مقدمة في علم الإنسان، ص٣٢.

(٢٥) عبد الوهاب خزعل عبد الباقي، التعددية الأثنية: دراسة أنثروبولوجية في مدينة بغداد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١، ص٩.

(٢٦) بروماليه بودلين، الأثنوس والتاريخ، ترجمة: طارق معطراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٨، ص٨٨.

(٢٧) بيار بونت، ميشال إيزار، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، مصدر سابق، ص٢٢.

(٢٨) السيد حافظ الأسود، الأنثروبولوجيا الرمزية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٢، ص١١٦.

(٢٩) السيد حافظ الأسود، الأنثروبولوجيا الرمزية، مصدر سابق، ص١١٦.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٣١) كليفورد جيرتز، تأويل الثقافات، مصدر سابق، ص١٢٢.

(٣٢) عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٧، ص٧٨.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٣٤) عبد القادر عرابي، المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية، مصدر سابق، ص٨٤.

Anthropological methods A critical approach

Asst. prof. Dr. Hussein Fadhil Silman

Abstract

This paper will discuss the methods used in Iraqi anthropological studies, its development, function and crystallization over time. It's obvious that each discipline in social sciences has its own identification which play essential role in determining the methods and the implementation procedures which is usually derived from the theoretical background as well as the field.

This paper based on few questions, that leads to understand the differences between theory and practice in two ways:

1- What is the theoretical background of the anthropological studies, which has used in interpreting social phenomena?

2- What is the effects of the time and space on the process of crystalizing anthropological identity among Iraqi Anthropologists?

The paper, however, pointed out some contradicted methods that recently used in this field as follow:

1- The topic appointed usually on the base of the researcher's occupation, place of living or subculture belonging, which is simplified the problem and encourage the subjectivity view, as well as reduce the critical sensitivity

2- The place factor has its wrong doing in most Iraqi anthropological studies, as Baghdad city alone has more than 70% of the recent studies. The focusing on Baghdad may encourage researchers to copy each other and neglect other part of the Iraqi society.

3- The use of hypothesis in anthropological studied is a problematic issue, especially when the presumption become prejudgment, which often leads to a nasty bias and false outcomes

Deductions

Throughout this paper, the researcher concluded that the Iraqi anthropologists represents different theoretical approaches; on one hand one party follow American approaches and the other party follow British approaches, which in, somehow, create two contradicted way of investigating methods, nevertheless, the Iraqi anthropology is not westernized by all means, instead they often follow the Egypt ion school which is not far from the westernization impact

إشكاليات الدرس الانثروبولوجي في العراق
((رؤيا نقدية))

أ.م.د فريدة جاسم داره(*)

أ.م. د. ذكرى جميل محمد حسين(**)

ملخص:

من المستحيل قراءة مسيرة علم الانثروبولوجيا في العراق في ضوء المتاح من الوقت لهذه الدراسة ولذلك آثرنا ان نبدأ برؤية عامة تعكس حقيقة ان العناوين التي تزدحم بها ادبيات الانثروبولوجيا تعبر عن درجة من الفوضى الاصلاحية و غموض الاطر المرجعية التي ربما تجاوزتها الدوائر العلمية في بعض المجتمعات الا ان ظلالها القاتمة مازالت ملقاة على هوية العلم في العراق.

ان مراجعة تلك المسيرة تطلبت العودة الى التاريخ الذي ابتدأ حوالي منتصف خمسينيات القرن الماضي مقترنابجهود رواد مثل الدكتور علي الوردي و الدكتور حاتم الكعبي و الدكتور شاكر مصطفى سليم وقد كان للأخير فضل البدء بأولى خطوات مسيرة العلم من خلال منجزات علمية مهمة كان اولها اطروحته الجبايش ثم القاموس المهم الذي اصدرته له جامعة الكويت.

لم يكن من الانصاف ان نتغاضى عن جهود استاذين كبيرين هما الدكتور قيس النوري والدكتور علاء الدين جاسم اذ انه معظم الانثروبولوجيين العاملين اليوم هم من الذين تتلمذوا على ايديهما في قسم (علم الاجتماع الأم) الذي مازال حتى اللحظه الحاضنة الرئيسة للانثروبولوجيا في العراق رغم تأسيس قسم للانثروبولوجيا في كلية الاداب بالجامعة المستنصرية.

ان تأسيس ذلك القسم وما واجهته الدراسة الانثروبولوجية في قسم علم الاجتماع بكلية الاداب جامعة بغداد جعلنا نطرح اسئله ضرورية عن علاقة الانثروبولوجيا بعلم الاجتماع وما اذا كان من المفيد انقطاعهما عن بعضها او توأمتهما كحقلين يكمل أحدهما الاخر كذلك مررنا على ما أسميناه الاشكاليات التي تعيق الدرس الانثروبولوجي في العراق نأمل ان تكون الدراسة مفيدة كمادة للحوار والمناقشة وليس على اساس ان الاراء التي وردت فيها من المسلمات. شاكرين لبيت الحكمة مبادرته المهمة ودوره في تطوير العلوم الاجتماعية في بلد يحتاجها اشد الاحتياج.

(*)،(**) الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب.

المَقدمـة:

ارتبـط ظهـور الـدرس الانثروبولوجـي في العـراق تاريخيا بالدكتور شـاكر مصطفى سـليم الـذي درس فـي جامعـة لنـدن وحصل منهـا علـى درجـة الدكتـوراه عـن اطروحته المعروفة (الجبايش) ويعد د. شـاكر سليم، اول مـن حاول تقريـب هذا الحقل مـن الطلبة ومن عوام الناس ايضا حين القى سلسلة محاضرات جمعها فيمـا بعد تحـت عنوان(محاضرات في الانثروبولوجي) ونشرها عام ١٩٥٩ في بغداد.

على امتداد ستة قرون ظلت الانثروبولوجيا لصيقـة بعلـم الاجتماع سـواء على مسـتوى التدريـس او الكتابـة التعريفيـة الا ان ذلك لم يمنع او يحول دون تطورها واتسـاع مجالات اهتمامهـا واقبـال الطلبـة علـى موضوعاتها فاصبح قسـم الاجتماع في كلية الاداب/جامعة بغـداد يوفـر للطلبـة فرصـة الحصـول على شـهادة بمسـتويات البكلوريوس والماجسـتير والدكتـوراه (الـى ماقبل سـنوات قليلة) بل ان قسـما خاصـا بالانثروبولوجيـا انشـئ بكليـة الاداب بالجامعة المستنصرية وهو تطور لافت يعكـس الاهمية التي حظي بهـا العلم، على ان ذلـك كله لم يكن يمضي على طريق من حرير لان العلم _اي علم_ لايمكن ان ينمو وان يتقدم ويثمـر الا اذا وجد بيئة تتوفر فيها التسـهيلات المناسبة وفي مقدمة ذلك المؤسسات والمراكز العلمية وفرص النشـر ومنابر النقاش والحوار والمؤتمرات وغيرها ومن المؤسـف القول ان علـوم الانسـان والمجتمع لم تجد فـي العراق مثل هـذه البيئة وان اسـاتذة وطلبة هذه العلوم يغتربـون عنهـا وترهقهم مشـاعر العجز عن الابداع فيها.

في هذه الـدراسة نؤسس لقضيتين رئيستين:

أولهمـا: اننـا في هذه المرحلـة، وفي ضوء مخرجات نصف القرن الذي مضى وعقد من هذا القرن مازلنا لم نفك الاشتباك بين الانثروبولوجيا وعلـم الاجتمـاع، واذا كان ذلـك بمثابـة نتيجة فرضت على مسـيرة العلمين، فان هذه الدراسة تستند الى رؤية مفادها ان من غير العملي اقامة تمييز يجعل كلا من العلمين معزولا عن الاخر.

ثانيهـا: ان هنـاك اشـكالات مهمـة تواجه الانثروبولوجيا وينبغي النظر اليها بموضوعية وصراحة والعمل على ايجاد حلول مناسبة لها.

فـي سـياق القضيتيـن المشـار اليهما كان لابد مـن التدليل علـى ان القرابة بيـن العلمين هـي تحصيـل حاصـل حتـى فـي دول اخرى وان الاصـرار علـى القطيعة التامـة بينها هو نـوع مـن الانتقائية؟ التي لا تنسـجم مع منطق العلـم والعقلانيـة. ان وجـود اقسـام مسـتقلة للانثروبولوجيـا قـد يكـون دليـلا على نشـاط اسـاتذتها لكنـه بالتأكيـد لايكفي وحـده بل لابد مـن اثبات فرضيـة مفادهـا ان الانثروبولوجيا فـي العراق قـد اصبح تعبير عـن حاجة حقيقة للمجتمع العراقي في ضوء تحولاته الراهنة.

اولا – الانثروبولوجيا وجدل العناوين:

لكـي يقدم الدكتور قيـس النوري تصوراته عـن مـدارس الانثروبولوجيـا فانـه يـرى ان بدايات هـذا العلم ترجـع الـهيرودوتس(٤٨٤-٤٢٩ق.م) وهـو مـؤرخ يونانـي سـمي ابـو التاريـخ ويعـد الاب الاول للأنثروبولوجيا [١]. وفي كتابـه عن طبيعة المجتمع البشـري يقول ان الانثروبولوجيـا: هـي كلمـة اغريقية تعني (علم الانسـان). فالأنثروبولوجيا غير المنظمة

ترجع الى عهد اليونانيين القدامى الذين نشطت رغبتهم في دراسة علم الأثار والاثنوغرافيا بحكم اتصالهم بالجماعات (الهمجية) و(البربرية)[٢]. يقول (الدكتور شاكر مصطفى سليم) ان الانثروبولوجيا تعرف تعريفات مختلفة وتوصف بأوصاف عديدة ويكاد كل كتاب انثروبولوجي ان يأتي بتعريف جديد. فهو (علم الانسان) و(علم الانسان وافعاله وسلوكه) و (علم الجماعات البشرية وانتاجاتها) و(علم الحضارات والجماعات البشرية) و(وعلم الانسان من حيث هو كائن طبيعي واجتماعي) وقد يوصف هذا العلم بانه (علم ما اهملته العلوم الاخرى)[٣]. ان مثل هذه التعاريف لاتفضي الى اي عنوان محدد.

حتى حين نقرأ تعريفا لعالمة شهيرة في هذا الحقل وهي مارغريت ميد التي تقول: نحن نصف الخصائص الانسانية البايولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الازمان وفي سائر الاماكن ونحلل الصفات البايولوجية والثقافية المحلية كأنساقمترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنلوجية ونعنى ايضا ببحث الادراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته.... الخ[٤].

اقول حتى لو نظرنا وتأملنا في هذا التعريف سنجد انفسنا بأزاء حقل يفتقر الى الحدود الدنيا للوضوح والتميز. في بداية قاموسه المعروف عرف الدكتور شاكر مصطفى سليم الانثروبولوجيا تعريفا بسيطا يبدو انه كان محل رضا من بعض المتخصصين.أذ يقول الدكتور سليم ان: الانثروبولوجيا علم دراسة الانسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا.

تتكون الانثروبولوجيا المعاصرة– من وجهة النظر البريطانية– من الانثرو- الطبيعية والانثروبولوجياالاجتماعية التي تضم الانثرو الحضارية كفرع من فروعها والانثرو التطبيقية والأثنولوجيا[٥].

ويذهب اخرون ان التقصي المعجمي يظهر تقاطع – ان لم نقل تداخل – عدة مصطلحات: السوسيولوجيا، الاثنوغرافيا،الاثنولوجيا ثم الانثروبولوجيا.

يذكر الدكتور حسين فهيم – تبعا للتقاطعات الواضحة بين الاثنولوجيا والاثنروغرافيا ان مايدرجه الامريكيون تحت عبارة الانثروبولوجيا الثقافية يصطلح الفرنسيون على الاشارة اليه بالاثنولوجيا او الاثنوغرافيا في بعض الاحيان وهم يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع. اما الانكليز فقد اختاروا تسمية اخرى هي الانثروبولوجيا الاجتماعية ونظروا اليها بوصفها علما قائما بذاته.

يرى اخرون ان السوسيولوجيا تصبح تخصصا للاثنوغرافيا على حد تعبير ليفي شتراوس غير ان اخرين يعتقدون بان الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع يختلفون في مجال ابحاثهما فالأولى تدرس المجتمعات المتجانسة اما الثانية فتدرس المجتمعات المعقدة[٦].

ماهي وجهة النظر السائدة في العراق؟

من الاجابات الواضحة في الادبيات العراقية ما اورده الدكتور قيس النوري بالقول: تكاد العلوم الاجتماعية والانسانية تشترك في ظاهرة مركزية واحدة تتمثل في القلق التنظيري والمنهجي الذي يجعل اساليب البحث فيها غير مستقرة ومثيرة للجدل ومراعاة للانقسام، فقد انقسم الباحثون منذ نصف قرن بين متعصب للتوجه الثقافي Cultural Approach كونه ضمن الامبريقية

وموضوعية البحث بينما فضل آخرون التوجه الاجتماعي Social Approach الذي رأوا فيه ضمانة اكبر للسيطرة الميدانية ومع ذلك فان النوري اذ ينتقد طريقة (الملاحظة بالمشاركة) كأداة لجمع البيانات في الدراسات الحقلية يلجأ الى عالم الاجتماع الفرنسي بييربورديو الذي انتقد المنهجية الأثنوغرافية من خلال مهاجمة تعبير الملاحظة بالمشاركة وما يصحبه من ايحاءات نرجسية طموحة وغير واقعيةمما دعاه الى طرح مفهوم (الموضوعاتية بالمشاركة) منتهيا الى ان بورديو شدد على وحدة الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع داعيا الى تسوية وموائمة وجهات نظرهما واهدافهما المركزية كما اثنبورديو على اعمال ليفي شتراوس داعما النموذج البنيوي المعدل الذي طرحه بديلا عن الرؤى الشكلية الجامدة للبنيويين الكلاسيكيين البريطانيين فضلا عن دور شتراوس في دفع الفرنسيين الى التخليعن مصطلح اثنولوجي وتبني مصطلح انثروبولوجي بديلا عنه[٧]. غير ان الدكتور متعب مناف يبدو في حال تفضيل لثنائية الانثروبولوجيا / الاثنولوجي مع انه في الوقت ذاته يشير الى ان دراسات الانثروبولوجيين / الاثنولوجيين اثرت في نظرائهم اذ اقتربت الاثنولوجيا التي لم تقف عند حدود دراسة المجتمعات المختلفة / التأريخية الى دراسة (اثنو انثروبولوجيا) او في الأقل ثقافية انثروبولوجية ويرى الدكتور مناف ان الدراسات الانثروبولوجية تدخل في نزاع مع السوسيو لوجيا حين يتعلق الامر بدراسة المجتمعات المصنعة[٨].

بالمقابل كان الدكتور شاكر مصطفى سليم يستخدم مصطلح الانثروبولوجيا بالترادف مع مصطلح الاثنولوجيا حين يشير الى الحاجة الملحة الى القيام بكثير من الدراسات الانثروبولوجية لان بلدنا يزخر بعدد كبير من المجتمعات والشعوب المتأخرة[٩].

كل ما تقدم يظهر حقائق جلية لعل أهمها:

أ- ان الادبيات الانثروبولوجية تظهر تداخلا معقدا بين المصطلحات ويبدو من خلال مراجعة تلك الادبيات ان تقاليد كل بلد (بريطانيا و امريكا مثلا) رسخت توجهات معرفية معينة قد لاتتطابق مع توجهات - البلد آلاخر.

على سبيل المثال ان الانثروبولوجيا الاجتماعية وتحت تأثير رادكيف براون حاولت ان تكون علم اجتماع مقارن تدخل ضمن مجالاتها الاثنولوجيا وعلم الاجتماع بوصفهما مجالين معرفيين اساسيين. وفي فرنسا فان الانثروبولوجيا الاجتماعية و الاثنولوجيا اصبحتا مرادفين لاثنولوجيا المدينة واثنولوجية الريف وفي بعض الجامعات الامريكية هناك رفض لهذا التقسيم مع التأكيد من قبل هذه الجامعات على ان الانثروبولوجيا الاجتماعية تدرس المجتمع من خلال وظائفه الحيوية ومن خلال نزاعاته وصراعاته وتغيراته وقد وضعت هذه الجامعات كذلك تمييزا بين الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية مؤكدة على ان الاخيرة تهتم بالاعمال الابداعية والفنية وكذلك بالرموز كالاساطير والطقوس الدينية و التقسيم الطبقي و الايديولوجيات[١٠].

ب- اننا في اي مراجعةلهذه الادبيات نجد ان كبار اساتذة العلم يركزون على الصلة الوحيدة بين الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع. وفي اعتقادنا ان التجربة الاجتماعيةللانسان وتكوينه البايولوجي تقود علوم الانسان والمجتمع (الانثروبولوجيا – علم الاجتماع – علم النفس –البايولوجي خاصة) الى مدخل منهجي ومعرفي مركب ومتكامل.

ثانيا - المرجعيات العلمية للانثروبولوجيا في العراق:

١- في التاريخ:

مـن مقـولات علـم اجتمـاع المعرفـة ان المجتمع الانسـاني هو البيئـة التي تظهر وتنمو فيها الافكار المختلفةايا كان قربها او بعدها عن العلـم اذ مـن الصعب احيانـا ان تفض التداخل المعقد بين العلم واللاعلم او بين العلم والفلسفة.

واذا كان هنـاك ثمـة ربـط بيـن العلـم والابسـتمولوجيا والتاريخ فان هناك ايضا ربط بينهمـا وبيـن التحليـل اللغوي والسـايكلوجي والسوسـيولوجي والانثروبولوجـي[١١]. فـي العـراق نلاحظ هذا التداخـل بين عدد من علوم الانسـان والمجتمع فـي لحظة تأريخيـة فارقة تجسـدت في العقد الخامس مـن القرن الماضي وهي لحظة تقع خارج المفهوم العرضي للصدفة لتعبر عن واقع معين سادت مؤشراته في العراق آنـذاك وليس مـن المبالغة التأكيـد على ان تلك العلوم وخاصةالسوسـيولوجيا والانثروبولوجيا كانت بمثابة مخرجات لتحولات عميقة شـهدها المجتمع العراقي أفضت حتى الى تغيير النظام السياسي عام ١٩٥٨.

بـدأ أول تداخل بين عدد من علوم الانسـان والمجتمـع ومنها الانثروبولوجيـا في البدايات الاولـى لعقد الخمسـينيات اذ صدر عام ١٩٥٠ كتـاب فـي علـم الاجتمـاع تضمـن فصـولاً انثروبولوجيـة عديدة منها على سـبيل المثال: نظريـة الجنـس وتعـدد الاجنـاس وتصنيفهـا والجنس والحضارة والتطور الاجتماعي فضلا عن فصول عن الحضـارة. والحضارة والتقدم وغيرهـا[١٢]، ومـا ان عاد الرعيـل الاول من الطلبة الذين تلقوا علومهم في أمريكا وبريطانيا حتى شـهد العراق إزدهاراً فـي ادبيات العلوم الاجتماعيـة تمثلت باول خطاب سوسـيولوجي قدمه الدكتور علي الوردي عن شـخصية الفرد العراقي سنة ١٩٥١.

عيـن الوردي في كلية الآداب سـنة ١٩٥٠ و غالبـا مـا يرتبـط تأسـيس قسـم الاجتمـاع والانثروبولوجيا باسمه وبجهوده. كان الدكتور علـي الـوردي مهتمـا بالجانـب الميداني قدر إهتمامه بالجانب النظري ويمكن القول انه كان انثروبولوجيا بقدر ما كان سوسيولوجيا وقد عمل على تنويع التخصصات مقترحا ان يكون قسم/ علم الاجتماع من ثلاثة فروع لم تكتمل حينها، بل اكتملت فيما بعد، وهي فروع الاجتماع والخدمة الاجتماعية ثم الانثروبولوجيا. لقد أراد الوردي بالخدمة الاجتماعية وضع نواة لفروعهاالثلاث (خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع) فيما أراد بالانثروبولوجيا التأكيد على الدراسـة الميدانية للمجتمعات المحلية الريفية والحضرية مع البحث لإيجاد حلول لمعالجة المشكلات[١٣].

مـن المعلوم ان كلية الملكـة عالية كانت قد ضمـت فـي مناهجها مـادة علم الاجتمـاع منذ سـنة ١٩٤٨[١٤]. بل ان اياد القزاز يذكر ان علم الاجتماع درس بصورة غير منتظمة منذ سـنة ١٩٢٠و١٩٣٠ و ١٩٤٠.

وان بيـن الكتب التي ترجمـت كتاب ماكيفر المعروف (المجتمع المحلي) عام ١٩٣٠. ويرى القزار ان العقد الخامس من القرن العشـرين كان بمثابةنقطةتحول في نمو علم الاجتماع في العراق اذ ظهر كعلم مستقل ومتخصص.

نتيجة لعملية الدمج التي حدثت عام ١٩٦٩ تم دمج علم الاجتماع بقسـم الخدمة تحت اسـم (قسـم الاجتمـاع والخدمـة الاجتماعيـة). وحين يشـير القزاز الـى الانثروبولوجيا يذكر

انــه في مقالته يشـير الــى العلميـن (الاجتماع والانثروبولوجيــا) لأسـباب نظريــة وعمليــة. عمليالانه هناك عدد اقل من الانثروبولوجيين* ونظريــا لان التماثـل بيـن العلميـن يفـوق في اهميته الاختلافــات القائمة بينهمــا كما ان هذه الاختلافات غالبا ماتكون غير دقيقة.

علــى العمــوم – يضيف القــزاز – يهتمان بنفس المجموعة من المتغيرات المستقلة والبناء الاجتماعي والسلوك والتكيف الاجتماعي[١٥].

في عام ١٩٥٥ تم تثبيت بدء التاريخ الرسـمي للانثروبولوجيــا في العــراق اذ حصــل الدكتور شاكر مصطفى سليم في ذلك العام على الدكتوراه من جامعة لندن عن اطروحته (سكان دلتا الفرات) التي نشــرت من قبــل نفس الجامعة عــام ١٩٦٢ واصدرتهــا جامعة بغداد عام ١٩٧٠ تحت عنوان (دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق)[١٦].

وخــلال فتــرة الســتينيات كان هنــاك عالــم الانثروبولوجيــا العراقــي الاســتاذ الدكتور قيس النوري الذي حصل علــى الدكتوراه عام ١٩٦٤ عــن اطروحته (الصراع والمثابرة: الاســتيعاب الثقافي للعراقيين الكلدان) وهي دراسة ميدانية عن الكلدان الذين نزحوا من الموصل الى ديترويت[١٧].

ومن العلماء الانثروبولوجيا الاخرين الذين كان لهم حضورهم في مسيرة هذا العلم الاستاذ الدكتــور علاء الدين جاسـم الــذي حصل على الدكتــوراه من جامعــة القاهرة عــن اطروحته للماجســتير (الراشــدية) وهــي ايضــا دراســة ميدانية لقد سار علم الاجتماع والانثروبولوجيا في العراق علــى طريق واحدوطوال عقود من الزمــن كان الــدرس الانثروبولوجــي متصــلا بالــدرس السوســيولوجي، وعلــى الصعيــد المؤسسي كان هناك في قسم الاجتماع ذاته قسم للانثروبولوجيا واخر للخدمة الإجتماعية.

فيما ظل علــم الاجتماع متداخلا مع الخدمة الاجتماعيــه فــي كليــة التربيــة للبنــات. ومع ان قســما للانثروبولوجيا تأســس فــي الجامعة المســتنصرية (كلية الاداب) فان معظم اساتذته تلقوا في الاصل تعليما سوسيولوجيا ومع غياب الدراســات الميدانيــة فان الطابــع العام للدرس الانثروبولوجي يظل نظريا.

٢- الهوية:

هــل الانثروبولوجيا في العــراق على وجه الخصــوص هوية تميزها عن علــم الاجتماع؟ اقصد بالهوية هنــا ما يرادف النموذج المعرفي (ابرادايم) الذي يجعــل حقلا علميا معينا مميزا بموضوعه ومناهجــه ومضامينه المعرفية عن اي علم اخر مقارب له. في الماضي كان التمييز بســيطا وشــائعا وهو ان الانثروبولوجيا تدرس المجتمعات البدائية او البســيطةفيما يدرس علم الاجتماع المجتمعات المعقدة.

يذكــر بعــض الباحثيــن البريطانييــن والامريــكان ان المناقشــات المبكــرة حول هذا الموضــوع نجدها في كتابــات رادكليف براون (المنهــج في الانثروبولوجيــا الاجتماعية) وان معظم الذين ناقشــوا الفــرق بينهما ركزوا على اهتمامــات الحقليــن ومناهــج العمــل اكثر مما ناقشــوا الموضوعات النظرية فالانثروبولوجيا الاجتماعيــة بالمقارنة مع علم الاجتماع ركزت علــى المجتمعات الصغيــرة الامية باســتخدام الملاحظــة المركــزة والمباشــرة للســلوك الاجتماعــي فيمــا اســتخدم علمــاء الاجتمــاع الاستبانات لدراســة عينات كما درسوا الوثائق المحلية[١٨].

فــي العراق قــام الانثروبولوجيــون الرواد

(قيس النوري وعلاء الدين جاسم وقبلهما شاكر مصطفى سليم) بدراسات ميدانية للحصول على درجاتهم العلمية لكنهم ما ان عادوا الى العراق حتى تراجع حماسهم الميداني واتجهوا نحو الدراسات النظرية.

واذا كان لاولئك الرواد حجة في ذلك فان لمن جاء بعدهم العتب. الرواد وفروا لطلابهم المواد الدراسية التي يحتاجونها في قاعاتهم خاصة وان عددهم (الرواد) قليل بالمقارنة مع عدد اساتذه علم الاجتماع.

اليوم يحصل معظم طلبة الدراسات العليا – الماجستير – في الانثروبولوجيا على شهاداتهم بناءا على دراسات أجروها على قرى او مجتمعات محلية صغيرة – مع استثناءات قليلة – وفي الغالب يكون اولئك الطلبة من سكان تلك المجتمعات المحلية و بالتالي يعتقدون انهم بذلك يستوفون شروط الدراسة الحقلية.

وصحيح ان ميزة الانتماء الى تلك المجتمعات تنطوي على تسهيلات كثيرة لعل في مقدمتها اللغة ومعرفة جانب من تاريخ المجتمع وتوزيع السلطة فيها ومؤسساته الرئيسة فان شبهة التأثير الذاتي تظل قائمة.

ولذلك يلاحظ المتابع ان كثير من عناوين الاطاريح التي تصنف على انها (انثروبولوجية) هي في الواقع اقرب الى السوسيولوجيا الى حد تبدو معه المسافة بين العلمين ضيقة جدا.

ان النقص في عدد اساتذة الانثروبولوجيا ادى في النهاية الى الغاء مرحلة الدكتوراه في هذا المجال منذ اكثر من ثلاث سنوات بل ويتفق كثيرون على ان بعض اساتذة الاجتماع مازالوا يوفرون لاساتذة الانثروبولوجيا بعض الدراسات والادبيات المهمة ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مساهمات الدكتورة لاهاي عبد الحسين والدكتور متعب مناف[١٩]. بل اننا – على صعيد التدريس نجد لأساتذة الاجتماع حضورا في الدرس الانثروبولوجي. وحين نراجع عناوين الأطاريح التي كتبت في قسم/ علم الاجتماع نلاحظ ان عددا منها كان باشراف اساتذة اجتماع ولايرجع ذلك الى قلة اساتذة الانثروبولوجيا فقط بل الى حقيقة ان العلمين متداخلين[٢٠]، اذ ازداد عدد الانثروبولوجيين في الثمانينيات فكان هناك الدكتور خالد الجابري والدكتور مجيد عارف والدكتور قحطان الناصري وغيرهم.

ان الكلام عن هوية محددة لعلم الانثروبولوجيافي العراق يبدو شديد المبالغة وفي اعتقادنا ان ذلك يرجع الى اسباب عديدة اشرت الى بعضها ومنها ايضا ان اساتذةالانثروبولوجيا انفسهم لم يترددوا في تدريس علم الاجتماع بل انهم مثل الدكتور علاء الدين جاسم وصفوا انفسهم بعبارات مثل (مدرس الاجتماع والانثروبولوجيا) وكما اشرف اساتذة الاجتماع على أطاريح في مجال الانثروبولوجيا كان العكس واردا ايضا.

من جانب اخر لا نجد في المنتج الانثروبولوجي العراقي كتابات يحاول اصحابها رسم ملامح الانثروبولوجيا ذات طابع ياخذ بالاعتبار خصوصية المجتمع العراقي او العربي او الاسلامي بل ان معظم المنتج الذي بين ايدينا هو قي الواقع ترجمات للادبيات الغربية بالمقابل كان الدكتور علي الوردي ومنذ مطلع الستينيات – حين شارك في مؤتمر بالقاهرة عن ابن خلدون – قد دعا الى اقامة علم اجتماع عربي وهي دعوة اصبحت واضحة في الخطاب السوسيولوجي العربي

فـي العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشـرين كما انها كانت شـعارا ومفردة رئيسة في جدول اعمال العديد من المؤتمرات العربية[٢١].

واذا كان الاجتماعيون قد اسسوا جمعية لهم واصدروا مجلة باسـمهم فان الانثروبولوجيين لـم يكن لهم مثل هذا النشـاط المهـم الذي يمكن مـن خلالـه بلـورة رؤيـة انثروبولوجية ذات خصوصيـة، ذلك لان العلـم ليس مجرد ابحاث وترجمـات بل هو ايضا (مؤسسـة اجتماعية) ذات تنظيم و شبكة من القيم والمعايير.

ان ما نقوله عن الانثروبولوجيالايحرر علم الاجتماع من الاعباء والمعوقات المذكورة، فالعلم ابن بيئته وهو نتاج مايتاح له من فرص وامكانات ماديـة وفنية وعليه فان مـأزق الانثروبولوجيا هـو الوجه الاخر لمأزق علم الاجتماع والخدمة الاجتماعيـة ولـذا فـان علـى اسـاتذة العلمين مضاعفـة جهودهم وخاصة بعـد غياب وتقاعد معظـم الـرواد والجيل الـذي تلاهـم. غير ان علينـا ايضا ان لانحمل هذا الجيل من الاسـاتذة والباحثيـن لوحدهـم مسـؤولية اي اخفـاق اذ ان العوامـل التـي تؤثـر علـى وضـع العلوم الاجتماعيـه تتراكم في العـادة على مدى زمني طويـل وتخلق عقبـات لا يمكـن تجاوزها بين عشية وضحاها فهي بحاجة الى جهود مستدامة قصيرة ومتوسطة وطويلة الأمد تبدا من التحديد الصريح الدقيق للمشكلات[٢٢]

والخلاصة ان فريقا للأبحـاث بقيادة الدكتور فالح عبد الجبار اشـار الى ان المحدد الاقوى الذي حكم تصنيف العلوم الاجتماعية هو دمجها في حقل واحـد وقد نتج هذا عن رؤية الى البعد العلمي لهذه الحقول من دون قيمتها المعرفية او النظرية ولذلك كانت الانثروبولوجيا جزءا من علم الاجتماع[٢٣].

مـع ذلـك كلـه –اذا أردنا ان نغـض النظر عـن ملابسـات العلاقـة بيـن علـم الاجتمـاع والانثروبولوجيـا في العراق فهل نسـتطيع ان نقنع انفسـنا بان تجربة العـراق افرزت اتجاها سوسيو –انثروبولوجيا مميزا؟.

في الواقع يحتاج هذا السؤال الى وقفة طويلة سنجد لها مساحة للنقاش في الصفحات الأتية.

ثالثا: اشكالات تواجه الانثروبولوجيا في العراق:

لاشـك ان علـوم الانسـان والمجتمـع فـي العراق ظهرت منقطعة الى حد كبير عن تراثها الفكري والاسلامي – باستثناء الجهد المهم الذي بذله الدكتور علي الـوردي للعودة الى الجذور الخلدونية–وبناء علىهذا فإن مسـيرتها لم تؤدي حتى الان الى اكتسـاب هويـة مميزة تفي بحق الخصوصية الوطنية.

علـى اننا لكـي لا نكـون متشـائمين نقول ان كل اشـكال تواجهـه هـذه العلـوم – ومنها الانثروبولوجيا– قابل للتجاوز وان الفكر النقدي المنتج يستطيع ان يوجد اجراءات وحلول تعدل مسيرة العلم وتنميته منهجياً ونظرياً.

١- لعل اول اشـكال منهـم هو الفصام بين النظري والميداني:

ان هـذا الاشـكال بالـذات يبيـن ان الانثروبولوجيـا فـي العـراق تراجعت الى حد كبير والدليل ان الدكتور شـاكر مصطفى سليم الذي قام بدراسـة (الجبايـش) عام ١٩٥٣ بناءا على اقامة دراسـة في قرية الجبايش استغرقت حوالي تسـعة اشـهر اراد ان يثبت مبدأ مهما له قيمتـه العلميـة والخصوصيـة للانثروبولوجيا وهو الاقامة الدراسية Fieldwork لمدة لاتقل

في العادة عن سنة واحدة وقد تطول الى سنتين او اكثر مؤكدا ان ذلك احد شروط المدارس الحديثة في الانثروبولوجي[٢٤]. وقد حاول الدكتور سليم ومنذ آواخر عقد الخمسينيات من القرن الماضي ان يعرف طلبة الانثروبولوجيا باهمية الاقامة الدراسية بمفهومها الحديث معرفا بتجربة برونسلافمالينوفسكي في جزر تروبرياند وهي جزر صغيرة في الجنوب الشرقي لغينيا الجديدة حيث اقام فيها ذلك العالم مابين عامي ١٩١٤ – ١٩١٨[٢٥].

من المؤسف ان دعوة الدكتور سليم لم تلقَ مايكفي من قوة وعقلانية الاستجابة فظلت معظم الدراسات في الانثروبولوجية نظرية تستهدف نقل ادبيات الاخرين ولا نكران لحقيقة ان كثيراً من رسائل الماجستير وخاصة في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي اعتمدت مبدأ الدراسة او الاقامة الحقلية على نحو متفاوت. كذلك فان تجربة الدكتور علاء الدين جاسم في دراستة لكل من الراشدية وقرية شثاثه, وهما اطروحتاه للماجستير والدكتوراه تبدو مميزة من زاوية الاقامة الدراسية. الا ان الوضع الحالي وهو امتداد لما يقرب من عقدين يظهران الهوة بين التنظير و الميدان عميقة. او ان الدراسات الميدانية تفتقر الى مبدأ الاقامة الدراسية بالصورة النموذجية المطلوبة ولذلك اعتقد ان على الاساتذة الانثروبولوجيا ان يراجعوا وان يقيموا بوضوح وموضوعية مستوى الدراسات الميدانية ومتطلباتها المنهجية والنظرية. ولعل من الانصاف القول ان ظروف المجتمع العراقي – والامنية منها بصورة خاصة– غالبا ماكانت تعطل الاجراءات الميدانية او تحدمنها. كذلك فان معظم اساتذة الانثروبولوجيا انشغلوا بالتدريس والبحث النظري وهم في ذلك لايختلفون كثيرا عن اساتذة علم الاجتماع.

٢ – ضعف الدور المجتمعي لعالم واستاذ الانثروبولوجيا.

العلم ليس محدودا بقاعة الدرس وفي اعتقادي ان النتاج العلمي – النظري خاصة– للاستاذ الجامعي هو احد معايير تقويم دوره في مجتمعه اذ ان عليه ايضا ان يمارس دوره في مجالات المجتمع المختلفة التي تحتاج الى تخصصه. كان اساتذة علم الاجتماع سباقون للعمل في كثير من دوائر الدولة وخاصة في وزارات مثل العمل والشؤون الاجتماعية والهجرةوحقوق الانسان وغيرها غير اننا لا نجد لأساتذة الانثروبولوجيا مثل هذا الحضور.

يمكن تفسير ذلك من زاويا عديدة لعل أولها ان مفهوم (الانثروبولوجيا) يبدو غامضا سواء لدى متخذي القرار او لدى عموم المواطنين وهذا يعني – من وجهة الآخر – أن اساتذة الانثروبولوجيا انفسهم لم يبذلوا مايكفي من الجهد للتعريف بعلمهم ففي هذا الحقل لم يظهر (وردي) يحول مادته الى نوع من الثقافة الشعبية.

لقد بقيت الانثروبولوجيا نخبوية. وحتى حين يعين خريج الانثروبولوجيا في دوائر وزارة العمل مثلا فانه يمارس دور الباحث الاجتماعي الذي لا يختلف عن دور خريج علم الاجتماع او الخدمة الاجتماعية واذا كنا نستطيع ان نشير الى اسماء كثير من اساتذة علم الاجتماع ممن خدموا في دوائر رسمية كباحثين اومستشارين فإننا لانجد الاسماء قليلة لأساتذة أنثروبولوجيين.

يلاحظ ان بعض الباحثين يركز على الدور التدريسي وعلى الدور البحثي للأستاذ الاكاديمي لكنه يهمل الاشارة الى الدور المجتمعي [٢٦].

٣- الموقف غير المشجع للدولة:

ان اي نهضة علميــة حقيقة ومؤثرة لايمكن ان تكــون نتــاج جهود فــرد او حــزب. بل هي بالضرورة نتاج جهود رســمية لعل في مقدمتها التمويــل وايجــاد القواعــد التشــريعية اللازمة والحوافز ومعايير العقاب والثواب. وخلافا لعلوم مثل الاقتصــاد والقانون، والى حــد اكبر العلوم الطبيعية نجد ان علوم الانســان والمجتمع عامة و الانثروبولوجيا خاصة لا تحظى بدعم حكومي واضح. ولقــد كان لعلم الاجتماع – ومعه بعض العلوم الاخرى كعلم الاجرام والقانون الجنائي – فرصة انشــاء مركز وطنــي للبحوث في وزارة العمل والشــؤون الاجتماعية – الغي في أواسط الثمانينيات – وفي السنوات الاخيرة انشى مركز اخر في الوزارة ذاتها لكنه كما يبدو غير مؤهل. اما الانثروبولوجيا فلم تجد لها مكانا واضحا في هذه المؤسسات، بل انها حتى في مؤسسة علمية كبرى لم تجد مثل هذا المكان المميز أيضا.

قــد يكــون هــذا جــزء مــن إهمــال الدولة العراقيــة للعلم [٢٧]. الا انه ايضا يعكس ضعف مباشــرة اســاتذة هذا الحقل في اقامة مؤتمرات وندوات والمشــاركة فــي البرامــج التلفزيونية والفضائيات.

٤ – الافتقار الى المراجعة التقويمية للمنتج الانثروبولوجي:

لــم يكتــب عــن مســيرة الانثروبولوجيــا فــي العــراق بقدر ما كتــب عن علــم الاجتماع علــى قلتــه ايضا فلــم نجــد مراجعــة لأطاريح الانثروبولوجيــا (الماجســتير والدكتــوراه) يمكــن ان تشــخص مواطــن الخلــل المنهجــي او المعرفــي واذا كنــا نجد رســائل للماجســتير عــن اســاتذة علم اجتمــاع مثل د. حاتــم الكعبي و الدكتــور عبد الجليل الطاهر الى جانب الكثير الذي كتب عن الوردي فإننا لا نجد سوى اطروحة واحدة عن الدكتور شاكر مصطفى سليم فلم يكتب أحد عــن منجز الدكتور قيس النــوري أو علاء الدين جاســم أو خالد الجابــري. كذلك لم يقم أحد اساتذة الانثروبولوجيا بمراجعة نقدية لتوجهاتها النظرية او لموضوعات الأطاريح التي درســت فيها. ان لمثل هذه المراجعة ضرورتها بعد اكثر من ســتة عقود من بداية الدرس الانثروبولوجي في جامعة بغــداد وبعد اكثر من أربعة عقود من منح درجة الماجستير في الانثروبولوجيا، اذ انها – اي تلك المراجعة – ستشــخص الخلل وترسم خارطة طريق جديدة.

٥: الاشكال المؤسسي:

فــي العراق اليوم هنالك ما نســميه (هيمنة سوســيولوجية). اذ ليس هناك سوى قسم واحد للانثروبولوجيا في الجامعة المستنصرية (كلية الاداب). اما في قسم علم الاجتماع بكلية الاداب فان الدراســة تنقســم الى ثلاثة فروع هي: علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والانثروبولوجيا ابتداءا من الصف الثالث.

كان القســم يمنــح درجتــي الماجســتير والدكتــوراه، ثــم الغيــت درجة الدكتــوراه لقلة الاســاتذة و محدوديــة التخصصات المتاحه في فــروع الانثروبولوجيــا حاليا.ان ســؤالا مهما يطرح نفســه اليوم هل نؤســس اقســاما مستقلة للانثروبولوجيا ام تبقى على صلتها المؤسســية بعلم الاجتماع؟

الوجــه المؤسســي الآخــر ان اســاتذة الانثروبولوجيا لم يوفقوا حتى اليوم بتشكيل بيئة اجتماعية مؤسسة لعلاقاتهم المهنية والشخصية مثل (جمعية او رابطة) تمكنهم من ايجاد فرص للحــوار والنقــاش وطــرح مشــكلات المجتمع ودور علمهم في ايجاد الحلول لها[٢٨].

ان ثنائيــة: اجتماع / انثرو تنعكس على جهد التدريسـيين فهم غالبا يترددون بين العلمين مع ضمور واضح لحدود التخصص. الجانب الاخر يتعلق بسـؤال مهم: ما الادوار المؤسسـية التي نطمح ان يقوم بها خريجو حقل الانثروبولوجيا. هـل هـو التدريـس، ام البحـث الاجتماعيفـي مؤسسات الرعاية الاجتماعية او مجرد التوظيف ام المشـاركة في انشـطة اجتماعيه اخرى(مثل منظمات المجتمع المدني؟) ان اسئلة مهمة كهذه ينبغـي ان تطرح لتحديد وظيفة العلم ومخرجاته الواقعيـة فليس المهم ان نقبل كذا عدد من الطلبة بل المهم ان نعرف اين تكون مجالات نشاطاتهم كمتخصصين في هذا الحقل.

٦ – اشـكال ضعف التواصـل مع مراكز انتاج المعرفة:

في العالم اليوم كثير من المجلات المتخصصه بالفروع المتعددة للانثروبولوجيا فضلا عن مراكز البحـوث الى جانب مايصدر عن المؤتمرات من توجيهات وما يلقى من على منابرها من البحوث وما تشـهده من مناقشـات لكننا وخاصة بعد عام ١٩٩٠ حيـث خضوع العراق للحصـار الدولي الشـامل كادت صلتنـا العلمية بتلـك المراكز ان تنقطع وهـذه القطيعة لا تتعلـق بالانثروبولوجيا فقط بل تتعداها الى كل علوم الانسـان والمجتمع فقـد كان الدكتـور قيس النوري من اكثر اسـاتذة الانثروبولوجيـا تواصـلا مـع المراكـز العلمية ولـم يخلفـه احد حتـى الان ولعل ذلـك هو الذي جعل ادبياتنـا فقيرة، وجعل اكثر الطلبة يكررون عبارات البنائية الوظيفية من دون استيعاب حقيقي لمضامينها ومناهجهـا ودون احاطة بالتطورات التي شهدتها كذلك يلاحظ المتابع ان مكتباتنا فقيرة وان المجـلات العلميـة المتخصصـة غائبة عن رفوفها ولذا نسـتطيع القول اننا طـوال اكثر من عقديـن من الزمن انقطعنا عن مراكز انتاج العلم وان علينا ان نحل هذا الاشكال عن طريق حركة واسعة للترجمة والمشاركة في الدوريات العلمية وكذلك المشـاركة في المؤتمرات المهمة وتمكين الطلبة من الاتصال وزيارة مراكز البحث العلمي ذات الصلة.

٧ – الاشكال المعرفي:

هل للانثروبولوجيا في العراق هوية اليوم؟. اعتقد ان مسـيرة هذا العلم في العراق افصحت عن ثلاثة توجهـات او منظورات غير منقطعة عن بعضهـا الأول الاتجاه الـذي تبناه الدكتور شـاكر مصطفى سـليم وهـو البنائيـة الوظيفية (البريطانية) والثاني الاتجاه الذي تبناه الدكتور قيـس النوري وهـو الانثروبولوجيا الحضارية وان كان فـي احد كتبه يقول انـه (يتبنى مفهوم البناء الاجتماعي بشـكل غير متطرف كاساس مفيـد لعرض الظواهـر المختلفـة وتحليلها في المجتمـع بوصفهـا ترتبط وتتبـادل التأثير فيما بينهـا)[٢٩]. الا انـه يعود فيقـول انه (لا يوافق علـى موقـف الوظيفييـن الذين احالـوا المنهج الوظيفي الى فلسفة ايديولوجية متعصبه مفتقرة الـى مقومـات المرونـة والاجتهـاد الفكري) وتفهم بالنتيجة ان د.قيس النوري يرى ضرورة اللجوء الى منهج الديناميكية الحضارية [٣٠]

الاتجـاه الثالـث يمثلـه الدكتـور علاءالدين جاسـم وهو الاتجاه السوسيو- انثروبولوجي. اذ ان الدكتـور يتكلم عن (علـم الاجتماع المقارن) قائـلا: ان دراسـة النظريـة في علـم الاجتماع وعلـم الانثروبولوجيا(علم الاجتمـاع المقارن) شـرط ضروري لنمو المعرفة السوسـيولوجية التي تمكننا من استقراء الواقع وتحليل العلاقات والنظم والانساق والظواهر[٣١].

ان الاتجاه السوسيو –انثروبولوجي يسد النقص الذي يمكن ان يظهر من حقلي علم الاجتماع وعلم الانسان. فهناك قضايا لا يستطيع اي منهما لوحده من انتظامها وعليهفان من المهم تجاوز ثنائية (الحقلين) الى حقل واحد فمثلا في اتجاه سوسيو –انثروبولوجي في دراسة المجتمع [٣٢]، ان البحث عن هوية معرفية لا يتطلب بالضرورة الالتزام بواحد من الاتجاهات المشار اليها وخاصة في ضوء التحولات المعاصرة للانثروبولوجيا بل قد يتطلب الامر تشكيل رؤية مرجعية مركبة تأخذ في اعتبارها تداخل مختلف الحقول والحاجةالى تفسيرات متعددة للظواهر المختلفة.

أهم المصادر:

(١) الزهرة ابراهيم - الانثروبولوجيا الثقافية – دمشق – النايا – ٢٠٠٩

(٢) اياد القزاز

EL-Qazzaz,A – Notes on the state of sociology in Iraq – nati> Rev. of soc. sciences – No.2-V.7-1977

(٣) د. حميد الهاشمي – علي الوردي و التأصيل الخلدوني لعلم الاجتماع في الوطن العربي – مجلة اضافات – تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع – العدد (١٩) صيف ٢٠١٢.

(٤) د. خالد حنتوش – النتاج البحثي في القسم الأم لعلم الاجتماع – قسم الاجتماع ٢٠١٢.

(٥) د. شاكر مصطفى سليم – محاضرات في الانثروبولوجي– بغداد، مطبعة العاني ١٩٥٩.

(٦) د. شاكر مصطفى سليم –الجبايش – دراسة انثروبولوجية لقرية قي اهوار العراق – بغداد – مطبعة العاني – ١٩٧٠.

(٧) د. شاكر مصطفى سليم – قاموس الانثروبولوجي– الكويت – ١٩٨١.

(٨) شحاتة صيام – علم اجتماع المعرفة وصراع التأويلات – القاهرة– دار ميريت ٢٠٠٥.

(٩) عبد الرزاق الهلالي – معجم العراق – بغداد مطبعة النجاح – ١٩٥٣.

(١٠) عبد الفتاح ابراهيم – دراسات في علم الاجتماع – بغداد – مطبعة الرابطة ١٩٥٠.

(١١) د. علاء الدين جاسم – علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق – بغداد – دار التربيه– ١٩٧٥.

(١٢) فريق ابحاث – وضع العلوم الاجتماعية في الجامعات العراقية– معهد الدراسات الاستراتيجية – اربيل / بيروت / ٢٠٠٧.

(١٣) د. قيس النوري – مدارس الانثروبولوجيا- بغداد جامعة بغداد ١٩٩١.

(١٤) د. قيس النوري – طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجية الاجتماعية – ج١ – بغداد – مطبعة اسعد – ١٩٧١.

(١٥) د. قيس النوري – اتجاهات انثروبولوجية معاصرة– قراءة في منهجبورديو– دراسة في مجلة مقابسات – بغداد – جمعية النهوض الفكري العدد (١) تشرين اول – ٢٠٠٥.

(١٦) د. لاهاي عبد الحسين – مستقبل علم الاجتماع في العراق – مجلة اضافات– العدد (٢٥) – شتاء ٢٠١٤.

(١٧) د. متعب مناف –الاثنولوجيا والقرن العشرين والقادم – مجلة مقابسات –العددان (١١-١٢) ٢٠٠٩.

(١٨) محمد الخطيب –الانثروبولوجيا الثقافية– دمشق – علاء الدين -٢٠٠٨.

(١٩) مصطفى تيلوين– مدخل عام في الانثروبولوجيا– الجزائر – منشورات الاختلاف – ٢٠١١.

(٢٠) د. معن خليل عمر – رواد علم الاجتماع في العراق – بغداد – دار الشؤون الثقافية ١٩٩٠.

هوامش البحث

(١) د. قيس النوري: مدارس الانثروبولوجيا، بغداد، جامعة بغداد، ١٩٩١،ص١٥

(٢) د. قيس النوري: طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجيا الاجتماعيه، ج١، بغداد، مطبعة اسعد، ١٩٧٠، ص٥.

(٣) د.شاكر مصطفى سليم: محاضرات في الانثروبولوجي، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٥٩، ص٣٢.

(٤) محمد الخطيب: الانثروبولوجيا الثقافية، دمشق، علاءالدين، ٢٠٠٨، ص١١.

(٥) د. شاكر مصطفى سليم: قاموس الانثروبولوجيا،

الكويت، جامعة الكويت، ١٩٨١، ص٥٦.

(٦) الزهـرة ابراهيم: الانثروبولوجيـا والانثروبولوجيا الثقافية، دمشق، ٢٠٠٩، ص١٩-٢٠ وص١٥.

(٧) د.قيـس النوري: اتجاهـات انثروبولوجية معاصرة في منهج بورديو، دراسة في مجلة مقابسات، بغداد، جمعيـة النهوض الفكـري، العدد(١) تشـرين اول، ٢٠٠٥ ص١٨٣ وما بعدها.

(٨) د. متعـب منـاف: الاثنولوجيـا والقـرن العشـرين والقادم، دراسـة في مجلة مقابسـات، بغداد، جمعية النهوض الفكري، العددان (١١-١٢)٢٠٠٩، ص٢.

(٩) د. شـاكر مصطفى سـليم: أهل الجبايش، دراسة من كتاب محاضرات في الانثروبولوجي، بغداد، مطبعة العاني ١٩٥٩، ص٥.

(١٠) مصطفى تيلوين: مدخـل عام في الانثروبولوجيا، الجزائر العاصمة، منشـورات الاختلاف، ٢٠١١- ص٣٣-٣٥.

(١١) د. شـحاتة صيـام: علم اجتمـاع المعرفة وصراع التأويلات من العقلانية الى جدل الذات، القاهرة، دار ميريت، ٢٠٠٥،ص١٩

(١٢)عبد الفتاح ابراهيم – دراسـات في علم الاجتماع، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٠، صفحات متعددة.

(١٣) محمد عيسى الخاقاني، مئة عام مع الوردي، لندن، دار الحكمة، ٢٠١٣،ص٦٤-٦٥.

(١٤) عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٥٣ – ص٢٦٠.

(١٥) راجع دراسة اياد القزاز:

El-Qazzaz A, Notes on the state of sociology in Iraq – the national review of social sciences –No.2 – V.7 1970-P.177

(١٦) د. لاهاي عبد الحسـين: مستقبل علم الاجتماع في العـراق، التحديـات وآفاق الحل، دراسـة في مجلة اضافات، صدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع، العدد (٢٥) شتاء، ٢٠١٤، ص١٩.

(١٧) المصدر نفسه، ص١٨.

(18) . Gould J and kolb W.L , A Dictionary of the Social Sciences N.Y. the free press – 1964-p.646

(١٩) ينظر على سـبيل المثال، ترجمـة الدكتورة لاهاي عبد الحسـين لموضـوع (اعادة بنـاء تاريخ النظرية الانثروبولوجيه)، توماس أ.ح. ايركسونوفينأسنيلسون – مجلة اضافات العدد (٢٢) ربيع ٢٠١٣.

وينظر ايضـا: د. متعب منـاف – الاثنوبولوجيا والقرن العشـرين – مجلة مقابسات – العددان (١١-١٢) – ٢٠٠٩.

(٢٠) وينظـر: د. خالـد حنتوش: النتاج البحثي في قسـم الامـل علـم الاجتماع فـي العراق، دراسـة تحليلية احصائيـة لمـا انتج في دراسـات العليـا ١٩٧٢ – ٢٠١١ قسم الاجتماع، ٢٠١٢،ص٢١ وما بعدها.

(٢١) د. حميد الهاشمي: على الوردي والتأصيل الخلدوني لعلم الاجتماع في الوطن العربي، دارسـة في مجلة: اضافـات، بيروت، الجمعية العربيـة لعلم الاجتماع، العدد (١٩) – صيف ٢٠١٢، ص٤١-٤٢.

(٢٢) فريق ابحاث،وضع العلوم الاجتماعية في الجامعات العراقية، مسح – تقييم – افاق التطور معهد الدراسات الاستراتيجية، اربيل / بيروت ٢٠٠٧، ص٧-٨.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٤٥.

(٢٤) د. شـاكر مصطفـى سـليم: الجبايـش، دراسـة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق، بغداد مطبعة العاني، ١٩٧٠، ص (ز)

(٢٥) د. شاكر مصطفى سليم: علم الانثروبولوجي، تأريخه ومدارسه، دراسة في كتابه المعنون: محاضرات في الانثروبولوجي، بمصدر سابق – ص٤٤-٤٥.

(٢٦) وينظـر مثـلا: د. معـن خليـل عمـر – رواد علم الاجتماع في العراق – بغداد – دار الشـؤون الثقافيه – ١٩٩٠ ص٩-١٠.

(٢٧) يراجع بشـأن هذا الموضوع، فريق ابحاث، وضع العلوم الاجتماعيه، مصدر سابق، ص١٣٦-١٣٧.

(٢٨)عبد الحكيم خالد الحسبان: الدراسات السوسيولوجية والانثروبولوجيـة فـي الاردن – دراسـة في: احمد موسـى بدوي واخرون – مستقبل العلوم الاجتماعيه في الوطن العربي، بيروت مركز دراسـات الوحدة العربيه، ٢٠١٤، ص٢٤١.

(٢٩) د. قيس النوري: طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجيـا الاجتماعيه، ج١، مصدر السـابق، ص ب.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ج.

(٣١) د. عـلاء الدين جاسـم البياتي: علـم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، بغداد دار التربية ١٩٧٥، ص٥.

(٣٢) د. محمد عبده محجوب، مقدمة في الاتجاه السوسيو – انثروبولوجي،الاسكندرية، الهيئه المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، المقدمة.

Problems of Anthropology study in Iraq – critical view

Asst. Prof. Dr. Farieeda Jasim Dara
Asst. Prof. Dr. Thiqra Jameel Mohammed Hussein

Abstract

It·s impossible to trace Anthropology science in such limited time so, we prefer to start with general view reflects the fact that the crowd of titles in Anthropology literature reflects the reformation mass and ambiguity of the references Frames which so many scientific institutions had passed in many societies but still shadowing Science identity in Iraq.

Arevisicn of this march demand going back to the history of beginings at the fifties of the so centurey with the effects of its pioneers like Ali Alwadi, Dr. Hatim Al-Ka·abi and Dr. Shakir Mustafa Saleem, and the latter had the Frvour of first steps of this Science throgh important achievment represented by his thesis (Al-Jibayish) then the important dictionary which was published in Al-Kuwait It·s not fair to ignor the effects of two important profs, Dr. Qais Al-Noori and Dr. Alaa Aldeen Jasim bec. Most anthropologists of today had studied under the hands of these two prof. At the social Science Dep. Which still the main container of Anthropology in Iraq despite esablishing Anth. Dep. Of Collegue of Arts, Al-Mustans University establishing this dep. And what Anthr. Study in social science Dep. Had faced, make us lying necessary questions about the relation ship between Anthr. And social science and whether it·s of any advantage to seprate then from each other or twining then as are field.

Also, we come a cross what we calle problems that reprsent abstcals in the Anthr. Study in Iraq.

We hope this study would be good material for dialoging and discussing and these opinoins not to be taken as not as unquestionable facts.

Thanks to Bayt-Alhikma its import initative and its role in developing social sciences in a country of urgout need to that field.

دور المؤسسة التربوية في مواجهة أزمة التطرف والتخريب الفكري

أ.م.د. خديجة حسن جاسم(*)

الملخص

يعد النظام التربوي لأي مجتمع الوسيلة الرئيسية للحفاظ على قيم ومهارات أفراده وخلق اتجاهات تتماشى مع روح العصر وبما ينسجم مع خطط واتجاهات المجتمع نحو التطور والتقدم ، والتعليم الحق هو ذلك الذي يهدف الى الاستثمار الحقيقي في الموارد البشرية لدفع عجلة الإنتاج والسلام والأمن الاجتماعي وتنمية روح المواطنة لدى أبناء المجتمع.

والتربية عملية معقدة ومسؤولية مشتركة تقع على عاتق الأسرة والمدرسة والجامعة والمؤسسة الدينية ووسائل الإعلام بجميع صورها وتلك المسؤولية الوطنية والأخلاقية لكي تحقق أهدافها في بناء الشخصية المتوازنة لابد لها من تبني خطة واضحة المعالم يحدد لك جهة دورها في هذه العملية .

إضافة لما تقدم تتأتى عملية التعليم في كونه يسهم في بناء الشخصية الإنسانية وتحديد هويتها الحضارية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لاسيما بما يغرس في مرحلة الطفولة من قيم واتجاهات وأنماط سلوك تسهم في تكوين الذات الاجتماعية ، كذلك تكمن أهميته في ان هدف التعليم أصبح يتجه نحو تكوين متوازن للفرد في مجتمعه يمكنه من استخدام معارفه في مواجهة ظواهر الحياة المتجددة والتكيف الايجابي معها وفهم بيئته والإسهام في حمايتها واستثمارها بأسلوب علمي.

وعلى الرغم من المحاولات والجهود البالغة الأهمية التي تبذل في سبيل حماية المجتمع من ظاهرة التطرف والإرهاب والمتمثلة في الحلول الأمنية وسن التشريعات القانونية الا ان الحل الأمثل يكمن – في رأينا – في تكوين الإنسان وتنشئته وبناءه الاجتماعي، ويرى كثير من الباحثين ان دور التربية يفوق كثيراً دور الحلول الأمنية

(*) جمهورية العراق / وزارة التربية.

والقانونيــة ذلــك ان التربيــة هــي التــي تطبع شــخصيات الأفراد ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع وهي التي تغير من سلوكهم للانصياع لنصوص القانون وتقبل تعليماته .

ان الأزمــة الحقيقيــة لما نعانيــه اليوم من تفاقــم مخاطــر الإرهاب والتطــرف هي أزمة تربية بالمعنى الشــامل لهذه الكلمة التي تهدف الــى إعداد الفرد نفســياً واجتماعيــاً لأداء دور ايجابي من خــلال التفاعل البنــاء مع المجتمع ويمكــن للمؤسســة التربويــة بمختلف صورها وإشــكالها - الرســمية وغيــر الرســمية – ان تــؤدي دوراً مهماً وفاعلاً بهذا الجانب لاســيما بعد ثورة المعلومات التي يشــهدها العالم نتيجة لتنــوع وســائل الاتصال وســهولة اســتعمالها والكــم الهائل والتنوع الشــديد فيمــا تقدمه من معلومات مــن جهة أخرى ونســعى من خلال هذه الدراسة الى الأتي:-

١. تحديــد الأســس التربويــة الســليمة في الوقاية من الأمراض الفكرية والاجتماعية .

٢. محاولــة رســم إســتراتيجية تربويــة لمواجهة أزمة التطرف والتخريب الفكري.

(ا-ا) تمهيد:-

يعــد نظــام التربــوي لأي مجتمع الوســيلة الرئيســة في الحفاظ على قيم ومهارات ســكانه وتهيئتــه للتغير الــذي يتطلبه التقــدم من خلال غــرس الاتجاهات والقيــم بين أفــراد المجتمع التي تتماشــى مع روح العصر وبما ينسجم مع خطط واتجاهات المجتمع، والتربية في حقيقتها عملية إنســانية غايتها ووسيلتها الإنسان بكل ما يحتويه من جســد وروح وعقــل ووجدان وهي عمليــة اجتماعيــة لأنهــا تحمل ثقافــة المجتمع وأهدافه وتحدد معالم شخصية الانسان في اطار تلك الثقافة وهي التي تكســبه الصفة الانســانية بعد تشــكيل ســلوكه من خــلال عملية التنشــئة الاجتماعيــة او التطبيــع الاجتماعي فضلاً عن دورها في تزويده بالمعايير والاتجاهات والقيم التي تحقق له التفاعل بنجاح مع المواقف الحياتية المختلفــة وتعميــق فهمــه بــأدواره الاجتماعية ولعــل واحــد من ابــرز الوظائف التــي تؤديها التربية والنظام التربــوي هي الحفاظ على أمن وســلامة المجتمع من خــلال التحصين الفكري ضــد التيارات الفكرية المنحرفة واشــاعة ثقافة التعايش السلمي وقبول الرأي الآخر والمختلف بين افراد المجتمع.

ويكاد يكون التطــرف الفكري بما يتضمنه من اشكال ومظاهر من اشد المهددات واكثرها خطــورة علــى الامــن المجتمعــي ذلــك ان التطــرف قد يتحول من مجرد فكر الى ســلوك ظاهــري او عمل سياســي يلجا الى اســتخدام العنــف وســيلة لترجمة افكاره التــي يؤمن بها او اللجــوء الــى الإرهــاب النفســي او المادي ضــد كل من يقف عقبة فــي طريق تحقيق تلك المبادئ والأفــكار التي ينادي بهــا، فالتطرف عادة يبــدأ فكريا من خلال الانغلاق على فكرة او مجموعــة من الافكار مع غياب المرونة في تقبل او حتى مناقشــة الافكار والآراء الاخرى يعقبــه التطرف الانفعالي وفيها تكون مشــاعر الشــخص وانفعالاتــه باتجاه معيــن يتحمس له دون اي تفكير ويترجم في النهاية الى التطرف الســلوكي متمثــلا فــي التعــدي علــى حقــوق الآخريــن وإرغامهــم على الإذعان لــه، لذلك فبرأينــا أيضــا ان التطرف والغلــو في جميع صوره لابد وان يكون سبقه نوع ما من التلوث والتخريــب الفكري والمتمثل فــي زرع افكار

مدمـرة تـؤدي في النهايـة إلى فقـدان الإرادة والتهـور والعصبية المفرطـة والعدوانية التي تدمـر الفـرد والمجتمع، مثلمـا ان التورط في الانحرافات السلوكية لابد ان يكون بالضرورة الحتمية قد سبقه تبني الفرد افكار منحرفة ادت الـى الافعـال التخريبية بصورتهـا المادية او المعنويـة.

(٢_١) تحديد مشكلة الدراسة :-

لـم تعـد المعالجـات الجذريـة لقضايـا التطرف والعنـف من هوامش الاهتمامات لدى المخططيـن وصانعـي القـرار ومتخذيـه، فقد أصبحت هذه القضية مطلبا اساسيا وحاجة ملحة وذلك لخطورتها على الأمن والسلم الاجتماعي إضافـة الى كـون غالبية ممـن يتورطون فيها هم من الأطفال والشـباب الذين يشـكلون ثروة المجتمع الحقيقية.

ولعـل موجات التطرف التي تجتاح شـباب اليوم تستلزم وقفة جادة لدراسة اسبابها ودوافعها والمظاهر التي تتخذها ذلك ان المعالجة الفعالة والتداول السـليم للمشـكلة تسـتلزم التشخيص الدقيـق وتحديـد كم وكيف المشـكلة بغية ايجاد الحلول الناجحة لها.

وعلـى الرغـم مـن المحـاولات والجهود الكبيـرة التي تبذل في سـبيل حمايـة المجتمع مـن ظاهرة التطرف والإرهـاب والمتمثلة في اغلب الاحيان في الحلول الامنية والتشريعات القانونية الا ان الحـل الامثل _ برأينا _ يكمن فـي بناء الإنسـان وتنشـئته وتربيته بصورة سـليمة، ويـرى كثير مـن المختصين ان دور التربيـة يفـوق دور الحلـول الامنيـة ذلك ان التربيـة هـي التي تصـب شـخصيات الافراد وتغيـر من سـلوكهم في الانصيـاع لنصوص القانـون وتقبـل تعليماته، ان الازمـة الحقيقية لمـا نعانيه اليوم مـن تفاقم مخاطـر الارهاب والتطـرف هي ازمـة تربية بالمعنى الشـامل لهـذه الكلمة التي تهدف الى اعداد الفرد نفسـيا واجتماعيـا وعقليا لاداء دور ايجابي من خلال التفاعـل البناء مـع المجتمع ويمكن للمؤسسـة التربوية بمختلف صورها واشـكالها الرسمية وغيـر الرسـمية ان تـؤدي دورا مهما وفاعلا في هذا الجانب لاسـيما بعد ثـورة المعلومات التـي شـهدها ويشـهدها العالـم نتيجـة لتنوع وسـائل الاتصال وسـهولة اسـتخدامها والكم الهائل والتنوع الشديد فيما تقدمه من معلومات من جهة اخرى لذلك فالمؤسسـة التربوية امام مسـؤولية كبيرة في التصـدي لقضايا التطرف والتخريـب الفكـري كونهـا قضايـا فكريـة تربويـة في المقـام الاول مثلما يتعين عليها ان تقوم بـدور فاعل وايجابي في بناء الشـخصية المتوازنـة وتربيتهـا على المواطنـة الصالحة وعلى الانضباط والاعتـدال في القول والعمل وتطهير اذهان الشباب من الشوائب والتيارات الفكرية المشبوهة وغرس قيم ومبادئ التسامح وقبول الأخر والرفق والاعتدال.

لقـد حـدد تقريـر اليونسـكو عـام ١٩٩٦ مجموعـة مـن الظواهر التي تبدو كمؤشـرات على ازمة حادة للروابط الاجتماعية [١]

- اعـراض فتـور العزيمـة الاجتماعيـة الناجمة عن اوضاع الفقر المدقع .
- اشكال البؤس المتعددة الابعاد التي يتسارع فيها مفعـول عوامل ذات اثـار مضاعفة ترتبط بالافتقار المتفاقم علـى الصعيد الثقافي والمادي والروحي والوجداني او على صعيد المواطنة.

● انكمـاش اهمية الرصيـد الاجتماعي في مجتمعات تدفع الى المخاطرة وتسودها تطلعات النزعة الفردية التي تبدد الثقة في العلاقات بين الأشخاص.

● طابـع الصـراع والتـدرج الهرمـي للعلاقـات الاجتماعيـة التـي يحددهـا منطـق متعـدد الاتجاهـات تبعـا لتكتـلات المصالح، مع حلـول نزاعات اثنية او دينيـة ثقافية محل صراع الطبقات على نحو ينبئ باندلاع حروب ونزاعات اهلية ومحلية .

وهـذه هي معالـم التحديـات الكبيـرة التي تواجه المجتمعات وتلك هي الحقائق التي علينا ان نسـتبدلها والتـي تضـع المؤسسـة التربوية امام مسـؤولية كبيرة في اعادة بناء المجتمعات الإنسانية.

(ا-٣) اهداف الدراسة :-

تسعى الدراسة الحالية إلى ما ياتي :

١- تحديـد الاسـس التربويـة السـليمة في الوقاية من الامراض الفكرية والاجتماعية.

٢- محاولة رسم ستراتيجية تربوية لمواجهة أزمة التطرف والتخريب الفكري.

كما تسـعى الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية :

● ماهي طبيعة العلاقة بين اسـاليب التنشئة الاجتماعية والمناعة النفسـية لدى الافراد ضد التيارات الفكرية المتطرفة ؟

● ماهي ابرز سـمات الفكر التربوي البناء والتي تسـاهم في امتلاك الفـرد القدرة للخروج من أزمة الفكر المتطرف ؟

● ما الرؤية التربوية المقترحة والإجراءات العملية التي يمكن ان تتبناها المؤسسة التربوية بمختلـف صورهـا وأشـكالها لمواجهـة ازمة التطرف والتخريب الفكري.

(ا-٤) تحديد المفاهيم والمصطلحات :

يعد المصطلـح اداة من ادوات البحث والية من آليات التواصل بيـن المفكرين والعلماء، اذ يعبر عن لغة خاصة يتم تفعليها في اطار فضاء معرفـي محدد. ولما كان لـكل علم مصطلحاته الخاصة التي يصعب التبحر في جنباته المختلفة دون الكشف عما يحمله من مضامين ودلالات، فانـه يكون مـن الأهمية بمكان حتـى يتم فض كوامن المصطلحات المستخدمة وما تحمله من المعاني ومرام ومضامين معرفية [٢].

ويعـرف المفهـوم بأنه البنـاء الذهني الذي يبسـط فهم جانب من جوانب الحقيقة ويسـتخدم عادة كما لو كان دالة أو علامة في الطريق [٣].

وللمفهـوم وظائف علمية اهمها تتجسـد في توجيـه الباحـث من خـلال تحديدهـا للمنظور وتعيينها لنقطة الانطلاق[٤].

لذلك فمن الامور الاساسية لأي بحث علمي تحديد حقل خاص لشرح المفاهيم والمصطلحات المسـتعملة في الدراسـة لكي يفهـم القراء على العمـوم ما يريد الباحث التعبيـر عنه من افكار وما يتوصل اليه مـن نتائج دون أن يختلفوا في فهم ما يقول.

وابرز المفاهيم التي سنسـتعرضها في هذه الدراسة هي :-

١- التطـرف ٢- الأزمـة ٣- المناعة النفسية

التطرف:

لغـةً : الوقوف فـي الطـرف، واصطلاحاً مجـاوزة حد الاعتـدال والعلاقة بيـن المعنيين اللغوي والعرفي واضحة، فكل شـيء له وسط وطرفان فإذا جاوز الإنسـان وسـط الشيء إلى احد طرفيه قيل تطرف، اي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسـط، وعلى ذلك فالتطرف يصدق على التسيب كما يصدق على الغلو، وينتظم في سلكه الافراط، ومجاوزة الحـد، والتفريط والتقصير على حد سـواء، لان فـي كل منهما جنوحاً الى الطرف وبعداً عن الجادة والوسط(٥).

ويرتبط مفهوم التطرف بالعديد من المفاهيم الاخـرى كالتمييـز والعنصريـة والتعصـب والانغـلاق الفكـري وفـي الغالـب ترتبط هذه المفاهيم باشـكال مادية عنيفة من السـلوك تجاه الافراد او المجتمعات ويعرف الفكر المتطرف بأنه قناعات عقليـة لجماعات او افراد بامتلاك الصواب دون غيرهم باسـتخدام اساليب متعددة كالتهديـد والعنف ضد الآخرين للاذعان وقبول الشـروط والامـلاءات لاتخـاذ المواقـف التي تتماشى مع عقيدتهم وافكارهم (٦).

فيمـا يعرفه آخـرون على انـه اندفاع غير متـوازن فـي التحمـس المطلـق لفكـر واحـد يصبـح معه صاحبه احادي الشـعور وفي حالة اضطـراب نفسـي يفقد معه حاسـة التمييز بين الحسن والأحسن والسيئ والأسوأ(٧).

والتطرف الفكري لإغراض هذه الدراسـة حالة مرضية تتضمن تبنـي الفرد لقيم ومعايير وافـكار معينـة وعدم تقبل اي معتقـدات او قيم تختلـف عنها ومحاولة فرضهـا على الآخرين باستخدام التهديد او القوة المادية.

الأزمة:-

لغة :- الشـدة والقحط وهي مأخوذة من الفعـل ازم يـأزم، أما في اللغـة الانكليزية فهي نقطة التحول التي تتصف بالصعوبة والقلق من المستقبل وتتطلب اتخاذ القرار المناسب خلال مدة زمنية محددة (٨).

اما اصطلاحاً :- فقد تعددت المفاهيم للأزمة اذ يرى البعض انها خلل يؤثر تأثيراً مادياً على النظام كله كما يهدد الافتراضات التي يقوم عليها النظـام كما تعرف بانها كل حالـة او امر مهما كان موضوعه ومجاله لا يسـتطيع (أطرافه) وضع حد اشتداده وتطوره نحو الأسوأ(٩).

ويمر الأفـراد خلال الأزمة باحداث متتالية لعل أبرزها (١٠).

- يعيشون حدثاً فجائيا خاصاً.
- يدركون الحدث على انه تهديد مثير للقلق والغضب.
- تكـون اسـتجاباتهم للحدث غيـر منتظمة وغير فعالة.
- يقومـون بتطوير اسـتراتيجيات مواجهة لمعالجة الموقف ومواجهة الضغط الناشئ عنه.

اما تعريف الازمة لأغراض هذه الدراسـة فهو موقف مشـكل وضاغط يسـبب اضطراباً وخللاً وظيفياً للحياة الاجتماعية يتطلب رد فعل مجتمعي لغرض استعادة التوازن والاستقرار.

المناعة النفسية :-

مفهـوم فرضـي يقصـد بـه قـدرة الفـرد علـى مواجهـة الأزمـات والكـروب وتحمـل الصعوبـات وما ينتج عنها من أفكار ومشـاعر غضب وعداوة او افكار ومشـاعر يأس وعجز

وتشاؤم[١١]. وهي بذلك تعد مفهوم مرادفا للصلابة النفسية التي تعرف بأنها مصدر من المصادر الشخصية والذاتية لمقاومة الآثار السلبية لضغوط الحياة والتحقق من اثارها على الصحة النفسية والجسمية، اذ تساهم في وجود ذلك النوع من الإدراك والتقويم والمواجهة الذي يقود الى الحل الناجح للموقف الذي خلقته الظروف الضاغطة[١٢]. فيما يعرفها آخرون بكونها منظومة عقلية من الأفكار المنهجية القادرة على إنتاج الأفكار المضادة للأفكار المدمرة للفرد والمجتمع. وهي بهذا تعني اكتساب الفرد منهجاً فكرياً يتسم بالموضوعية بتوليد وتصنيع الأفكار المضادة للأمراض الاجتماعية والأفكار التخريبية [١٣].

والتعريف المعتمد للمناعة النفسية لأغراض هذه الدراسة هو (تلك القدرة التي اكتسبها الفرد نتيجة اتباع أساليب التنشئة الصحيحة والسليمة في تربيته والتي مكنته من التعامل مع ظروف وضغوط الحياة بفاعلية وموضوعية).

المناعة النفسية وأزمة التطرف والتخريب الفكري :

مر المجتمع العراقي بحقبة من الظروف القاسية والأزمات المتعددة والمتتالية والتي شملت مختلف جوانب الحياة واتسمت هذه الاحداث بالسرعة والتعقيد لاسيما بعد ٢٠٠٣ مما ضاعف من تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على البناء النفسي للإنسان العراقي.

ان هذه التغيرات الجوهرية التي حدثت اثرت في النمو النفسي واحدثت حالة من الشعور بالاتزان الانفعالي والتي هي ليست ثابتة وانما هي في تغير نسبي بين الارتفاع والانخفاض تبعاً لحركة التغيير الناجمة عن كم ونوع الخبرات التي تعرض لها الفرد وتفاعل معها وهذه العملية الديناميكية يطلق عليها بالمناعة او الصلابة النفسية التي تكون مرتفعة لدى البعض فيما تظهر مؤشرات الانخفاض على البعض الاخر، فهناك من يتمتع بمستوى عال من المناعة النفسية وهناك من تكون المناعة النفسية لديه بأدنى مستوياتها، ويقع نتيجة لذلك فريسة سهلة لمختلف الامراض النفسية والجسدية والاجتماعية، فما الذي يجعل الافراد متفاوتين في مستويات الصلابة النفسية؟ وكيف يمكن ان يؤدي انخفاض مستوى المناعة النفسية الى التورط في مختلف انواع الجرائم والانحرافات السلوكية؟ وهذا بالضبط ما دعا المتخصصين والباحثين الى تركيز جهودهم على متغيرات المقاومة التي تجعل بعض الاشخاص يحتفظون بصحتهم النفسية رغم تعرضهم للضغوط والأزمات ويقيمون هذه الضغوط تقييما واقعياً مثلما تجعلهم اكثر نجاحا وفاعلية في مواجهتها وقد سميت هذه المتغيرات (بالواقية) وقد حددت تلك العوامل التي يمكن ان تقي او تعدل من الآثار السلبية لأحداث الحياة الضاغطة والتي قد تكون متغيرات نفسية او اجتماعية وقد عرفها العالم (روتر) بأنها تلك الخصائص الشخصية او العوامل البيئية التي يمكن ان تخفف او تقلل من وقع التأثير السلبي التابع للأحداث الحياتية الضاغطة على الافراد وقد حددها بما يلي :-

- سمات شخصية (الاستقلالية – تقدير الذات العالية).

- متغيرات اسرية (ترابط اسري، الدفء في العلاقات الاسرية).

- امكانية وجود انظمة للمساندة الاجتماعية تشجع وترفع من قدرة الفرد على مواجهة الضغوط[١٤].

والمتمعن في العوامل الثلاث والتي تكون المناعة النفسية التي هي مصدر الوقاية والمقاومة للضغوط والتوتر والاحباط لدى الافراد يلاحظ ان جميعها هي نتاج لثقافة المجتمع مثلما هي ثمرة من ثمرات التنشئة الاجتماعية ومنها على سبيل المثال السمات الشخصية والمتمثلة بالاستقلالية وتقدير الذات فقد اكد (بيكر ١٩٧٩) انه لا يمكن دراسة العلاقة بين تقدير الذات والقدرة على المواجهة الناجحة للضغوط دون النظر الى طبيعة العلاقة بين الطفل والوالدين، فإذا كان الوالدان يتمتعان بتقدير ذات عال وشعور بالقيمة وتتسم علاقتهم بأبنائهم بالدفء والقبول والاحترام، فمن الارجح ان يشعر الطفل انه محبوب وذو قيمة مما يجعله اكثر اقتداراً وفاعلية في مواجهة الضغوط بل ويجعلانه اكثر ثقة في القدرة على النجاح [١٥].

وتؤكد نتائج الدراسات الاجتماعية والنفسية ان نوع العلاقة المبكرة التي نبنيها مع اطفالنا ومدى الايجابية في تجاربنا وخبراتنا معهم ومدى ما يشعرون به من ارتياح وطمأنينة في تعاملنا معهم وفي تعاملهم معنا، كل ذلك له اثره في تنمية قدرتهم وكفايتهم في الثقة في أنفسهم أولاً وثقتهم بالآخرين ثانياً والتي تبنى على اسس راسخة ومتينة اضافة الى تعزيز مقدرتهم في مجابهة التحديات والتصدي للتوقعات المحتملة والقدرة على التمييز بين الغث والسمين والصالح والطالح, فمتى ما توافر لدينا عامل الأمن والاطمئنان الداخلي كنا قادرين على اصدار أحكام سليمة واتخاذ قرارات صائبة [١٦].

وعليه فأن استعمال اساليب غير سليمة في معاملة الاطفال والشباب في مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية وعندما تمارس صور التربية السيئة عليهم.فان ذلك سيؤدي الى فقدان الفرد لاتزانه وارادته فيخرج إلى المجتمع وهو لا يملك الحصانة والمقاومة النفسية للضغوط والاغراءات التي تؤهله أن يقول (لا للخطأ) و (الانحراف) وبالتالي يسهل تورطه في مختلف انواع الجرائم والانحرافات السلوكية.

ومن اعراض فقدان المناعة النفسية اكتساب الفرد الصفات السيئة التالية [١٧]

- ارتفاع القابلية للإيحاء، إذ يصبح الفرد مهيئاً لاستقبال أي أفكار حتى لو كانت غير صحيحة.
- فقدان السيطرة والتحكم الذاتي.
- الاستسلام للفشل.
- الانعزالية.
- فقدان الاحساس بالسرور والمتعة.
- حدوث خلل في في معايير الحكم على الاشياء والمواقف.
- الانغلاق والجمود الفكري.
- ارتفاع درجة النضج الانفعالي الى درجة حرجة.
- ظهور مايثير الكذب الدفاعي.

ان المناعــة النفســية هي خاصية يكتســبها الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية او التطبيع الاجتماعي التي يخضع لها الفرد خلال مراحل عمــره ومن خلال اشــباع الحاجات الاساســية والثانوية له، وباســتخدام منهــج التحليل العلمي فــان جهــاز المناعــة النفســية للإنســان يتكون من[١٨].

● وحدة رفض الافكار المدمرة :- وتظهر في قدرة الفرد على اســتخدام كلمة (لا) عندما يتعرض لموقف انحرافي.

● وحــدة التحكم الذاتي : - وهي المســؤولة عــن جعل الفرد يســيطر على نفســه ولا يترك أفعالــه وتصرفاته ملك للآخريــن يتحكمون فيه كيفما يشاؤون.

● وحــدة الحث الذاتي ومقاومة الفشــل : - وهــي المســؤولة عن مواجهة الفرد لمشــكلاته بواقعيــة وليســت بالاندفاع والتهــور من خلال دراســته اسباب الفشل ووضع الخطط للوصول الى الحلول وتحقيق النجاح.

● وحــدة التعبيــر عــن الــذات بالأســلوب السوي.

وعليــه فنحــن عندمــا نســتعمل الاســلوب الديكتاتــوري او اســلوب الحمايــة الزائدة في التربية فإننا نمنع تكوين خاصية (الحث الذاتي) التي يســتطيع الفرد من خلالها ان يدفع بنفســه بعيــداً عــن الدائرة الخبيثة التــي يمكن ان تلتف حولــه (افــكار، بشــر، مواقف) فانعــدام نمو الاستقلالية والشعور بتقدير الذات يمثل الخطر الحقيقي الذي يهدد الفرد والمجتمع.

بالمقابــل تســتخدم الجماعــات المتطرفــة مناهــج عمل تســتند على رصيد مــن المعرفة والمهــارة والفن والذي يترجم في الممارســات من خلال الاتي [١٩].

● التركيــز على النشــيء والســيطرة على الجانب العقلي والوجداني لتحقيق اهدافهم وذلك بترسيخ معتقداتهم على انها الصواب.

● يتم تزويد الافراد بمجموعة من النشرات والكتــب للإجابة عن أي تســاؤل وفقــاً لفكرهم لتكوين نظام معين من القيم.

● تحديد كتب ومراجع محددة يلتزمون بها لتكون بمثابة تغذية راجعة لأفكارهم باستهداف الاتجاهــات والقيــم ليتحــرك في الاتجــاه الذي يريدون.

● الشــك والريبة وســرعة اتهــام الاخرين بدون دليل وتشجيعهم على الإفتاء بغض النظر عما يمتلكونه من علم شرعي.

● تشــكيل خلايــا ســرية وتدريبهــم علــى السلوك التدميري.

● الزامهــم بنظام صارم مــن اجل تضحية العنصر بنفسه وممتلكاته وبواجباته الاسرية.

● استعمال اسلوب المديح والثناء قبل وبعد تنفيذ المهام فضلاًعن التعزيز المادي والمعنوي بشكل مباشر او غير مباشر.

اضافة لما ســبق تؤكد نتائج الدراسات بشأن ظاهرة التطرف والجماعات المنحرفة فكرياً الى ان افرادها يعانون من اضطرابات نفســية ويعد الشــعور بالاكتئاب وعدم الســرور والاستمتاع بالحياة قاسم مشترك بينهم كما ان هذه الجماعات تســتخدم القوة والعنــف لتلقين افكارها وكســب

الانصـــار المؤيديـن لهـا مثلما يعد الاستسـلام والاعتناق الكامل وبدون مناقشـة لشخص معين او فكـرة او مؤسسـة احد ابـرز خصائص هذه الجماعات فضلاً عن ان هذه الجماعات تستعمل اسـلوب حب الظهـور أو تأكيد الـذات بصورة سلبية على الاعضاء المنتمين لها من خلال تقسيم الادوار القيادية على اعضائها (مسؤول الثقافة، المسؤول العسكري.....) [٢٠].

وهـم بذلك يسـتخدمون منهجـا علميا تجاه كسـب الانصار والمؤيدين مع غياب الاسلوب التربوي السليم في المؤسسـات التربوية الامر الذي يؤدي الى توسـيع رقعـة الفكر المتطرف نتيجـة لغياب الفكر الحر في اسـاليب التنشـئة والتعليم، فالتربية التي لا تنمي حب الاستطلاع وتقتـل روح النقد لدى النشـىء، تكـون نتيجة ذلك اضعـاف القدرة على الانفتـاح على الغير وعلـى مجابهـة التوتـرات التـي لا مفـر منها فيمـا بيـن الاشـخاص والجماعـات، كمـا ان زراعـة الخـوف وعـدم الاعتماد علـى النفس والاعتماد على الاخرين في اشـباع الحاجات، كل ذلـك يمكـن أن يحطـم شـخصيات النشـئ ويدمـر جهـاز المناعة النفسـية والذي يسـاعد علـى مقاومة الافـكار التخريبيـة او ما يعرف (بالفايروس الفكـري) ويحول هؤلاء الضحايا بعـد انضمامهـم واندماجهـم لفئـات التطـرف الفكـري، ومن اعضاء مسـتقبليين خاملين الى اعضاء شرسـين مدمريـن يسـتخدمون القوة مـن اجل فـرض افكارهم علـى الآخرين وكل ذلك يحـدث نتيجة لتصدع المنظومـة التربوية بسبب غياب الوعي وسوء التخطيط اضافة الى غيـاب الادارة العلمية والـذي يكون من نتائجه احتمال تعرض الشباب بدرجة عالية إلى فقدان المناعـة المناعة النفسـية [٢١] وتعرضهم نتيجة لذلك لمختلف الانحرافات السـلوكية التي يمثل التطرف الفكري احدهـا وأخطرها على الامن والسلم الاجتماعي.

٣-١ ازمة التطرف والتخريب الفكري وآليات المواجهة والاحتواء:

يعد التطرف آفة على مر العصور وفي كل المجتمعات، ينتشـر حيثما تنتشـر قيم الفوضى وارتبـاك المعايير ومظاهر العنف والاسـتبداد لهذا يتشـكل الفكـر المتطرف عـادة بعيدا عن آليات التربية السـليمة ويسبب للمجتمع حالات من الاضطراب والضعف.

وإيمانـاً منا بـأن التطرف يمثـل الترجمة الواقعية لأوضاع البؤس الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي ينخر في جسد المجتمع وهو بذلـك نتاج لتلـك الظروف الصعبـة والازمات التـي يمر بها المجتمع، لذلك فما لم تتم دراسـة المشكلة بصورة علمية ومعمقة واتخاذ التدابير المناسـبة لمواجهتهـا، فان ذلك مـن الممكن ان يقود الى اخطاء اضافية تزيد من حدة المشـكلة وزيادة رقعة مساحتها بدلاً من الحد منها.

وقـد جـرت العادة علـى مواجهـة ظاهرة التطرف بأحد الأسلوبين [٢٢]

◄ **الاسـلوب الامني البوليسـي** :- وهو المفضل لدى غالبية الاجهزة الرسـمية العربية والاسلامية.

◄ **الاسـلوب السياسـي والفكري**:-عـن طريق الاسـتيعاب، وفتح قنوات الحوار لإقناع مـن يحمـل فكـراً متطرفاً بـان ابـواب التأثير

والاصلاح بالطرق السلمية بعيدا عن العنف وإراقة الدماء متيسرة امامه وليست مغلقة.

والملاحظ على الأسلوبين المذكورين آنفاً هو النظرة الضيقة والسطحية في المعالجة من خلال الاعتماد على الحلول العاجلة والتي غالبا ما تنهار وتتراجع عند ظهور اول عامل مثير، ذلك ان اغلب المعالجات قد اعتمدت العوامل (المفجرة للسلوك) واهملت (الأسباب الكامنة) التي تقف خلف هذا السلوك، فقد يبدو السبب المفجر أو المهير انه يقفز بسرعة ليأتي بالسلوك، ولكن الحقيقة أن وراء السبب المهير تكمن سلسلة من العوامل المسببة أو المهيأة أو الاستعدادية التي تجعل الفرد مستعدا ومهيأً للانهيار والاصابة [٢٣].

كما ان سياسات الاستئصال الامني لم تنجح يوماً في انهاء التطرف.....، اذ مايلبث بعد كل ضربة أن يطل بأكثر من رأس بعد قطع رأسه الأولى، والسبب في ذلك يعود الى ان ظواهر من هذا الضرب انما تنشأ من اسباب اجتماعية عميقة، لا يمكن القضاء عليها بتصفية اعراضها، وانما باستئصال الاسباب والجذور التي انبتتها[٢٤].

وحتى الحلول السياسية والتفاوض ايضاً في التعامل مع جماعات التطرف والتخريب الفكري لم تنجح لأنها ببساطة مثلما ذكرنا قد اعتمدت الحلول السريعة ومعالجة الأعراض فضلاً عن اعتمادها على محاولة كسب النقاط على حساب الطرف الاخر مما يجعل بذور الصراع بين الطرفين تبقى كامنة، أو العمل على اجراء هدنة مع هذه الاطراف، وبالتالي تبقى النتيجة واحدة وهي استمرار اسباب الخلاف والنزاع بين الطرفين قائمة او مؤجلة.

لهذا ان لم تتوجه المعالجات نحو الاسباب المؤدية لهذه الظاهرة المرضية فان النتائج ستكون وخيمة على المجتمع وسيدفع الثمن باهظاً من راس ماله الاجتماعي والاقتصادي وأمنه الاجتماعي.

ولعل العامل الاكثر وضوحاً في آليات التعامل مع ازمة التطرف والتخريب الفكر هو غياب العامل التربوي في المعالجة متغافلين بذلك القراءة الصحيحة لمشاهد العنف والتطرف فالمجتمعات الانسانية قد شهدت في مختلف مراحل تطورها كوكبة من انماط العنف والوقائع التاريخية تدلنا على ان العنف وسيلة من وسائل الصراع الأيدلوجي، سواء بين الافراد او بين جماعات سياسية متباينة، بغرض فرض احداها لسيطرتها على الاخرين، او لتكريس كينونتها على صعيد الواقع السياسي، او بين الدولة والجماعات السياسية التي تهاجم شرعيتها.[٢٥]

ولهذا فان استعمال القوة المسلحة تجاه الجماعات المتطرفة لم يكن يوما حلا مثاليا ولم ينه صور التطرف ولا ينتهي ذلك في اغلب الاحيان بانتهاء الجماعة المتطرفة بقدر ما ينتهي الى ان تركز الجماعات نشاطها على استخدام العنف اتجاه الاعداء (المفترضين) مما يعمل على تقوية التضامن الداخلي بين أعضائها كما تؤكد ذلك النظريات الاجتماعية بهذا الصدد لكل من جورج زمل ولويس كوسر الذين اكدا بان الصراع او حتى التلويح به يمكن ان يكون عاملا من عوامل تمتين وحدة الجماعة وزيادة تماسكها[٢٦].

لهذا فان تغيير المعالجات نحو تبني الاستراتيجيات البعيدة المدى والعميقة الاثر يعد

العامل الأكثر فعالية وديمومة في معالجة ازمة التطـرف والتخريب الفكري ويمكـن الاعتماد علـى التربيـة كعامل أسـاس من خـلال جعل مهمتها تسـلك طريقين متكامليـن، الاول يتمثل فـي الاكتشـاف التدريجي للآخريـن والتوعية بأوجـه التماثل والترابـط بين جميـع الكائنات البشـرية، والثاني وعلى مدى الحياة ويتمثل في تدريـب الافـراد على الدخول في مشـروعات مشـتركة تقوم على مبدأ المسـاواة والذي يبدو منهجاً فعالاً لتجنب النزاعات الكامنة وحلها.[٢٧] وبنـاء على ما تقدم فـان الحل الامثل لمعالجة ازمة التطرف والتخريب الفكري انما يكمن في التربية والوسائل التي تتبعها في بناء الشخصية المتوازنـة فالفكـر المتطرف او السـقيم يواجه بالفكر السليم.

٣-٢المؤسسة التربوية وأزمة التطرف والتخريب الفكري :

لقـد كان التعليـم ولا يزال مهمـة اجتماعية بكل معنى الكلمة، فازدهار شـخصية الفرد هو نتاج لتعزيز الاسـتقلالية لديه بقدر ما هو ايضا نتاج لغرس فكرة التضامن مع الغير في نفسه.

والنظـم التعليمية انما هـي مصدر الرصيد الانساني والرصيد الثقافي والرصيد الاجتماعي في آن واحد وعند إذ يمكن أن ينبثق من الإنسان المعـادي للإنسـان نمـوذج الإنسـان الصديق للإنسـان وذلـك بفضـل التعليـم المحافظ على وفائـه لروح الترابط الاجتماعـي التي يتوخاها الانسان[٢٨]

لهـذا يعد التعليم في المجتمعات التي تنشـد التقدم العامل الاسـاس الاكثـر تأثيرا في تحقيق الامـن الفكـري والاجتماعـي واسـاس نهضة المجتمـع على كافـة الأصعـدة والمجالات فلا يمكـن لأي مجتمع تحقيـق التقدم في مسـيرته مالـم تكن لديه رؤية تربوية واضحة قائمة على اسس علمية تكفل بناء شـخصية الفرد بصورة متوازنة، وعلى ذلك فان ملامح النظام التربوي السـليم المطلـوب لبناء الشـخصية الانسـانية بصورتهـا الصحيحة لابد وان يسـتند الى فكر تربوي يتسـم بـــ (العمـق، التأمـل، المعرفة، الاتسـاق والتكامل، التسـامح، الشك المنهجي، النماء، التحليل والتركيب واخيراً التقويم) [٢٩]

فالتربية في جميع الأحوال لها هدف اساسي يتمثل في تفتح شخصية الكائن البشري في بعده الاجتماعي فهي تحـدد كونها اداة لنقل الثقافات والقيم، وبناء لحيز التنشـئة الاجتماعية وبوتقة لمشروع مشترك [٣٠].

وبنـاء على ذلك فكلما ارتفع مسـتوى تعليم الفـرد كلما كان اكثر نضجاً فـي مواقفه وأرائه وكلمـا زاد تحصينه النفسـي والفكري واعتمد الديمقراطية كاسلوب في التعامل مع الاخرين، اذ لا يمكـن ان تكون هناك ديمقراطية صحيحة وسـليمة مع الجهل وظلام العقول والمؤشر في هذا الارتباط بين العاملين ما ساقه (ليبست) من دليـل من ان الطبقات العاملة والاقل تعلماً تتجه لتكـون اكثر تسـلطاً في مواقفهـا ولتكون ذات احتمالية اكبر للانحياز الى الجماعات المتطرفة دينيا وسياسيا. [٣١]

وما تطرقنـا اليه انفا يمثل النماذج التي يلبي فيها التعليم حاجات المجتمع والمؤسسة التربوية فيه تؤدي دورها بالشـكل السـليم والصحيح في المجتمع، لكن ماذا عن وضع التعليم في مجتمعنا؟ وماذا عن المنهج المتبع في مؤسسـاتنا التربوية لاسـيما النظامية ؟ هل يسـتهدف بناء شخصية

الانسان ونمائها ام انه وبصورة غير مباشرة قد اسهم في تغذية حدة التطرف والتعصب في المجتمع من خلال اتباع الاساليب الخاطئة في الممارسات التربوية فالمنهج التلقيني الذي يعتمد عليه في جل الممارسات التربوية يقوم على دعامتين اساسيتين هما :- (التلقين من جانب الاستاذ او المعلم) و (الحفظ من طرف التلميذ او الطالب)، فالطالب يكون وعاءاً يتلقى المعلومات دون ان يكون له دور يذكر في فهم صياغتها او اعادة ترتيبها، فهو يحفظها من اجل اعادتها كما هي اثناء الامتحانات، لكن الاشكالية التي ربما لا يأبه بها الكثيرون من المهتمين بالتربية، هي ان نمط التلقين هذا يجعل من الطلبة الآت او اوعية أكثر سهولة للانقياد للأفكار المعلبة ويجعلهم أكثر صرامة في تطبيقها دون تفكير او نقاش[٣٢].

لهذا يجب علينا الاعتراف اولاً بان التطرف والتلوث الفكري الذي نعيشه اليوم ما هو الانتاج لميراث ثقافي وتعليمي يناهض تيارات العقل والاجتهاد والتسامح المعتمد في المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية على السواء اذ نلاحظ فيها اهمال واضح لشخصية الناشئ او المتعلم والاعتماد على اسلوب التوجيه من طرف واحد، فالعملية التعليمية لدينا عبارة عن مرسل ومستقبل وهذا بدوره يؤدي الى انعدام نمو الاستقلالية وتقدير الذات لدى المتعلمين واللذان يعدان من ابرز عوامل الوقاية او المناعة والصلابة النفسية.

لذا فما الذي ننتظره من تعليم منغلق غير تخريج افواج من المتطرفين والمنغلقين فكرياً من الذين يتصورون انفسهم اوصياء على الاخرين، فالمتطرف يأتي متدثراً برداء المجموع، ويكون الفاعل ها هنا قد نصب ذاته نائب عن الجماهير.[٣٣]

لذا فأن بناء استراتيجية فكرية : تربوية – تعليمية – ثقافية - تنويرية يعد ضرورة حياتية للرد على التطرف وصده وحماية المجتمع من شروره، ومن المهم جداً عند بناء هذه الاستراتيجية الإدراك والوعي التام ان ذلك هو بداية عمل متواصل باتجاه تحقيق رؤية معينة ذات هدف محدد وغاية لا تنتهي بانتهاء مهام اعدادها، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان الاستثمار الناجح في هذه الاستراتيجية لن يؤتي ثماره مالم يؤخذ بنظر الاعتبار آلية التنفيذ والمتابعة.

ولهذه الاستراتيجيا برنامج عمل ووسائل عمل، فأما برنامج العمل فمداره على جملة أهداف مترابطة متضامنة في غايتها العليا، وفي جملتها إشاعة وترسيخ قيم العقل والتسامح والاجتهاد وروح التجديد، وقيم السلم والحوار والانفتاح على الغير ونبذ التعصب، اما وسائل العمل المطلوبة لتحقيق هذه الاهداف فمتعددة، تعليمية – تربوية، ثقافية، دينية وإعلامية، تتضافر هذه الأدوات والمؤسسات كافة للنهوض بانجازها في نطاق خطة عمل متكاملة ومدروسة، تشارك فيها – شراكة كاملة، الدولة والمجتمع المدني على السواء[٣٤].

ويمكن تحديد ابرز ملامح وعناصر الرؤية التربوية لهذه الإستراتيجية والتي يمكن تلخيصها بالاتي:-

- إقرار سياسة تعليمية تقوم على مبدأ تربية النشء على قيم التسامح والتنوع فلا يكفي القول اني متسامح بعد اليوم بل لابد ان يقترن هذا المفهوم ايضا باحترام الاخر وتقبله، وان تعتمد ايضا هذه السياسة العقل والمنطق والتفكير الحر ونبذ التعصب واحترام الرأي

الاخـر ومواجهته بالحـوار لا بالعنف والزجر ولابد لهـذه القيم ان تجد مكانهـا في المقررات الدراسـية من خلال تحويل هذه المقررات الى برامج عمل وممارسـة فعلية للفكر والمهارات من اجل ان تتشـبع بها الاجيال الجديدة وتتجسد لديها في الفكر والسلوك.

- الاهتمـام بمؤسسـات إعـداد المعلميـن والأسـاتذة وتأهيلهـم مـن الناحيـة العلميـة والتربوية و إشراك التربويين كجزء من عملهم فـي أجهـزة الإعـلام والمؤسسـات الرياضية والدينيـة والثقافية..... الـخ وبما يؤدي إلى رفع جـودة أداء المؤسسـة التربويـة لان هذا العصر هو عصر التخصص والتكامل والعمل على ترجمة خبراته لممارسـات سـلوكية ذلك أن المعلميـن في جميع المراحل الدراسـية هم الوسـيط الأساسـي في المواجهة وهم اسـاس الوقاية من الأمراض الفكرية والاجتماعية بما يمتلكون من معارف وبما يتبعون من اسـاليب تربويـة تسـهم فـي بنـاء شـخصيات التلاميذ فالمدرسـة كما ذكـر المفكر عبـد الاله بلقزيز هـي (المعمل الـذي يصنع فيـه المواطنون) وعلينـا ان نقرر اي نوع مـن المواطنين نريد [٣٥]، اضافـة الى ضـرورة الانتقـاء والتدقيق للمديرين والمسؤولين للمؤسسة التربوية لأنها دعامة العقل.

- العمـل علـى الارتقاء بطرائـق التدريس والاهتمـام بالأنشـطة الصفيـة واللاصفيـة باسـتخدام اسـتراتيجيات متنوعة كاستراتيجية التفكيـر الإبداعي والأسـئلة التـي تولد الأفكار وإسـتراتيجية التفكيـر الناقد وحل المشـكلات والعصف الذهنـي..... وبما يضمن تطبيق مبادئ الفكر التربوي السليم.

- العمل على ربط التعليم بحاجات المجتمع وسـوق العمـل مـن خـلال التخطيـط الجيـد للسياسـات التعليمية في المجتمـع والعمل على تشـجيع ودعم الشـباب مادياً ومعنوياً على فتح والمساهمة في المشـاريع الاستثمارية الخاصة لان ذلـك كفيل بملئ أوقـات فراغهم وابتعادهم عن جماعات التخريب الفكري.

- مـد جسـور التعـاون والتواصـل بيـن المدارس ومؤسسـات المجتمع الأخرى المعنية بقضايـا التنشـئة الاجتماعيـة وايجـاد صيغـة قانونيـة للعمـل المشـترك بينهـا وبمـا يضمن ايصال الرسـالة التربوية السـليمة التي تضمن بناء الشخصية الانسـانية في جوانبها المعرفية والنفسية والاجتماعية على افضل ما يكون.

اطـلاق برنامـج ثقافـي تنويـري شـامل فـي المجتمـع يعمل على غرس بـذور التربية علـى قيم العقـل والحوار والتسـامح واحترام الاخـر والتعدديـة الثقافية ويتحمل مسـؤولية اعـداد هـذا المشـروع المفكريـن والباحثيـن والادبـاء والمبدعين من كافـة الاختصاصات لانهـم حملة الافكار ومنتجوهـا مع تقديم كافة اشـكال الدعم المـادي والمعنـوي لهم من بنى ثقافية وتشـريعات وقوانين مناسبة، اضافة الى العامل الاهـم وهو (اعطاء مسـاحة كافية من الحريـة للفاعلين الثقافيين) لممارسـة ادوارهم وهذه المسالة نشدد عليها لان هذه المساحة من الحريـة تكاد تكون غائبة في اغلب المجتمعات العربيـة وعلـى صناع القـرار الانتباه الى ان هـؤلاء هـم القادرون فعـلا لألحـاق الهزيمة بالعقلية المتطرفة.

- تكويـن مجموعـات عمـل متميـزة مـن

المفكريـن واسـاتذة الجامعـات والخبـراء في اختصاص علم النفس والتربية، علم الاجتماع، علـم الاقتصاد، السياسـة، اضافة الـى القانون والامـن وظيفتها جمع الافـكار الملوثة وتحديد مناطـق انتشـارها وتصنيفها الـى مجالات ثم الرد عليها بأسـلوب علمـي منهجي بحيث يتفق الـرد مع المرحلـة العمرية والمسـتوى الثقافي والاجتماعي.

- تحسـين أوضـاع المـدارس ومراكـز الشـباب في القرى والمناطق الشعبية والفقيرة لان تلـك الأماكن هي في الغالـب بؤر التلوث الفكري وذلـك بزيادة مخصصات العاملين في تلك المناطـق وزيادة عدد المـدارس ومراكز الشباب.

- ولان التطـرف اكثـر وضوحـا فـي هذه المرحلـة هـو التطـرف الديني فان للمؤسسـة الدينيـة دورا اساسـيا في هـذه المواجهة لكون رجال الدين هم الفئات الاكثر تضررا من صعود حركات التطـرف والتكفير سـواء بالتحريض عليهم او بتكفيرهم وحتى باستهدافهم بالتصفيات الجسـدية فضلاً عن قيـام الجماعات المتطرفة بمزاحمـة رجال الدين في اداء دورهم التربوي والتثقيفي،لهـذا ولكـي تنجح هذه المؤسسـة في اداء دورها في المجتمع بشـكله الصحيح السليم لابد من الاتي:-

- التسـليم بحقيقـة ان التـراث الثقافـي الاسـلامي شـأنه بقية انـواع التـراث الديني العالمي وعلى مر العصور فيه الغث والسمين والصالـح والطالح وانه مثلمـا تضمن تيارات العقل والاجتهاد والرحمة الناشـئة من حركات الإصلاح الديني كان فيه أيضاً قدراً لا بأس به من تيارات الجمـود والانغلاق والفهم الخاطئ والضيـق لنصـوص الدين والتي نشـأت منها الحـركات التكفيريـة والتأكيد علـى أن نكران حقيقة وجـود هذا الفكر بدعـوى تنقية صورة الماضي والإسلام منه لن يفيد الإسلام في شيء ولن يقود إلا إلى مزيـد من التناحر والخلاف, بل لابـد من العمل على تنقية صورة الإسـلام عن طريـق تحريره من ذلك التـراث المنغلق والجامـد من خـلال مراجعة شـاملة وتقويمية لهذا التراث.

- لابـد مـن مراجعـة شـاملة لعمـل هـذه المؤسسـات وتقويـم عملهـا وإعـادة تأهيـل مؤسسـاتها التعليميـة والعلميـة مـن مـدارس وجامعات ومجالـس علمية.....الخ. وإعادة النظـر فـي طرائـق التفكير ومناهجـه وأعداد الاجيـال الجديدة مـن رجال الديـن وما يقترن بهذا الاعداد من تفتح للوعي على افاق المعرفة الانسانية الحديثة.

- تؤكـد نتائـج الدراسـات ان الاعلام غير المنظـم وغيـر العلمي قد يمثل وسـيلة لنشـر الخوف من الارهابيين والمتطرفين بدل من ان يكون العكس وبما ان الاعلام يمثل العامل الاهم والأخطرتأثيرا في عصرنا الحالي لأنه ببساطة يسـتهدف كل فئات المجتمع، لـذا فانه يمكن ان يلعب دورا جوهريا في مواجهة ازمة التطرف والتخريـب الفكري وذلك من خـلال جملة من الاجراءات لعل اهمها ما يلي :-

أ. ايجاد صيغـة قانونية للعلاقة بين الاعلام والمؤسسـات التربويـة لاسـيما في مـا يتعلق بالتربية الاسـرية للوالدين.توضع فيه اسـاليب التربيـة الصحيحـة الواجب اتباعهـا في تربية الابناء والتوعية في اسـاليب التربية الاسـرية السـليمة لحمايـة الاطفال من القسـوة وسـوء

المعاملــة اضافة الى تزويد الاباء بمجموعة من القيم التي يجب ان تتضمن في سلوكهم والمتمثلة فــي حب العمل والإخلاص فيه وإتقانه والنظام والنظافــة والصدق.....الــخ. وتقديم كل ذلك بأســلوب شــيق لا مجرد إلقــاء ليس له اي تأثير.

ب. انتــاج المــادة الصحفيــة او الاعلاميــة التثقيفيــة من خــلال الاتصال اليومــي بمصادر المعلومات وتوظيفهــا لإحداث التأثير في الرأي العام بشــان مخاطــر ظاهرة التطــرف واعتماد الموضوعيــة فــي الطــرح مــن خلال إفســاح المجــال امام الباحثين المتخصصين في مواجهة الجماعات المتطرفة وذلك بهدف تمكين الخطاب الفكــري وزيادة قدرتــه في التأثير باتجاه رســم الاتجاهات والتأثير في عقول افراد المجتمع.

ج. التكثيــف الاعلامــي في فتــرات زمنية متلاحقــة لمواجهة الافكار الهدامة والرد عليها مــن قبل المتخصصين بأســلوب علمي منهجي وتقديم هذه الــردود وفقا لخريطة جغرافية عن طريق الاعــلام والتعليم, فالرســالة الإعلامية قــد تغــدو عمــلاً عقيمــاً إذا اقتصــرت علــى تقديــم معلومات ســردية أو واهيــة الترابط بل ومتناقضة مما قد يؤدي الى خلق جو من البلبلة لدى افراد المجتمع بدل ان يكون وســيله للنشر قيم التســامح والتعدد وقبــول الآخر المختلف، فالتعلــم عملية تقــوم علــى الادراك من خلال التعامــل المنطقــي مــع المعلومــات لهذا يجب ألا تكتفي وســائل الإعــلام بنشــر المعلومات فقط بــل تعمل أيضاً على تثقيف أفراد المجتمع ليصبحــوا قادريــن مــن خــلال الصــور التي يجري بثها علــى تكوين راي خاص ومحاربة الافكار الهدامة.

٤-١ الخاتمة :

التطــرف والتخريــب الفكــري قديــم قــدم الانســانية وهو ليس مقصــورا على مجتمعات معينــة دون غيرهــا فــكل المجتمعــات عانت فــي فترة ما من تاريخها مــن ويلاته وهو يتخذ اشكال متعددة فهناك التطرف السياسي والديني والعرقــي والاجتماعي.....الــخ. وذلــك بنــاءا علــى الظروف الســائدة فــي كل مجتمع والموجة المتسيدة الان ترتدي ثوب الدين، ومن المظاهــر الدالــة والمرتبطــة بالتطرف حدوث العنــف، غيــاب العدالة والمحاســبة، ترســيخ الافكار الفئوية وبــروز مظاهر التفرقة، اعلام متطرف.....الــخ وكل ذلــك نتيجة غياب السياســة والأساليب التربوية السليمة التي تؤكد على حريــة التعبير واســتيعاب الرأي والرأي الاخر.

وعلــى الرغــم مــن ان التطــرف ظاهــرة وازمة اجتماعية الا أن له خلفيات ســيكولوجية كونه يمثل ســلوكاً عصابياً مرضياً نتيجة اتباع سياسات واساليب تربوية غير سليمة في معاملة النشــيء، التطرف لا يحدث فجأة لدى الفرد بل لا بــد ان يمــر بخطــوات بعــد ان يجد الارض الملائمــة التي ينمو فيها وتبدأ عــادة بالتعاطف ثم الانعزال ثم الاســتقطاب مــن قبل الجماعات المتطرفــة التــي ســرعان مايجــد الفرد نفســه مندمجــاً فيها من خلال مختلف الاســاليب التي تمارســها معه، التطرف ياتي في الغالب نتيجة لانحسار الدور الثقافي وانتشار مظاهر التخلف والانغــلاق والتضييــق على الحريــات والعقل واقصاء الاخرين وانحســار المجال في التعبير عن الذات بصورة صحيحة.

فضلا عن ان اتسام الفكر التربوي للمؤسسات التربوية النظامية وغير النظامية بالضيق والسطحية وافتقاره لسمات الفكر التربوي السليم والمتمثلة بالعمق والتأمل والاتساق والتكامل والتسامح والشك المنهجي والفروض واختبار البدائل، كل ذلك كان سبباً أساسياً ساهم في إنتاج شخصيات سلبية مهيأة لاستقبال أية أفكار حتى لو كانت غير صحيحة ومدمرة.

لذلك فأن المؤسسة التربوية النظامية لا تستطيع وحدها حل المشكلات الناجمة عن زعزعة التماسك الاجتماعي مالم تساندها بقية مؤسسات المجتمع المعنية بقضايا التنشئة الاجتماعية، لكنها بالتأكيد يمكن أن تسهم في تنمية ثقافة التعايش معا التي هي عنصر اساسي من عناصر التماسك الاجتماعي والهوية الوطنية من خلال النهوض بجماعات الاقليات وادماجها في مشاريع تعليمية مشتركة تقوم على اساس المساواة واحترام شخصيتهم، وان الشراكة والتنسيق بين كافة المؤسسات المعنية بعملية التنشئة الاجتماعية بما يؤدي لتعزيز الفكر التربوي السليم يعد امراً حيوياً لتحقيق اهداف هذا الفكر في بناء الشخصية الانسانية الايجابية وتحقيق الامن الاجتماعي والفكري.

المراجع:

(١) اليونسكو، التعلم : ذلك الكنز المكنون، تقرير قدمته الى اليونسكو اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، مركز الكتاب الاردني، ١٩٩٦، ص ١٧٧ – ١٧٨.

(٢) د. شحاتة صيام، العقل التكفيري : من التشدد الى ما بعد المراجعات، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص ٣٦ – ٣٧.

(٣) د. لاهاي عبد الحسين الدعمي، مقدمة في علم الاجتماع، دار ومكتبة البصائر – بيروت، ط١، ٢٠١١، ص ٤٥.

(٤) د. رباح عبيد الهيتي، انهيار سلطة الدولة في العراق – دراسة في علم الاجتماع السياسي، دار العراب ودار نور للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، ٢٠١٠ م، ص٢٦.

(٥) هشام الهاشمي، التطرف : اسبابه وعلاجه، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد، ط١، ٢٠١٦، ص١١.

(٦) محمد هاشم اغا، رؤيه تربوية للخروج من ازمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني بمحافظات غزة، مجلة جامعة الازهر بغزة، سلسلة العلوم الانسانية، مجلد (١٢) العدد (٢)، ٢٠١٠م، ص٧٨٣.

(٧) د. علاء زهير الرواشدة، التطرف الآيدلوجي من وجهة نظر الشباب الأردني – دراسة سوسيولوجية للمظاهر والعوامل، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، مجلد (٣١)، العدد (٦٣) الرياض، ٢٠١٥، ص٨٧.

(٨) فالح حسن علي القريشي، بناء برنامج تدريبي لإدارة الأزمات للقيادات التربوية في العراق في ضوء احتياجاتهم الادارية والفنية، اطروحة دكتوراه – جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – الادارة التربوية، ٢٠١٣، ص١٤.

(٩) د. حسن محمد حسان و د. محمد حسنين العجمي، الادارة التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – عمان – الاردن، ط٢، ص٣٦٧.

(١٠) د. عبد الوهاب محمد كامل، سيكولوجية ادارة الازمات المدرسية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – عمان – الاردن، ط١، ٢٠٠٣ م، ص١٩.

(١١) فتيحة خنفر، الصلابة النفسية وعلاقتها بمركز الضبط لدى الطالب الجامعي – دراسة ميدانية بجامعة قاصدي مرباح – ورقلة، جامعة قاصدي مرباح –ورقله - كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – قسم علم النفس وعلوم التربية - شعبة علم النفس، رسالة ماجستير، ٢٠١٣، ص١٤.

(١٢) احمد بن عبد الله محمد العيافي، الصلابة النفسية واحداث الحياة الضاغطة لدى عينة من الطلاب الايتام والعاديين بمدينة مكة المكرمة ومحافظة الليث، جامعة ام القرى – كلية التربية – قسم علم النفس، رسالة ماجستير، ٢٠١٣م، ص ٦ – ٧.

(١٣) د. عبدالوهاب محمد كامل، سيكولوجية ادارة الازمات المدرسية...، مصدر سابق، ص ٢١٠.

(١٤) احمد بن عبد الله محمد العيافي،الصلابة النفسية وأحداث الحياة الضاغطة...، مصدر سابق، ص ١٠ – ١١.

(١٥) نوال زرواق، مستويات الصلابة النفسية لدى المراهق المصاب بداء السكري، جامعة محمد خنيفر– بسكرة – كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاجتماعية - شعبة علم النفس، رسالة ماجستير، ٢٠١٣ م، ص ٣٤.

(١٦) محمد عبد الرحيم عدس, تربية المراهقين, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع_ عمان,ط١, ٢٠٠٠, ص ٢٢-٢٤

(١٧) فتيحة خنفر، الصلابة النفسية وعلاقتها بمركز الضبط لدى الطالب الجامعي...، مصدر سابق، ص١٥.

(١٨) د. عبد الوهاب محمد كامل، سيكولوجية ادارة الازمات...، مصدر سابق، ص ٢١٣.

(١٩) محمدهاشم اغا،رؤية تربوية للخروج من ازمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني، مصدر سابق، ص ٧٨٩.

(٢٠) د. عبد الوهاب محمد كامل، سيكولوجية ادارة...، مصدر سابق، ص ٢٠١٦.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٠١٤.

(٢٢) هشام الهاشمي، التطرف : اسباب هوعلاجه، مصدر سابق، ص٤٦.

(٢٣) د. عبد الرحمن العيسوي، اضطرابات الطفولة والمراهقة وعلاجها، دار الراتب الجامعية – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٤١.

(٢٤) عبد الإله بلقزيز، التفكير في التكفير : نحو استراتيجية مواجهة ثقافية، مجلة المستقبل العربي – مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٤٣٣، السنة ٢٠١٥، ص ١٥٩.

(٢٥) د. شحاته صيام، العقل التكفيري... مصدر سابق، ص ٣٤ – ٣٥.

(٢٦) د. لاهاي عبد الحسين الدعمي،مقدمة...، مصدر سابق، ص ١١٨.

(٢٧) اليونسكو،التعلم : ذلك الكنزالمكنون، مصدر سابق...، ص ٨٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

(٢٩) محمد هاشم اغا، رؤية تربوية،...، مصدر سابق، ص ٧٨٥ – ٧٨٦.

(٣٠) اليونسكو، التعلم : ذلك الكنزالمكنون، مصدر سابق..، ص٨٣

(٣١) خديجة حسن جاسم، العوامل الاجتماعية المؤثرة في تسرب طلبة المرحلة المتوسطة – دراسة ميدانية في مدينة بغداد، رسالة ماجستير – جامعة بغداد – كلية الآداب– قسم الاجتماع، ٢٠٠٠م، ص٧٨.

(٣٢) هشام الهاشمي، التطرف : اسبابه وعلاجه، مصدرسابق،ص٨٧.

(٣٣) د . شحاته صيام، العقل التكفيري.. مصدر سابق، ص٣٥.

(٣٤) عبد الإله بلقزيز، التفكير في التكفير : مصدر سابق، ص١٦٠.

(٣٥) المصدر نفسه، صفحة ١٦١.

The role of educational institutions in confronting the crisis of radicalism and intellectual sabotage

Asst. prof. Dr. Khadija H. Jasim

The educational system in any society is considered the main tool to maintain the value and skills of its individuals and creates many trends that suit the spirit of the era and suit the plans and trends of the sociey towards progress and developments. True upbringing is the upbringing that aims to invest the individuals to help in the production , peace, soؤial security and citizenship among the people of the society Upbringing is a complex process and a shared responsibility that lies on the family, school , university , religous institutions and the media in all its shapes. To achieve this national and ethical responsibility in building the balanced character of the individual,we should adopt a clear plan that determines its role in this process. In addition to all that ,the goal of the educational process is to contribute in building the human character and determines its cultural identity through its social upraising especially what is implanted in childhood of values , trends and: and bevaviour.Its importance also lies in that the goal of upbringing is headed towards balanced building of the individual in his society that enables him of using his knowledge in confronting the up-to-date information and life and the positive adjustment and grasp its environment and contribute in its protection in a scientific way. Although many attempts and efforts have been made in trying to protect the community from radicalism and terrorism phenomena through security solutions and making legistlations but -in my opinion-the solution lies in building the human being in a good way and raising him in a rightous community .: In a proper way through his mingling with the community. The educational system in all its forms-formal and informal-can help alot in achieving the aim especially after this revolution as a result of the vsriety of communications and the easiness of using them and the variety of information that presents .

the aim of this study is 1- determining the right educational basis to prevent intellectual and social diseases. 2-an attempt to draw an educational strategy in confronting radicalism and intellectual sabotage.: And many researchers confirm that good upbringing has an important role which exceeds making laws and security that is because upbringing is the reason of making the personality and behaviour to be good citizens and changes their attitudes and behaviour to follow the law and accept its instructions. The actual crisis of what we are suffering of and the growing risk of terrorism and radicalism is basically upbringing crisis which aims to train the individual psychologically and socailly to do his role

العنف الأسري ضد المرأة

أ.م.د. رباح مجيد الهيتي(*)

ملخص البحث

على الرغم من تحضر المجتمعات وزيادة التعليم لدى المرأة والرجل الا ان العنف الموجه ضد المرأة مازال مستمراً تدعمه ظروفاً وعوامل عديدة من اهمها العوامل الثقافية وزيادة وعي المرأة والظروف الاقتصادية كخروج المرأة للعمل والعوامل الاجتماعية المتمثلة في التنشئة الاسرية الخاطئة والفهم الخاطئ للنصوص الدينية وجهل المرأة وكذلك الرجل لحقوقهما وواجباتهما ورضوخ المرأة للامر الواقع مما جعلها غالباً ضحية ومستسلمة. ويمارس العنف ضد المرأة بجميع انواعه اللفظي والنفسي والجسدي.

المقدمة:

لا يخفى على أحد أن مشكلة العنف الأسري ضد المرأة مشكلة قديمة، وهي مرتبطة بالوجود الإنساني وبشكل ونوع علاقته وتفاعلاته الاجتماعية وتأثير بيئته الثقافية؛ لذلك لا يمكن القضاء عليها بل يكمن الحد منها وتغيير أسبابها وأنواعها ربما على وفق المكان والزمان والثقافة التي تحتويها، وسنركز في بحثنا هذا على العنف ضد الزوجة؛ لأنه الأكثر انتشارا.

فبعد التغيرات الاجتماعية والثقافية، لا يزال العنف الأسري ضد المرأة يمثل مشكلة تثير الدهشة، وتتطلب الوقوف الجدي لدراستها وفهمها، فهذه التغيرات غيرت من أسلوب حياة الرجل والمرأة، هذا الأسلوب على الرغم من كونه أكثر حضرية وتمدنا، إلا أنه أنتج عنفا وربما تكون أسبابه عوامل متعددة منها الثقافية التي تضرب عروقها ورواسبها في جذور المجتمع، وبالتالي في جذور وأعماق شخصياتنا، ومنها الحديثة النابعة من تطورات المجتمع ووسائله في طرق العيش كتعليم المرأة وخروجها للعمل ومساهمتها في الإنفاق على الأسرة، مما انعكس على وعيها الاجتماعي والثقافي فجعلها متمردة ساعية إلى تغيير مكانتها ودورها في الأسرة

(*) كلية الآداب / جامعة الأنبار.

والمجتمع، وكسر الصورة النمطية التقليدية عنها بأنها هامشية خاضعة وتؤكد تطلعها إلى كونها إنسانة فاعلة ومنتجة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات التي لا تنال من كرامتها وحتى هيبتها الاجتماعية، وبقي العنف المسلط ضدها سواء أكان بسيطا خفيفا لا تتعدى أنواعه اللفظ والغضب إلى العنف الشديد الذي يصل إلى الضرب المبرح والجرح والإعاقة.

وقد أسهمت عوامل متعددة في استمرارية وتشكيل أنواع جديدة من العنف الأسري ضد المرأة، منها: الثقافة الاجتماعية والتنشئة الأسرية الخاطئة التي تحوي في طياتها فهما خاطئا للموروث الثقافي، كالتفسير الخاطئ للنصوص الدينية أو التبريرات الاجتماعية الخاطئة، وكذلك جهل المرأة وكذلك الرجل لحقوقهما وواجباتهما ورضوخ المرأة للأمر الواقع ضعفا منها بسبب حنانها وقلقها على حياتها ومستقبل أسرتها، ولاسيما إذا كانت أمّا، ومن ثم بعد ذلك ضغط الحياة اليومية المعاصرة وتدفق وسائل الاتصال والتكنولوجيا الذي زاد من العنف.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول تزايد وتيرة العنف الأسري الموجه ضد المرأة، على الرغم من تطور المجتمع وحصول المرأة والرجل على مزيد من العلم والثقافة التي من المفترض أن تهذب شخصية كل منهما، إلا أن العنف بقي مستمرا وربما تغيرت بعض أسبابه وأنواعه مع زيادة في صخب الحياة وضغوطاتها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، مما جعل المرأة/ الزوجة ضحية في أغلب الحالات، كما أسهم المجتمع بثقافته وأسلوب ضبطه الاجتماعي ولاسيما القسري في استمرارية حلقة العنف.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على الثقافة الاجتماعية والضبط الاجتماعي بكونهما دعائم أساسية في استمرارية العنف، وكذلك تنطوي أهمية البحث في جلب الانتباه إلى وضع المرأة القانوني واستمرارية جهلها بحقوقها القانونية وإخضاعها لإرادة الرجل وتماديه، متسترا بمفاهيم وموروثات ثقافية/ دينية أساء فهمها، ولا تزال حتى الآن غطاء لتماديه وإباحته في توجيه العنف ضد المرأة/ الزوجة بذرائع أبرزها الحق في التأديب.

أهداف البحث:

١. معرفة أهم الأسباب التي تجعل العنف ضد المرأة مستمرا على الرغم من التطور الثقافي والحضاري.

٢. ابراز العوامل النفسية والاجتماعية التي تجعل المرأة مستمرة في قبولها للعنف واستسلامها له على الرغم من مستوى تعليمها واستقلالها الاقتصادي ومشاركتها في الحياة الاجتماعية وتمردها على النمط التقليدي للمرأة.

٣. تحديد أبرز أنواع العنف الأسري الموجه ضد المرأة.

أولا: مدخل نظري

- المفهوم:

<u>العنف في اللغة</u>: يعني (بالضم ضد الرفق والتعنيف، التّعيير واللوم)[1].

وقد ورد في المعجم النقدي في علم الاجتماع أنه (يظهر من جهة عندما يوجد فقدان للرقابة

أو فقـدان للوعي لدى الأفـراد أو في الجماعات ذات التنشـئة الاجتماعية غير الناجحة، ويمكننا من هذه الناحية أن نصف العنف بأنه سـلوك «لا عقلاني»)[٢].

ومن جهة أخرى فالعنف (هو وسيلة السلطة التـي يمكنها أن تضع الأكثـر ضعفا من الناس تحت رحمة أولئك الذين يهددونهم)[٣].

أما **العنف الأسـري** فيعرف بأنه: (نمط من أنماط السلوك العدواني والذي يظهر فيه القوي سلطته وقوته على الضعيف لتسخيره في تحقيق أهدافـه وأغراضه الخاصة مسـتخدما بذلك كل وسـائل العنف سـواء كان جسـديا أو لفظيا أو معنويـا، وليس بالضـرورة أن يكون الممارس للعنف ضد المرأة هو أحد الأبوين وإنما الأقوى في الأسرة)[٤].

ويعرف العنف الأسري أيضا بأنه المعاملة القاسية التي تشمل الأذى الجسدي الممارس من قبل أحد أعضاء الأسـرة ضد أفراد آخرين من نفس الأسرة ومنها العنف الذي يمارس من قبل الأزواج على الزوجات[٥].

وقـد ورد تعريـف العنـف الأسـري فـي قاموس مصطلحات المركـز العربي للمصادر والمعلومات فيما يخص العنف ضد المرأة بأنه: (كل عنـف يقع في إطار العائلـة ومن قبل أحد أفراد العائلة بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمجني عليها)[٦].

وعرفـه «*Garver*» بأنـه: (اعتـداء على شـخص الإنسـان إما في جسـمه أو نفسيته أو سـلب حريته، وذلك في إطار مؤسسة الأسرة، ويتضمن مفهـوم العنف مصادرة أو إلغاء قدرة الشـخص وحقه فـي اتخاذ القـرار الذي يخص جسمه وحياته وسلوكه)[٧].

أما تعريفنا الإجرائي للعنف الأسري والذي نميل إليه فهو:

كل فعل أو ممارسـات سـلوكية تحمل الأذى والقهر ضد المرأة سـواء أكان بصورة إيذاء جسـدي أو مـادي أم بصورة إيـذاء معنوي نفسـي صادر من قبل أي شـخص في الأسرة ضد المرأة، سـواء أكان كبيرا أم صغيرا، أبا كان أم زوجا أم أخا أم ابنا.

- عوامل «أسباب» العنف الأسري:

نحن ندرك بأن الظواهر والمشاكل الاجتماعية كالهرم لا يمكن أن نراه من جانب واحد أو زاوية واحدة، فقد يكون لكل جانب وزاوية صفة مختلفة عـن الجانـب والزاوية الأخرى، لذلـك يجب أن نـرى الهرم من جميع الجوانب لكي نسـتطيع أن نصف ومن ثم نفسر الشكل الحقيقي للهرم، وكذلك الظاهرة والمشكلة الاجتماعية.

لذلـك نميل إلى تعدد العوامل وتكاملها حتى تكون بمثابة السبب المكون للظاهرة والمشكلة؛ لأن علم الاجتماع وكما هو معروف يختلف عن العلـوم الطبيعية، فلا يمكن أن نعزو إلى سـبب معين بالذات بروز ظاهرة أو مشكلة معينة، كما هـو معروف في العلوم الطبيعية. ومن العوامل المتوقعة والمعروفة، هي[٨]:

١. عوامل اجتماعية:

وهي كثيرة ومتنوعة، وأبرزها ما يأتي:

- تدخل الأهل في شـؤون الزوجين أو الأسرة، ولاسيما في الأسرة الممتدة.
- الخلافـات الزوجية والصـراع بين الزوجين الناشـئ عـن الفـارق العمـري بينهمـا أو

التفاوت في الثقافة والتعليم.

- التهديد بتعدد الزوجات أو الطلاق.

- الـزواج المرتب أو اختيار شـريك الحياة من قبل الأهل.

- الازدحام في السكن.

- أسلوب التربية التسلطية للذكور.

- خـروج المـرأة للعمـل ومـا نشـب عنه من تضارب لأدوارها كزوجـة وموظفة وربة بيت.

- الزواج دون موافقة الأهل.

- أسلوب بعض النساء المتمثل في عدم الطاعة والعنـاد واللامبـالاة وسـوء فهـم الزوجة لمتطلبات الزوج.

- التقليد ورفاق السوء.

- التعاطي والإدمان على الكحول والمخدرات.

- الخيانة الزوجية والشك.

- العادات والتقاليد التي تبرر ضرب المرأة.

٢. عوامل اقتصادية: وأبرزها الآتي:

- انخفـاض المسـتوى المعاشـي للـزوج والأسـرة، وأهـم مظاهـره عـدم توفـر البيت والأثاث اللائق.

- بطالة الرجل.

- الاستحواذ على ممتلكات الزوجة.

- عـدم القدرة على الإنفاق وعدم تلبية الحاجات الأسرية.

- مطالـب الزوجـة الزائدة ولاسـيما في الحياة المعاصـرة وفـي ظـل تدفـق التكنولوجيا ووسائل الاتصال.

- الحرب والانفلات الأمني.

٣. عوامل ثقافية – تعليمية:

- تفشـي الأمية وتدني المسـتوى التعليمي لأحد الزوجين أو كليهما.

- ضعف الوعي الديني والثقافي والفهم والتفسير الخاطئ للنصوص الدينية.

- الغياب والجهل بثقافة الحوار والتشاور داخل الأسرة.

- زيادة الاختلاط بالأجانب.

- اللجوء إلى الدجل والشعوذة والسحر في حالة الخلافات أو المشاكل الزوجية.

- وسائل الإعلام.

- قدسية الأسرة والخوف من الفضيحة في حال العنف الأسـري والاعتداء واعتباره شـأنا خاصا.

٤. عوامل قانونية:

- الجهـل بأسـس الحيـاة الزوجيـة والحقـوق والواجبات المترتبة على الزوجين ولاسيما من قبل النساء.

- العـزوف والخـوف من التعامـل مع الجهات الرسـمية والأمنيـة فـي حـال الاعتداءات الأسرية المتضمنة للعنف.

٥. عوامل نفسية – عصبية:

- الغيرة والشـك المفـرط من قبل أحد الزوجين أو كليهما.

- الغضب المستمر.
- الحقد وحب الانتقام.
- التوتر.
- عدم تحمل مصائب الحياة والإحباط والضغط النفسي.
- فقدان السيطرة على الذات.
- جهل الرجل بشؤون وطبيعة المرأة البيولوجية وعدم تقديره لها مثل الضغط المتولد على المرأة أثناء الدورة الشهرية.
- عدم الارتياح.

أنواع العنف الأسري:

مثلما تعددت عوامل «أسباب» العنف الأسري، نجد أن هذا التعدد واقع في أنواع هذا العنف، ويجب أن نقتنع بأن هذه الأسباب والأنواع نسبية قد تتغير على وفق «المكان والزمان»، وبحسب ثقافة كل مجتمع؛ لأن دائرة الأخلاق واسعة، ولأن ما قد يكون عنفا في مجتمع قد لا يكون كذلك في مجتمع وثقافة أخرى، وما قد يكون عنفا في زمن معين قد لا يكون كذلك في زمن آخر.

وأهم أنواع العنف الأسري هي:

١. العنف الاجتماعي: ويتمثل في الآتي:

- عزل المرأة عن محيطها العائلي والاجتماعي كزيارة الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء وعدم المشاركة في الأعياد والمناسبات.
- حرمان المرأة من رعاية أبنائها أو رؤيتهم وشتمها وتوبيخها والتقليل من شأنها أمام أبنائها ومحيطها العائلي والاجتماعي.
- إلزام الزوجة بمتطلبات الزوج وأهله في كل صغيرة وكبيرة.

٢. العنف الاقتصادي:

- التدخل والتصرف في أموال المرأة والزوجة المنقولة وغير المنقولة كحالات اغتصاب الإرث أو أخذه حياء منها أو التحايل عليها أو إكراهها على التنازل عنه.
- الاستيلاء على دخل الزوجة والتصرف فيه دون موافقتها، كالاستيلاء على الراتب أو إجبار الزوجة على أخذ المال من أهلها وإعطاءه لزوجها ولاسيما إذا كانت ثرية.

٣. العنف الصحي:

- الضغط على الزوجة بزيادة الولادات وإرهاقها بالحمل المتقارب وجهل الرجل بطبيعة جسم المرأة وإهمالها وعدم عرضها على الطبيب عند المرض مع سوء التغذية.

٤. العنف الجسدي:

- وهو العنف الظاهر للعيان والذي يتخيل أغلب الناس أنه الأكثر شيوعا بسبب خواصه وعلاماته الظاهرة مثل الضرب سواء أكان باليد أم الرفس بالرجل أو بآلة أو بأي شيء آخر، شد الشعر «التهليس» والخنق واللوي والعض والقرص.

٥. العنف اللفظي:

- والذي غالبا ما يهدف إلى التجريح والحط من كرامة المرأة والزوجة ووصفها بصفات مزرية وجعلها تشعر بالدونية، وغالبا ما يسبب إيذاءا معنويا مثل: الإهانة «إهانة الكرامة»، السباب والشتائم، السخرية، التهديد،

الاستهزاء، التقليل من شأن المرأة والزوجة في كل تصرفاتها وأعمالها.

٦. العنف النفسي:

- وغالبا ما يحدث نتيجة للضغوط التي يمارسها الرجل ضد المرأة أو الزوجة، مثل: الإهمال من قبل الرجل للمرأة أو الزوج لزوجته.

- الحرمان من ممارسة الحرية المتعارف عليها.

- الضغوطات المختلفة كالتهديد والعزل أو الإيحاء بذلك.

٧. العنف الجنسي:

- الذي يتصف بالسرية التامة حفاظا على كرامة وسمعة الأسرة، مثل: الاغتصاب والاعتداء الجنسي وإجبار الزوجة على ممارسة الجنس بالضغط أو إجبارها على ممارسة الجنس بالأساليب غير المقبولة أخلاقيا ودينيا[٩].

وقد توصلت جهود الباحثين في الدراسات التي تخص العنف الأسري توصلت إلى تحديد بعض الأنماط التي وجدوها ملازمة لصفات الزوج العنيف، ومنها ما توصل إليه ألبو «*Elbow*»، وهي أربعة أنماط تصف الزوج العنيف، وهي:

النمط الأول: الزوج المسيطر والمهيمن الذي يعامل زوجته بأسلوب «التشيؤ»، أي كأنها شيء من أشياء الأسرة التي يمتلكها كالمنضدة أو أي آلة أو شيء مادي، مسلطا سلوكه العنيف على الزوجة بدافع امتلاكه لها.

النمط الثاني: الرجل أو الزوج المضطرب انفعاليا الذي يغلب عليه الهيجان العاطفي والعصبي مما يجعله يعيش مشاعر وسلوكيات متناقضة متطرفة مع زوجته، مما يجعله غير مستقر عاطفيا، فنجده يميل إلى الإخلاص لزوجته ويسعى لرضاها حينا ويغضب ويثور لأتفه الأسباب حينا آخر، مما يصعب السيطرة على مشاعره وسلوكه مما ينتج عنه عنف ضد الزوجة.

النمط الثالث: وهو الذي يتصف بحسن الخلق الظاهري، أي المهذب المزيف الذي غالبا ما يسعى فيه الزوج إلى تحسين صورته أمام الآخرين وبشكل مؤقت إذ سرعان ما يتهيج ويغضب ويثور بشكل عدواني ضد زوجته.

النمط الرابع: ويدعى بالمتوحد بالشريك، وهو الزوج الذي يرى في شريكته أو زوجته جزءا لا ينفصل عن ذاته ولا يسمح بأي استقلال لزوجته سواء أكان عاطفيا أم اجتماعيا أم اقتصاديا؛ لأن ذلك يشعره بالنقص والتهديد وعدم الاستقرار مما ينتج عنه عنف مضاد للزوجة.

وقد توصلت هذه الدراسات المعنية بالعنف الأسري ولاسيما ضد الزوجة إلى أن هذا النوع من العنف يمر بمراحل وبحسب رأي إليانور والكر «*E. Walker*» هي:

المرحلة الأولى: وتتصف بالتطور التدريجي للتوتر في العلاقة ما بين الزوجين، لأسباب مختلفة، وقد تكون تافهة وبسيطة، وغالبا ما يكون هذا النوع من العنف رمزيا وخفيفا نسبيا.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي يزداد ويرتفع فيها التوتر والضغط إلى درجة الانفلات

وعدم الانضباط النفسي عند أحد الطرفين أو كلاهما، وهنا يشتد العنف ويظهر على شكل عنف جسدي أو لفظي جارح، وقد يؤدي هذا النوع من العنف إلى دورة خفض التوتر.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي تتصف فيها الزوجة بالانسحاب ويعتري الزوج ما يعرف بعقدة تأنيب الضمير، فتبدأ محاولات الرجل باستحسان معاملة زوجته ومحاولة إرضائها بعدة طرق وغالبا ما ينجح الزوج في هذه السياسة فترجع العلاقة بين الزوجين بشكل طبيعي ومقبول أسماه «والكر» بـ(شهر العسل الدوري) ثم بعد مضي وقت قد يقصر أو يطول فيعود التوتر وتعود حلقة العنف من جديد[١٠].

ثانيا: التفسير العلمي للعنف الأسري ضد المرأة

من الصعب أن نحدد تفسيرا مطلقا لظاهرة أو مشكلة اجتماعية ولاسيما في علم الاجتماع؛ لذلك نجد تعدد التفسيرات العلمية لهذه المواضيع، وربما يكون أحد التفسيرات أقوى من غيره في تفسير ظاهرة أو مشكلة معينة، وربما تتكامل عدة تفسيرات لتوضيح وتفسير ظاهرة أو مشكلة معينة، وهذا ما سنجده في تفسير العنف الأسري ضد المرأة، إذ تعددت هذه التفسيرات، ومن أهمها:

١. النظرية التقليدية:

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن العنف هو ممارسة الإنسان للقوى الطبيعية، ومنها القوى الجسدية من أجل التغلب ومقاومة الغير وصراعه، وهذه القوى قد تمارس على الجسد الخارجي حين يرغب في استخدام قوته العضلية لإرغام الغير خدمةً لإرادته عن طريق العنف البدني الذي يستخدم الإكراه المادي والعنف النفسي الذي يستخدم الإكراه المعنوي، مثل التهديد[١١].

وهذا ما أوضحه وأكد عليه عالم الاجتماع الأمريكي ستيفن جولدبيرك «*Steven Goldberg*» الذي يؤكد أن العنصر الهرموني هو السبب في سيطرة الرجل، فالهرمونات الذكورية «*Arterone Test*» هي المسؤولة في رأيه عن القوة ونزعة العنف لدى الرجل، وهذه النزعة تساعد الرجال على التفوق في أي ميدان يسلكوه، وهذا الجانب البيولوجي الفيزيائي لبنية الذكر القوية يغري الرجل ويدفعه للهيمنة بالقوة[١٢].

وهنا تكون القوى الجسمانية والعضلية للرجل أقوى من مثيلتها عند المرأة، مما ينتج عنها الاعتداء والسيطرة على حرية المرأة بشكل إكراه بدني مادي أو معنوي نفسي مثل الضرب والاغتصاب والتهديد، وهذه الممارسات تكره عليها المرأة ضعفا منها في الناحية الجسمانية والبيولوجية، فيقضي على مقاومتها على الرغم من إرادتها، وهذا العنف يسلط على جسم المرأة بشكل قوة جسدية ضاغطة ترغمها بالقوة.

٢. نظرية الصراع:

يرى أصحاب هذه النظرية أن العنف وسيلة للصراع بين الجنسين «النوعين» الرجال والنساء، وقد يستخدم الرجال العنف كوسيلة أساسية لتحقيق غاياتهم وفرض سيطرتهم على النساء ولاسيما داخل البيت، ويستخدمون أيضا العنف كوسيلة لتأكيد قدراتهم ولاسيما البدنية للضغط على المرأة[١٣]، الفاقدة لمعظم

القدرات التي يتميز بها الرجل كالقوة والنفوذ من أجل إجبار المرأة على الخضوع والتنازل عن حقوقها وبذلك استخدم الرجل أساليب متعددة ومتنوعة من العنف الغرض منها السيطرة على المرأة والانتقاص من مكانتها وإبعادها عن حيز المنافسة، فالصراع هو بين طرفين قوي وضعيف، فالقوي يمثل الرجل والضعيف المرأة، وغالبا ما ينتصر الرجل على المرأة، وذلك لامتلاكه القوة والنفوذ داخل المجتمع سواء أكانت القوة العضلية أم القوة والنفوذ الاجتماعي الذي دائما ما ينحاز إلى الرجل.

٣. سلوك الضحية:

يرى البعض أن العنف ضد المرأة ناجم عن بعض السلوكيات غير المقبولة من قبل المرأة، إذ يعتقد أصحاب هذا المذهب أن العنف ناتج عندما تقلل الزوجة من سيطرة زوجها الذاتية من خلال استفزازه وإثارته حتى يفقد السيطرة على نفسه، وقد يرى البعض أن النساء لديهن حاجة نفسية إلى الاهتمام والإثارة، ويعتقد البعض أن قسما من النساء يصبحن مدمنات على الإثارة والاستفزاز المتحقق بواسطة العنف نتيجة ردود الفعل.

ويرى دوباش «*Dobash*» أن من بين سلوكيات المرأة المثيرة للاستفزاز والإثارة هي الاعتداء اللفظي والمناكدة والإزعاج المستمر، كأن تتصف الزوجة بكونها ثرثارة للغاية أو هادئة للغاية أو جنسية للغاية أو غير جنسية أو هشة أو متصلبة، أو حاملا باستمرار أو لا تحمل كفاية أو أي نوع من أنواع الفشل أو الرفض وعدم الاستجابة من جانب المرأة للانصياع لرغبات زوجها وسلطته وموافقته[١٤].

وقد رأى بعض مناصري هذه النظرية أن الكثير من النساء ولاسيما الزوجات اللاتي لديهن رغبة وحاجة ذاتية مرضية *Pathological need* داخلية تدفعهن لاستثارة العنف ضدهن، وذلك عندما يقوم الرجل بالسيطرة عليها وضربها والاعتداء عليها، وأن هذه رغبة نفسية تسعى المرأة بعدة وسائل إلى إشباعها[١٥].

وهذا ما أكده أيضا ميندلسون «*Mendelsohn*» عندما رأى أن الضحية لديها رغبة وإحساس لا شعوري في أن تكون ضحية، وقد حدد فون هينتنج «*Von-Henting*» سمات شخصيات الضحايا، وهي: الاكتئات – اللامبالاة – الافتقاد إلى البصيرة – وتكون من النوع الجشع الذي تكون دوافعه قوية من أجل الحصول على مكاسب سهلة أي أنه يتميز بطبيعة فطرية للاستعداد لأن يكون متهما أو مشبوها، وقد توصل هينتنج إلى نوع آخر من الضحايا أسماه بالمدلل «النوع المدلل» أو يتصف بأن يكون «لعوب» وهو ذلك النوع الرخو الذي لا يصبر على ضغوط الحياة وصعوباتها واحتياجاتها، وكذلك توصل إلى نوع آخر وأسماه بـ(الضحية المعذبة)، وغالبا من يمثل هذا النوع من الضحايا هم النساء اللواتي يتعرضن للتعذيب من قبل الآخر ولاسيما الرجال، وقد حدد بعض الباحثين ثلاث احتمالات وعوامل ينزلق فيها الأفراد لأن يكونوا ضحايا، وهذه الاحتمالات والعوامل هي:

١. أسلوب الحياة الذي يتبعه الفرد.

٢. المخالطة مع الأشخاص.

٣. الأشخاص الذين يكون الفرد معرضا ومختلطا بهم[١٦].

وعند مناقشتنا للنظريات التي وردت نجد أن لكل نظرية نصيب من الصحة وقد تتظافر جميع الآراء والظروف في شخصية الأفراد لأن يكونوا ضحايا أو قد يظهر بقوة أحد هذه الآراء إلى جانب الظروف الأخرى، مما ينتج عنه سلوك المرأة لأن تكون ضحية، فقد أشار أصحاب النظرية التقليدية إلى القوة الطبيعية والمقصود منها غالبا هي القوة الجسدية التي يمتلكها الرجل مقارنة بالمرأة، فيستخدمها الرجل من أجل تحقيق غاياته حتى ولو كانت بشكل عنيف ومؤذٍ أو كان هذا الاستخدام معنويا كالتهديد لأن المقابل سيشعر بأن هناك قوة سوف تقهره لذلك قد يخضع خوفا وترويعا، وفي هذا المجال نعتقد أن الرجل لا يفكر كثيرا في هذه القوة أو استعراضها لأنها نفسيا ولاشعوريا هي كامنة فيه، فهي تحصيل حاصل لكن المرأة بالمقابل قد تفكر كثيرا في إمكانية استخدام هذه القوة ضدها لأنها تشعر دائما بالضعف الجسماني والبدني مما قد يصيبها بالقلق والتوتر إزاء ما سينتج عن استعمال هذه القوة ضدها، لأن آثارها قد تكون دائمية، ولاسيما إذا كان الضرب مبرحا، وقد تؤدي ربما إلى الإعاقة أو الموت.

أما أصحاب النظرية الثانية التي تؤمن بالصراع الاجتماعي، فالصراع حقيقة واقعة في الحياة الاجتماعية، والهدف من الصراع دائما هو الهيمنة والاستغلال. وكما يقول «كوزر» هو الكفاح من أجل القيم وأحقية المصادر والقوة والمكانة وينتج عنه تقليص دور وإمكانية الخصم وتقليل منافسته أو الإضرار به أو حتى التخلص منه، أي تحقيق المزيد من المصالح على حساب الآخرين[١٧].

وقد يكون الخلاف والصراع هنا أساسه المشاحنات والخلافات الشخصية داخل الأسرة الذي يعتمد على القوة ويعطي الانتصار في الصراع السيطرة والهيبة الاجتماعية، وربما نقترب في هذا المجال إلى التصور الماركسي إذا افترضنا أن الرجال هم المستغلون القاهرون، وغالبا هم مالكو المال، وهم أصحاب القوة والنفوذ، والنساء هن المستغَلات والمقهورات وفاقدات المال، وبالتالي فاقدات القوة والنفوذ، لذلك نجد الرجال دائما يحتلون المكانة والاحترام والتقدير، عن طريق تقليل فرص خصومهم نتيجة للصراع الذي يتفوقون به، والنساء هن المكسورات معنويا ونفسيا وأقل مكانة واعتبارا في المجتمع لفقدانهم القوة والسيطرة نتيجة لقوة خصومهم الرجال الذين لا يتوانون عن هذه السيطرة، سواء من الناحية المادية أو حتى لاستخدامهم القوة البدنية العضلية.

أما الرأي الآخر، وهي النظرية التي تؤمن بسلوك الضحية كسبب في العنف الموجه ضدها، والتي تكون هنا المرأة فقد تكون التنشئة الاجتماعية والأسرية خاصة مع تزايد ضغط الحياة المعاصرة تجد تبريرا لهذه النظرية وقد تعزز آراءها فقد تتصف المرأة بعدم الطاعة لزوجها، والعناد هو الصفة المميزة لسلوكها، وبالوقت نفسه استهلاكية ومطلبية مقابل زوج متوسط الحال من الناحية المعاشية أو فقير، هذه المعادلة إذا لم تفهم من قبل الزوجة واستمرت في عنادها ومطالبها قد يرغم الزوج على توجيه العنف ضدها لعدم قدرته على إقناعها وتوفير متطلباتها المستمرة.

تستمر هذه الزوجة على هذا النمط من

السلوك، فتصبح ضحية أو تكون جالبة للعنف على نفسها، وفي هذه الظروف غالبا الشخص المسيطر المُعَنَّف يستمر على هذا السلوك ويحافظ عليه تلازما مع النتائج التي يحصل عليها، وهي أن الضحية المرأة عادة ما تخضع لرغباته وإرادته فمن المرجح أن يكرر الرجل ذلك السلوك مع وجود العاملين الآخرين اللذين يعززان هذا العامل في سلوك الضحية، وهما القوة الجسمية والبدنية للرجل، مع وجود الخلافات والمشاحنات والمشاجرات العائلية، فتكون النتيجة عنف ضد المرأة بحسب المعادلة الآتية:

قوة بدنية وجسمانية + خلافات ومشاجرات عائلية + اللامبالاة في سلوك المرأة = عنف الرجل ضد المرأة

ثالثا: البنية الاجتماعية والثقافية

البنية الاجتماعية الثقافية هي الساحة العريضة التي قسمت الأدوار والمكانات وأعطتها التبرير والقدسية والتي باتت أغلب سلوكياتنا أسيرة لهذه الساحة، ولاسيما ما رسم من أدوار ومكانات اجتماعية للجنسين «النوع» الذكر والأنثى، لذلك لابد من فهم هذه البنية.

فعند تحليلنا للعلاقة ما بين الذكر والأنثى/ الرجال والنساء، يستحوذ على أفكارنا مبدأ السلطة الذكورية الذي نتج عنه عنف ضد النساء في ظل سلطة أبوية، إذ أن هذه السلطة هي نتيجة لنسق علاقات يتم فيها توزيع أدوار ومكانات متوارثة يقتدي فيها الرجال والنساء، وفي هذا النسق يخضع الطرفان فيه لإملاءات اجتماعية وثقافية يلعب كل من الرجال والنساء فيها أدوارا تعزز النسق وتقويه، وتعيد إنتاجه من قبل الطرفين، هذا النسق من العلاقات والأدوار الاجتماعية صنع فيها معادلة اجتماعية، طرفها الأول الذكر/ الرجل المهيمن، وطرفها الثاني الأنثى/ المرأة الخاضعة.

وعلى وفق هذه المعادلة يحصل عدم التوازن، فينشأ الخلاف والشجار ومن ثم العنف، إما بشكل دائم ومستمر ومبرر له، على وفق توزيع الأدوار والمكانات وبذلك يكون معترفا به، أو باعتباره إجراءا عقابيا تأديبيا، إذا خرج أحد أطراف المعادلة عن قواعد النسق[١٨].

لذلك أصبح الطرفان الرجل والمرأة أسرى لهذا التوزيع الذي صنعته الأعراف والتقاليد الاجتماعية، والذي بات متوافقا مع شخصية كل من الرجل والمرأة بفعل الرواسب الاجتماعية والكوابت النفسية، على الرغم من التطور المستمر في البنية الاجتماعية الثقافية، ولاسيما بفعل التعليم والتكنولوجيا المتنوعة الذي خلق روح التحدي لدى الرجل والمرأة للإفلات من هذا النسق وتغيير الأدوار المرسومة لهم، ولاسيما عند المرأة التي ظلت أسيرة الخنوع المتوارث لكن القيود النفسية والاجتماعية الثقافية لا تزال تقيد تطلعاتهما وأدوارهما، فالرجل يتكلم ويتحمس نظريا عن المساواة وعن تحرير المرأة، ولكنه أسير امتيازات أدواره ومكانته الاجتماعية المتوارثة، فلا يستطيع أن يتخلى عنها بسهولة، وكذلك المرأة تواقة إلى التغير والانفكاك عن سيطرة وهيمنة الرجل في ظل أدوار اجتماعية تراها غير عادلة، إلا أنها أسيرة قيود من داخل شخصيتها مستمدة من النسق الاجتماعي الذي رسم

حدودهـا وأدوارها، وبذلك يعاني كل منهما من صراعات وتناقضات اجتماعية/ نفسية تتصف بالتضاد ما بين الباطن والظاهر[١٩].

هذه الثقافة المتوارثة «نسق علاقات/ أدوار ومكانـات» تصطـدم مـع التطلعات المكتسـبة بفعل «تعليـم – تكنولوجيا»، مما خلق تصادما وصراعـا فـي علاقـات الرجل بالمـرأة، أدى إلى إضفـاء العنف من الأقـوى «الرجل» إلى الأضعـف «المرأة»، وتعمل الثقافة الاجتماعية المتوارثة والمكتسـبة على إنتـاج وإعادة إنتاج هذا السـلوك العنيف، مما يبقيـه في حلقة تعمل على تدوير العنف، فلو أخذنا على سـبيل المثال لا الحصر المؤشرات التالية، التي تجمع ما بين رواسب الماضي وتطلعات الحاضر، وتطبيقها على العلاقات والأدوار لكل من الرجل والمرأة:

١. التنشئة الاجتماعية:

اعتـادت التنشـئة الاجتماعية فـي مجتمعنا على التحيز والتعصب لصالح الذكور/ الرجال منذ الطفولة، وهذا ظاهر حتى في لعب الأطفال وطريقة دخولهم وخروجهم من البيت، مما أدى إلى عدم التوازن في المعايير التي توجه التربية بشـكل سليم، إذ نجد التسامح واضحا في الكثير من سـلوكيات الذكور، مقابل الصرامة الشديدة في الكثير من سـلوكيات الإناث، حتى وإن كان في نفس الفعل، فيصح للذكر أن يكون جسـورا خشنا في تعاملاته، ويصح له أن يصادق وربما أن يعاشـر الإناث، ولكن لا يصح ذلك بالنسـبة للإناث.

فالمجتمع في كثير مـن الأحيان يلقن ويعلم المرأة أن تكون مستسـلمة خاضعة راضية مما يجعلها ضحية لسـلوك العنـف من قبل الرجل، فإن أفضل ما تتعلمـه المرأة في نظرة المجتمع أن تكـون سـيدة بيت محترمة وممتـازة راعية لشـؤون أسـرتها من طبـخ وتنظيـف وراعية الأطفـال وتحافظ على علاقتهـا الزوجية مهما كلف الأمر، وهذا قد يرفع من قيمتها الشخصية عنـد الثقافـة التقليدية فـي أغلب الأسـر وبين الناس.

علـى العكس مـن الرجل الـذي يطلب منه المجتمع أن يكـون مقداما في الغالب يأخذ أكثر مـن حقـه حتى على حسـاب أقرب النـاس له/ كالأخـت أو الزوجة وغيرها، وهذا ما نجده في الاسـتحواذ على أملاك المرأة، مثال ذلك تقسيم الإرث «التركة» بين الأخوة والأخوات، فكثيرا ما يأخذ الرجل أكثر من المرأة ليس من الناحية الشرعية هنا، وإنما عن طريق القوة والتحايل، وأن مـا يشـجع ذلـك هـو الثقافـة المجتمعيـة التـي تبرر ذلـك أحيانا وتتسـامح فيه مما جعل أكثـر الناس -ولاسـيما النسـاء- مخدرين ثقافيا مستسـلمين للمورثات الثقافية التي أسـندت إلى العادات والتقاليد وليس إلى الشـرعية القانونية، وهـذا ما جعـل المرأة تسـتقبل الظلـم والعنف بأنواعـه وهي راضية، مما جعل المرأة نفسـها في كثيـر من الأحيان تؤيد وتبـرر العنف ضد النسـاء بحكم الثقافة والتنشـئة الاجتماعية، وقد نجـد حلقة العنـف واضحة في وسـائل الضبط الاجتماعي «*Social control*» التي تُعِدُّ فيها العائلة أبناءهـا اجتماعيا، فالضبط قد يكون في الإكـراه والإجبار، وغالبا مـا يوجد نوعان من الضبط الأسري، وهما:

أ. أسـاليب القمـع المعنوي/ النفسـي، مثل الازدراء والاحتقـار والامتهـان والسـخرية والحرمان.

ب. أساليب العقاب المادي/ البدني، مثل الضرب والسحل والعض.

ومن الممكن أن يكون هذا النوع من الضبط المنطوي على العقاب النفسي والبدني أن يكون عقدا نفسية والرغبة في العدوان والانتقام مستقبلا، وهذا يعني أن الضبط الأسري في هذه الطريقة عمل على إيجاد حلقة من إنتاج وإعادة إنتاج العنف[٢٠].

هذا بالنسبة لرواسب الماضي وطريقة التنشئة الاجتماعية والضبط الأسري. أما عن تطلعات الحاضر فقد نجدها في سياسة أو أسلوب ثقافة الحوار الأسري:

٢. ثقافة الحوار الأسري

ارتفاع معدلات التعليم وزيادته لدى النساء، فضلا عن أن خروج المرأة للعمل قد خلق حالة من التطلعات نحو علاقات أسرية مبنية على التوازن في العلاقات بمعايير تتطلبها الحضارة والثقافة الجديدة، هذه المعايير أهم أسسها ثقافة الحوار والاعتراف بحق الآخرين وتقدير جهودهم ولاسيما المرأة التي باتت تدرك ذاتها ووظائفها الجديدة، وفي تخيلات وأفكار تنسجم والحضارة المعاصرة، هذه الأفكار والتصورات باتت تنبذ سياسة ووسائل العنف بأنواعه، فأخذت المرأة ومعها الرجل يتوقون إلى علاقات مبنية على التفاهم، فزادت لدى الأسر ثقافة الحوار الأسري، إلا أن هذه الثقافة ما لبثت أن اصطدمت برواسب الماضي، ولاسيما عند الرجل الذي ظل أسير دوره التقليدي، الرجل القوي الذي «يأمر وينهى» في الوقت الذي ترفض المرأة فيه هذه الثقافة بأن تكون «الخاضعة المستسلمة»، لذلك اصطدمت هذه الثقافة بعوارض ثقافية انتهت إلى حد ما إلى العنف، سواء أكان اللفظي أم الجسدي إذا اقتضى الأمر.

فثقافة الحوار تحتاج إلى مهارات في النقاش والحديث، وفن في تبادل الأفكار والآراء الجماعية تهدف إلى الألفة والتواصل، ويمكن أن نعرف ثقافة الحوار الأسري بأنه أسلوب الحياة الجديد في الأسرة والذي يعتمد على الحوار ويستند على القيم الروحية والفكرية وقيمها السلوكية والذوقية والخلقية وعاداتها وما يترتب عليها من إصغاء وتقبل واحترام المتحاور الآخر.

هذا النوع من الثقافة الذي يعتمد على تقبل الآخر والاعتراف بحقه، وأن يكون هذا الحوار بشكل ممنهج وهادئ تسوده الكلمة الطيبة ويتجنب أسلوب التهكم والاستهزاء في حوار كل طرف مع الآخر[٢١]، صاحبته مشاكل عدة أفضت إلى العنف، مثال ذلك: عدم سيطرة الضبط في السلوك والمواقف من الناحية الثقافية لغالبية من الناس في مجتمعنا، وهذا ما فسره الدكتور علي الوردي ولاسيما في المدن التي تعيش الصراع الثقافي ما بين القيم البدوية والقيم الحضارية[٢٢].

فنجد الرجال تواقين للثقافة المعاصرة المبنية على الحوار ويشارك فيها ويمارسها بكل ديمقراطية وتحضر، لكن عندما تصطدم مع مصالحه الخاصة أو عندما يغضب ويثور نجده لا شعوريا يلجأ إلى دوره التقليدي «السيد الذي لا ترد كلمته»، فينجر إلى التعصب ليواصل حواره بطريقة التهكم والألفاظ الخاطئة التي تحتوي على الدونية والتحقير والتعجيز، ثم لا ينفك إلى أن ينتهي أحيانا إلى الضرب وربما الضرب المبرح.

وربما يعود بعد هيجانه وثورته إلى الرجل

المسالم ليواصل صراعه الثقافي عن طريق التأسف والاعتذار من زوجته على سبيل المثال، وهذا الأسلوب غالبا ما يؤدي إلى الإحباط، هذا الأسلوب الحضاري المبتدئ بثقافة الحوار الأسري ينتهي بثقافة «اسمع ونفذ – أو ناقش لمجرد النقاش»، ولاسيما إذا كان طرفا الحوار يتسمون بالعنجهية والعناد والتجاهل، وغالبا ما تكون المرأة هي الضحية في مثل هكذا حوار.

رابعا: العنف بين الإباحة والتجريم

ربما من المواقف والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع، والتي أسهمت في ظلم المرأة وتعرضها للعنف وإبقائها ضحية هو ما تعارف عليه أغلب الناس للمبدأ الاجتماعي الذي يؤكد على «الستر»، هذا المفهوم الاجتماعي دفع بالكثير من الرجال والأزواج خاصة في التمادي على المرأة والزوجة اقتناعا من الرجل بأن شدة سلوكه لا يتعدى حدود الأسرة ومهما كان نوع العنف فهو سينتهي بأسلوب (التراضي الاجتماعي)، ولاسيما إذا كان العنف داخل حدود الأسرة مما يبقي الرجل في مأمن دائم من العقاب، وحتى إذا وصلت القضية إلى أبعد من الأسرة، كالقضاء، فهي من الممكن أن تحل عن طريق التراضي، وهنا لا ينال المعتدي أو المعنف العقاب الكافي أو قد لا يعاقب نهائيا، وبذلك يبقى يتمادى والمرأة تتنازل إما:

١. لطف المرأة بالرجل، مما يحملها على التنازل عن حقوقها وسحب القضية وغلقها.

٢. خوفا من التهديد واستمرارية هذا العنف بسبب التبليغ عنه.

٣. التأمل بالرجوع إلى الحياة الزوجية لطفا ورحمة بالأبناء.

٤. جهل المرأة بحقوقها القانونية مما يجعلها خاضعة لهذا العنف باعتباره أمرا طبيعيا[٢٣].

٥. جهل الرجل نفسه بالقوانين التي تسمح له بضرب الزوجة، وجهله أيضا بواجباته اتجاه المرأة زوجته، مما جعله مخدرا ثقافيا مصدقا ومتماديا بالمبدأ القائل أو التبرير الذي يقول «حق الزوج تربية وتأديب زوجته»، مما جعله يتمادى بدون حدود حتى يكون الضرب مبرحا، قد يؤدي إلى علامات واضحة تسيء لشكل المرأة أو يؤدي الضرب إلى الإعاقة.

علما أن ضرب المرأة يجب أن يكون ضربا خفيفا بسيطا هدفه التأديب وليس الضرب القاسي الذي هدفه التعذيب، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الجانب أن الرجال غالبا ما يتصفون بتقديم مصالحهم الشخصية، والحصول على المكاسب على حساب المرأة لذلك نجد الرجل غالبا ما يتستر بالمفاهيم ونصوص دينية كان فهمه لها خاطئا وناقصا، عززته الثقافة المحلية، وبذلك جهل الرجل وحتى المرأة حقوقهما الحقيقية.

فالحق واستعماله في إباحة ضرب المرأة أو الزوجة أو توبيخها أو أي نوع من أنواع العنف يجب أن يكون على وفق ما ترتضيه الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه الذي يوصف بأنه أخلاقي، هدفه التقويم والتأديب، ومن المفترض أن يكون استعمال هذا الحق على وفق ثقافتنا الإسلامية التي أعطت لنا شروطا لاستخدام هذا الحق، ففي قوله تعالى في سورة النساء: {**اللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**}، هذا النص القرآني يؤكد

أن للـزوج الحق في ضـرب الزوجة لكن حدد له شروطا ومراحل ابتدأ فيها بالوعظ وبعدها بالهجر فـي المضاجع ثم الضرب، وهـو آخر المراحل، وحتى عندما تصل الحالة إلى مرحلة الضرب، فقد أوصى الرسول (ﷺ) أن لا يكون الضرب مبرحا وقاسـيا يترك العلامات والآثار والمرض وهدفه الانتقام والتعذيب، وإنمـا أراد به التأديب ويكون بشكل خفيف لقوله(ﷺ): (لا تهجروا النساء إلا في المضاجع، واضربوهـن ضربا غير مبرح)[٢٤]، وقوله(ﷺ): (أطعموهن مما تأكلون، واكسـوهن مما تكسـون، ولا تضربوهن ولا تقبحوهن)[٢٥]، وهذا الحديث يدل على حسن معاشرة المرأة وبيان حقوقها فـي المعاملة الإنسـانية، التي تتجلى فيه الوصايا ضد العنف بأغلب أنواعه، هذا من الناحية الاجتماعية والثقافية.

أمـا الإباحة والتجريم من الناحية القانونية: فقـد حـدده القانون، فالحق هـو المصلحة التي يعتـرف بهـا القانـون، وتكون ضمـن حمايته ويجب أن يكون أسـلوب اسـتخدامه مشروعا ومباحـا، وإلا فـلا تكون له قيمـة، ومتى وجد الحق وجدت معه الإباحة[٢٦].

وقد حددت المادة (٤١) من قانون العقوبات العراقـي أنه لا جريمة إذا وقع الفعل اسـتعمالا لحق مقرر بمقتضى القانون، ويعتبر اسـتعمالا لحـق تأديب الـزوج لزوجته في حـدود ما هو مقرر شرعا وقانونا وعرفا، وأن يكون الضرب خفيفا أو بسيطا، ولا يكون ضربا مبرحا فاحشا، ولا يجوز له ذلك حتى ولو بحق وهو ما سـمي بـ«الولاية التأديبية» للزوج على زوجته[٢٧].

أما إذا ضرب الزوج زوجته بغير حق ومن دون معصيـة ارتكبتهـا حتـى وإن كان ضربا بسـيطا لا يحـدث أثرا فـإن فعله هـذا لا يعتبر مباحـا وكذلك نفس الأمر فيما لو ضربها ضربا شـديدا مبرحا ولو لمعصية، فـإن فعله لا يعتبر مباحـا وفـي الحالتين يكون الفعـل تحت طائلة التجريم[٢٨].

وهذا يعني أن الضرب يجب أن يكون هدفه التأديب وأن لا يكون مؤذيا، وإذا خرج الضرب عن هـذه الغاية يتحول إلى جريمة يسـأل عنها الرجل مسؤولية جنائية[٢٩].

المصادر:

القرآن الكريم، سورة النساء الآية ٣٤.

(١) محمـد بن أبـي بكر بن عبد القـادر الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣، ص٤٥٨.

(٢) ريمون بودون وفرانسـوا بوريكـو، المعجم النقدي في علم الاجتماع-الجزء الثاني، ترجمة وجيه أسعد، منشـورات الهيئة العامة السـورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٧، ص١٥٤-١٥٥.

(٣) ريمون بودون وفرانسـوا بوريكو، المصدر نفسـه، ص١٥٥.

(٤) عبـد الله بن أحمـد العلاف، العنف الأسـري وآثاره على الأسـرة والمجتمع، رسالة ماجسـتير، المكتبة الإلكترونية www.gulfkids.com

(٥) انتوني غدنز، علم الاجتماع «مع مدخلات عربية»، الطبعـة الرابعة، ترجمة د. فايـز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص٢٦٧.

(٦) د. سـالم السـاري ود. خضـر زكريـا، مشـكلات اجتماعيـة راهنـة «العولمـة ومشـكلات جديدة»، الأهالي للطباعة والنشـر، سورية- دمشق، ٢٠٠٤، ص١٥٠.

(٧) د. سالم السـاري ود. خضر زكريا، المصدر نفسه، ص١٥٠.

(٨) أفراح عباس جاسـم، العنف الأسري ضد الزوجة –

دراسة ميدانية في مدينة بغداد، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد/ كلية الآداب – قسم الاجتماع، غير منشورة، ٢٠٠٧، ص٣٨-٣٩. وانظر المصادر السابقة، عبد الله بن أحمد العلاف ود. سالم الساري، ود. خضر زكريا، ص١٥٣-١٥٤.

(٩) د. سالم الساري، ود. خضر زكريا، مصدر سابق، ص١٥٣.

(١٠) أفراح عباس جاسم، المصدر نفسه، ٣٨-٣٩.

(١١) أمل فاضل عبد خشان عنوز، العنف ضد المرأة – دراسة في القانون الجنائي والقانون الدولي الإنساني، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية القانون، غير منشورة، ٢٠٠٢، ص١١-١٢.

(١٢) د. آمال الطنطاوي وآخرون، العنف الموجه ضد المرأة في مملكة البحرين «مسح ميداني»، مركز البحرين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٥، ص٣٣ «الإنترنت».

(١٣) د. طلعت إبراهيم لطفي، الأسرة ومشكلة العنف عند الشباب، دراسة ميدانية لعينة من الشباب في جامعة الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي-دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١، ص١٣.

(١٤) أمل فاضل عبد خشان عنوز، مصدر سابق، ص٦٣-٦٤.

(١٥) أمل فاضل عبد خشان عنوز، مصدر سابق، ص٦٤.

(١٦) ناصر بن مانع بن علي آل بهيان الحكيم، دور الضحية في حدوث الجريمة، أطروحة دكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية، الرياض، ٢٠٠٧، ص٤٩-٦٥.

(١٧) إرفنج زايتلن، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة د. محمود عودة ود. إبراهيم عثمان، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٩، ص١٧٨.

(١٨) يسري مصطفى، العنف ضد النساء والعنف الاجتماعي، www.alawan.org «الإنترنت».

(١٩) د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، الطبعة العاشرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب وبيروت – لبنان، ٢٠٠٧، ص٢٠٧.

(٢٠) أسماء جميل، العنف الاجتماعي – دراسة لبعض مظاهره في المجتمع العراقي، مدينة بغداد أنموذجا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٧، ص١٠٢.

(٢١) استقلال أحمد الباكر، ثقافة الحوار الأسري، منارات للدراسات والبحوث، www.ashreah.net ص١٠-١١.

(٢٢) د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دار الحوراء، بغداد، ٢٠٠٥، ص٣٦٠.

(٢٣) د. سالم الساري ود. خضر زكريا، مصدر سابق، ص١٦٥.

(٢٤) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، الجزء الثامن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، سوريا، ٢٠٠٠، ص٣١٥.

(٢٥) الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤، ص٦٥١.

(٢٦) د. علي حسين الخلف ود. سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، المكتبة القانونية، بغداد، وشركة العاتك، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٢٥٧.

(٢٧) د. علي حسين الخلف ود. سلطان عبد القادر الشاوي، المصدر السابق، ص٢٦١.

(٢٨) د. علي حسين الخلف ود. سلطان عبد القادر الشاوي، المصدر السابق، ص٢٦١.

(٢٩) د. علي حسين الخلف ود. سلطان عبد القادر الشاوي، المصدر السابق، ص٢٦٢.

Domestic Violence against Women

Asst. prof. Dr. Rabah Majeed Al-Hieti

Abstract:

The violence against women in our society is still continues, despite of the urbanization and increasing of the level of education to both women and men, and other factors that should limit this attitude. Factors such as; men and women's awareness in their rights, and economic independence for women can repel the domestic violence whether verbal, psychological, or physical against women. In the other hand, there are another reasons for retraction of the situation of women's situation in our societies, these reasons can be summarized her as the following; cultural regulations, misunderstanding and misinterpretation of religious rules, mis-socialization, the ignorance of both men and women in their rights and duties and women's acquiescence.

الظاهرة الاجتماعية في فضاء العلم

د. زروخي الدراجي(*)
سيفي فيروز (**)

ملخص بالعربية :

يتميـز البحـث العلمـي بالدقـة و المنهج و الموضوعيـة، و يتطلب كثيرا مـن الاهتمام و الحذر، و يستدعي جهودا متواصلة وقدرة كبيرة علـى التخيل و المثابـرة و التحكم فـي الذات، و الإنسـان قبـل أن يمضي إلـى البحث العلمي المعروف بشـكله الحالي، مارس نوعا آخر من التفكير،هـذا التفكير يعرف بالتفكير الفلسـفي. و إن حكمـت علـى التفكير العلمـي بأنه تفكير منظم و موحد، فهذا لا يعني أن التفكير الفلسفي خالي من التنظيم. بل هو تفكير يخضع لمقاييس منطقية، و يراعي اتسـاق المقدمات مع النتائج لكن التفكير الفلسـفي يعطي حرية أكثر للعقل و أكثـر تحررا من الضوابـط، و يمتاز بنوع من الشـمولية و انفصـال التفكير العلمـي جاء بعد نضـج المناهج العلمية التـي تولت عملية تقنين الظواهر و تفسـيرها و كانت البداية في التفكير العلمي و الأسـبقية للعلوم الطبيعية التي تناولت الظواهـر الفيزيائية الواقعية هذه الظواهر اتخذ علماءهـا المنهـج التجريبـي سـبيلا لفهمها و تفسيرها، وبعد النجاح المذهل الذي حققته العلوم الطبيعيـة، حـاول بعـض العلمـاء و المفكرين تطبيق المنهـج التجريبي في دراسـة الظواهر الاجتماعية فاسـتقلت بذالك العلـوم الاجتماعية عـن الفلسـفة، غيـر أن موضوع الدراسـة في هذه العلـوم يختلف عن موضوعهـا في العلوم الطبيعيـة، فهو أكثر تعقيدا و تشـابكا، وهذا ما جعل الدراسـة العلمية في الظواهر الاجتماعية تعرف عدة عوائق إبسـتمولوجية، مما استدعى التشـكيك في قيمة العلـوم الاجتماعية و قدرتها على تفسير ظـواهرها تفسـيرا علميا والتخلص من التفسـير الفلسفي. وهذا ما حاولت توضيحه من خـلال هـذا المقال الـذي يتناول المشـكلة التالية: **هل تخلصت الدراسات السوسيولوجية من الطابع الفلسفي والتزمت بالطابع العلمي ؟**

(*)،(**) جامعة محمد بوضياف بالمسيلة / الجزائر.

مقدمة :

رغم أن علم الاجتماع انفصل عن الفلسفة و أصبح علما قائما بذاته، إلاّ أن الشكوك قامت حول هذا العلم، و لم يكتسب علم الاجتماع المصداقية العلمية لافتقاده لخصائص العلم و الروح العلمية و احتواء دراسته على جانب كبير من الفلسفة، وما يؤكد ذلك تأخر علم الاجتماع في انفصاله عن الفلسفة، و سنبين من خلال هذا الطرح مجمل الصعوبات التي جعلت علم الاجتماع يفتقد نوعا ما للمعايير العلمية التي تتمتع بها العلوم الطبيعية، ومدى ارتباط الدراسات السوسيولوجية بالفلسفة، و هذا ليس انتقاصا من قيمة علم الاجتماع، و إنما إشادة بصعوبة دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة علمية، واعتراف بالمجهودات الجبارة التي يبذلها علماء الاجتماع من اجل السيطرة على الظاهرة الاجتماعية، وحددنا هذه الصعوبات في النقاط التالية :

١ ـ المفاهيم:

دقة العلم مستوحاة من دقة مفاهيمه، و يبقى الحديث عن دقة المفاهيم في العلوم الاجتماعية بصفة عامة و علم الاجتماع بصفة خاصة غير وارد، فعلماء الاجتماع اختلفوا في تحديدهم لمفهوم علم الاجتماع، و هذا ما أقر به العديد من المفكرين و من بينهم المفكر الأمريكي المعاصر كريشمان كومار بقوله **"و لا يستطيع المرء بالطبع طلب الدقة العلمية البالغة عند التطرق إلى المفاهيم المتعلقة بالعلوم الإنسانية إلاّ إذا كان فلسفيا مؤمنا تماما بالنظرة الوضعية التي لا تعنى سوى بالظواهر و الوقائع دون أي تفكير تجريدي وجميع مفاهيم العلوم الإنسانية حسب العبارة المبجلة" قابلة جوهريا للجدل**(١).

و يظهر التباين في تحديد مفهوم الاجتماع من خلال التعارف التي أوردها كل من ابن خلدون و أوجست كونت و دوركايم، فلكل منهم تعريف خاص بعلم الاجتماع. فقد عرفه ابن خلدون بقوله **" إنه ذو موضوع و هو العمران البشري و الاجتماع الإنساني**(٢).

أما أوجست كونت(A.Comte) فقد عرفه بقوله **"هو دراسة قوانين و ظواهر المجتمع**(٣).

في حين عرفه دوركايم(Durkhiem) بقوله **" علم النظم الاجتماعية الذي يبحث في طرق نشأتها و وظيفتها**(٤).

فهل يمكن بعد هذا التباين في المفاهيم أن نتحدث عن الدقة المفهومية لعلم الاجتماع ؟ من هنا يتأكد أن اللغة أصبحت ضمن أساسيات علم الاجتماع فتحليل المفاهيم قد يكون له الدور الأكبر في فك شفرة الظاهرة الاجتماعية، لأن الظاهرة الاجتماعيات تنشأ من خلال كلمات فأنا أسيئ إلى الأخر أو اعبر له عن احترامي له بكلمات، وكثيرا ما تكون الكلمات أساس استقامة علاقة بالآخر أو سببا في فسادها. لذا وجب على علماء الاجتماع أثناء دراسة الظاهرة الاجتماعية التركيز على الكلمات، فقد ترتكب جريمة قتل لا بسبب مادي و إنما بسبب كلمات أو لغة معينة أساء شخص إلى غيره.

٢ ـ الوضعية والحتمية :

يتفق العلماء على أن الوضعية هي إرجاع الظاهرة إلى أسبابها الحقيقية، حتى نتمكن من استئصال الظاهرة و تقنينها، لكن هل هذا الأمر متاح في دراسة الظواهر الاجتماعية على النحو الذي تعرفه العلوم الفيزيائية ؟

نستطيع أن نتعرف على بعض أسباب الظاهرة الاجتماعية، لكن الإلمام بها جميعا يعد أمرا مستحيلا لأن علم الاجتماع حينما يعمل على دراسة و فهم الحياة الاجتماعية، تختلف لديه مداخل المعالجة باختلاف وجهات النظر. ففي بعض الأحيان يركز الباحث على دراسة السلوك الإنساني المتعلق بالقيم، و في أحيان أخرى يركز على المنجزات التكنولوجية وعلاقتها بمعالم الثقافة، و تارة يوجه الباحث نظره إلى النظم الاجتماعية التي تحرك النشاط الاجتماعي، بينما يفضل بعض الباحثين التركيز على ثقافة المجتمع السائدة وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية.

يظهر إذن أن البحث عن أسباب الظاهرة الاجتماعية متباين و قد لا يمكن إحصاء هذه الأسباب و لا يمكن حصر زواياها، و عين العالم في هذا المجال لا يمكن أن تبصر كل ما يتعلق بالظاهرة الاجتماعية، بل إن عيون العلماء مجتمعة لا تستطيع فعل ذلك. و هذا ما بينه المفكر الانجليزي المعاصر جون رايت(Wright) من خلال دراسته لظاهرتي الطلاق و الانتحار، فأسباب الطلاق- مثلا - لا تعد و لا تحصى و لا يمكن حصرها،فإذا أراد الباحث في هذه الظاهرة أن يدرك حقيقتها ركز في البداية على الفقر، باعتباره أداة تنهي استمرار الحياة الزوجية، لكن هذا ليس سببا كافيا، فقد يرجع الطلاق إلى أسباب ثقافية، لأن اختلاف ثقافة الزوجين قد تكون سببا في حدوث الطلاق، و قد لا يكون هذا السبب كافيا، لأن العواطف أيضا و العوامل النفسية هي الأخرى قد تؤدي إلى الطلاق،و لو أستمر العالم في البحث عن أسباب الطلاق فلن ينهي هذا الأمر[٥].

يتضح بعد هذا التحليل أن إرجاع الظاهرة الاجتماعية إلى كل أسبابها أمر غير وارد و لو أمكن ذلك لعاشت المجتمعات دون مشاكل. و معرفة الأسباب و السيطرة عليها يسهل علينا عملية تعميم النتائج وتسريع الحركة العلمية، وإذا كان التعميم خاصية متوفرة في العلوم الطبيعية، لأنها تتبنى المنهج الاستقرائي - فما يلازم ظاهرة طبيعية في مكان ما يسقط على كل الظواهر الأخرى، و الوظيفة التي يقوم بها نبات في منطقة معينة تسقط على جميع النباتات في العالم - فإن هذا الأمر غير وارد في الظواهر الاجتماعية، فلكل مجتمع عاداته و تقاليده و مميزاته، لذا كان التعميم غير وارد في الظواهر الاجتماعية، و هذا ما بينه جولدنر(Gouldner) في كتابه الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، إذ نفى وجود التعميم و ألغى مصداقيته في علم الاجتماع، و بين أن الحياة الاجتماعية متغيرة و أن العلاقات الإنسانية لا تملك جوهرا ثابتا،لأنها متباينة و مختلفة لذلك لا يمكن أن يدخل علم الاجتماع دائرة العلمية بمعناها الفيزيائي.

إن رايت (Wright) يؤكد - في كتابه مبادئ علم الاجتماع – تجنب التعميم أثناء دراسة الظواهر الاجتماعية بقوله **" على الباحث أن يجتنب التعميمات السهلة في المسائل الاجتماعية من مثل الاعتقاد أن المستهلك يتصرف وفق قوانين المنطق**[٦].

يبدو أن التعميم غير ممكن تماما في الأبحاث الاجتماعية فهل يمكن الحديث عن التفسير العلمي في غياب التعميم ؟

إن التعميم يستلزم خصائص أخرى كالحتمية و التنبؤ، لأن قيمة العلم تكمن في

انطوائه على الحتمية لأن حتمية الظواهر تسمح لنا بتأسيس القانون، و من ثمة التنبؤ بحقيقة الظواهر في المستقبل و تعميمها في الحاضر، و العلوم التي لا شك في مصداقيتها هي تلك العلوم التي تمتاز بالحتمية و التقنين كما عبر عن ذلك المفكر الفرنسي المعاصر نافيل (Na-vel) بقوله **"إن العلوم الأكثر صرامة التي لا يعترض أحد على طابعها العلمي هي التي تهتم بالممكن، ما هو الممكن ؟ انطلاقا من الملفوظات الهندسية من نقطة مأخوذة من خط مستقيم، لا نستطيع أن نرسم إلاّ قائما واحدا على هذا المستقيم...و أنه يستحيل أن تتغير نسبة الأكسجين و الهيدروجين في تلوينة الماء"**[٧]. فهل يمكن الإقرار بمبدأ الحتمية و التنبؤ في الظواهر الاجتماعية؟

نفى المفكر الانجليزي المعاصر جون ركس (John Rix) قدرة الباحث في علم الاجتماع على التنبؤ، لأن الظواهر الاجتماعية أكثر تنوعا و تغيرا، و لا تعرف الاستقرار كما هو الحال في الظواهر الفيزيائية، لأن الإنسان يتميز بالثقافة و الإرادة الحرة التي تدفعه إلى تغيير الظاهرة حتى في آخر لحظة و لكل إنسان أو مجتمع قوانينه الخاصة التي لا تسقط على غيره من الأفراد، و إذا كان للظواهر الفيزيائية غاية محدده، فإن السلوك الإنساني تختلف غايته من فرد إلى فرد[٢]؟ فكيف لنا إذن أن نتنبأ بالسلوك البشري ؟

و يرجع عجزنا إلى عدم القدرة على التنبؤ في العلوم الاجتماعية إلى صعوبة تصور تفاعل الأفراد مع الظروف لتي يوضعون فيها، و إلى تداخل الأحاسيس والمشاعر الداخلية في توجيه سلوك الفرد و عادة ما تخفى هذه الأحاسيس و المشاعر عن الباحث، و حذر العالم الاجتماعي ريكر(Ricker)، الباحثين في الظواهر الاجتماعية من التنبؤ بالأحداث الاجتماعية، ذلك أن الأحداث التي نحاول التنبؤ بها تندرج في نسق غير معزول عن تأثير العديد من العوامل التي قد نجهلها[٨].

يتضح مما سبق أن تدخل العامل البشري وفق إرادته الحرة جعل التنبؤ بالظواهر الاجتماعية في المستقبل أمر غير ممكن، و بهذا أصبح علم الاجتماع يفتقد إلى خاصية هامة من خصائص العلم و هي الحتمية، مما يجعل التفسير العلمي للظواهر الاجتماعية محلا للشك والانتقاد.

٣ ـ الموضوعية:

الحديث عن الموضوعية هو حديث عن الأخلاق كخاصية من خصائص العلماء و الموضوعية صفة يعاني علم الاجتماع من غيابها، و الحديث عن هذه الصفة يخلق هوة واسعة بين العلوم الطبيعية وعلم الاجتماع، لأن العلوم الطبيعية تعمل وفق موضوعية و تحيز مطلق، و الباحث فيها يستطيع أن يعزل ذاته عن الموضوع الذي يدرسه، في حين يجد الباحث في الظواهر الاجتماعية ذاته جزء من الدراسة فهو الدارس و المدروس في آن واحد.

وعبر كلود ليفي ستروس (Claude Levi Strauss) أصدق تعبير عن افتقاد العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية للموضوعية فقال **" ذلك العدو السري للعلوم الإنسانية سواء على مستوى الوعي العفوي و المحايد للموضوع أو الوعي التأملي أو**

وعـــي الوعي عند العالـــم[٩] **"**. و نفـــى أيضا المفكر الفرنسي ميشال فوكو(M Foucault) الدقـــة و الموضوعيـــة عن العلوم الإنســـانية و الاجتماعية، ممـــا جعله يرفض علمية الظواهر الإنسانية و الاجتماعية و هذا ما يظهر في قوله **"لا جـــدوى من القول أن العلـــوم الإجتماعية هي علـــوم خاطئة، بل هي ليســـت علوم على الإطلاق فالتشـــكيلات التي تحـــدد وضعيتها و تجذرها في الإبســـتمية الحديثة تمنعها من أن تكون علوما"**[١٠].

و تحقيق الموضوعية في العلوم الاجتماعية مرهـون بتحديـد العلمـاء لتحيزاتهـم و عـدم تعصبهم لكن هذا الأمر غاية في الصعوبة ومن جملة الأسـباب التي تجعل الباحث في الظواهر الاجتماعيـة بعيـدا عـن الموضوعيـة، فقدانه لسـلطة إصدار الأحـكام،لأن أغلـب القرارات تفرض على الباحث من طرف رجال السـلطة ذلـك أن النتائج التي يقررها الباحث قد تسـيء للحكم و المجتمع، لذا يجبر الباحث على تغيرها و تعديلها إن لم نقل تزيفها. و هذا ما أكده رايت الـذي بيـن أن الباحث في علـم الاجتماع يكون فـي أغلب الأحيان مغايرا لنتائج بحثه خوفا من السلطة[١١].

إن أغلـب الحكومات فـي العالم تعمل على التحكم في البحث الاجتماعي لبسـط نفوذها لأن العلـوم الاجتماعية تعتبـر أداة فعالة في تحقيق السـيطرة على الإنسـان و المجتمع، و من ثمة فلا غرابة أن تسعى القوى السياسية إلى فرض سـيطرتها و توجيههـا للبحـث العلمـي كما أن إطـلاق العنان للباحث فـي علم الاجتماع يعتبر تهديـدا للحكم و لعلاقات الدولـة الخارجية[١٢].

فالتصريـح بالجريمة داخل المجتمع و بنسـب عاليـة و بـكل موضوعية، قد يؤدي إلى فشـل السـلطة في إقامة شـبكة علاقات مع باقي دول العالم.

ويضـاف إلـى مشـكلة تدخل السـلطة في الدراسـات السوسـيولوجية مشـكلة ثانيـة لا تقـل أهميـة عـن الأولى ونقصـد بها مشـكلة الإيديولوجيـا، لأن الإيديولوجيا جزء من كيان الباحث و لا شـك أنها تسـكن أعماقـه، لذا فإن الباحـث في علـم الاجتماع في غالـب الأحيان سـيوجه أبحاثه العلمية إلى خدمة الإيديولوجية التي يتبناها، وبين ميشـال فوكـو هذا الأمر، و أكـد أن كل محاولـة للقيام بوصـف دقيق أكثر للعلائق الموجـودة بين البنية الابسـتيمولوجية للعلـوم الاجتماعيـة و الإنسـانية و الوظيفـة الإيديولوجيـة أمر غيـر وارد تماما، و النقص النظـري الحاصل في مختلف العلوم الإنسـانية و الاجتماعيـة إنمـا يعـود إلـى تدخـل العامل الإيديولوجـي، الـذي أبعـد هـذه العلـوم عـن الموضوعية و الدقة المطلوبة[١٣].

و علـى هـذا النحـو يجـد الباحـث فـي الظواهر الاجتماعية نفسـه مرغما على تجاوز الموضوعيـة حتـى و إن كان كارهـا لذلك، و مـرة أخرى تفتقد دراسـة الظواهر الاجتماعية إلـى خاصية هامة من خصائص الروح العلمية و هـي الموضوعيـة، و إن اسـتطاع علمـاء الاجتماع أن يتجـاوزوا بعض الصعوبات التي تعترضهم في دراسـة الظواهر الاجتماعية فإن مشكلة الموضوعية بقيت دون حل.

٤ ـ التقنين و الدقة العلمية :

غياب الوضعية في دراسة الظاهرة الاجتماعية ـ كما سابق الذكر ـ يعني بصفة حتمية غياب الدقة، و تبقى العلوم الاجتماعية احتمالية، و قد حاول العالم الرياضي الشهير فريد بوكستين،أن يطبق الرياضيات في دراسة الظواهر الاجتماعية وفي هذا يقول" **لقد انتظرت أربع أسابيع و بعدها أدركت أن هذا لن يجدي فتيلا و سوف أصبح مجرد عالم رياضيات مثير للإزعاج** ".يقصد بوكستين هنا أن الرياضيات إن لم ترتبط بعلم آخر فإنه لا قيمة لها، و كان العلم الآخر في نظر بوكستين هو علم الاجتماع، و قضى سنوات و سنوات في محاولة لإكساب علم الاجتماع الدقة المشهودة في الرياضيات و ماذا كانت النتيجة ؟

يقول بوكستين ـ عندما قدم رسالته العلمية عن كيفية استخدام الرياضيات النسبية العامة لقياس التغيرات الاجتماعية ـ أن الأوساط العلمية سخرت منه و قالوا: **"نحن لا ندري ما هذا في الحقيقة و لكننا نعلم أنه ليس علم اجتماع، نرجو أن تفكر في شيء آخر تقوم به في حياتك(١٤)!"**.

و المقصود هنا أن تحويل الدراسات الاجتماعية إلى دراسات كمية دقيقة، يخرجها من علم الاجتماع إلى علم الإحصاء، فتفقد بذلك طبيعتها و خصائصها المميزة لها.و يضاف إلى غياب الروح العلمية في دراسة الظواهر الاجتماعية مشكل آخر، يجعل علم الاجتماع محل النقد و الانتقاد، من قبل العديد من المفكرين، هذا المشكل يتمثل في عجز العلماء في تحويل أغلب الدراسات الإجتماعية إلى قوانين علمية.

إن أغلب الذين رفضوا دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية، رفضوها بحجة أنها تفتقد إلى منهج قويم، يؤدي إلى تأسيس قانون علمي عام، فكان القانون عقبة واجهت الباحثين في الظواهر الاجتماعية، رغم أن بعض المفكرين نادوا بتطبيق مناهج الفيزياء على الظواهر الاجتماعية، و اعتبروا الظاهرة الاجتماعية قابلة للدراسة مثلها مثل الظاهرة الطبيعية و صرحوا بإمكانية التوصل إلى قانونين في علم الاجتماع و من بينهم لندبرج (Lundberg)إذ يقول "**إن قوانين الفيزياء لا يقتصر تصورها على مجال تطبيقها فهي لا تصف سلوكا يحدث في أي مكان في الكون الطبيعي غير الخاضع للضبط. و باختصار فإن أي مجتمع يجب أن تكون له قوانينه الخاصة(١٥)**".

إن لندبرج يذهب إلى أبعد من هذا إذ بين أن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية تماثل في دقتها القوانين الفيزيائية. لكن هل هذه الرؤية ممكنة واقعيا ؟

رفض جون ركس (John Rix) هذه الرؤية، ووجه عدة انتقادات للندبرج و بين أن رؤيته رؤية ميتافيزيقية لا أصل لها في الواقع. لأن التباين بين الفيزياء و علم الاجتماع واضح تماما و من ثم **"فقد فشل لندبرج في إدراك أن الأسئلة التي يتحتم الإجابة عنها لتأسيس هذا النوع من القوانين التي تدور في خلده، قد لا تكون الأسلة التي أدت إلى تأسيس علم الاجتماع، إن المشكلة الرئيسية هي تقرير المفاهيم العامة التي يمكن على أساسها التنبؤ بالأنساق الاجتماعية(١٦)**".

يريد جون ركس هنا أن ينقل لندبرج إلى

الواقع، إذ أن القانـون يعني التنبؤ و التنبؤ غير وارد فـي الظواهر الاجتماعية، و لو أمكن ذلك لما كانت المشـاكل الاجتماعية، فإرادة الإنسان الحـرة تقضي على كل قانون و تبطل كل تنبؤ، و أسـتند جون ركس إلى دراسـات الفيلسـوف الألمانـي المعاصـر دلتـاي(Dilthey) ليدعم وجهة نظره،هذا الأخير أكد أن ضرورة المنهج العلمي تكمن في تأسـيس القانون، و القوانين لا أهمية لها في العلـوم الاجتماعية يقول دلتاي " **إن الاطـرادات التي يمكـن أن توجد في مجال المجتمع هي من حيث العدد و الأهمية و الدقة تتجـاوز القوانين التي يمكـن أن نضعها عن الطبيعة على أسـاس العلاقـات بين الزمان و المـكان**[١٧]". بمعنى أن الظواهـر الاجتماعية متنوعـة ومن الاسـتحالة أن نضبط كل ظاهرة بقانـون خاص. ثم إن الميكانيـك و الفيزياء في عصرنا هذا، لم تعد تملك الوحدة و الاتساق في المباحث كمـا كان ذلك في قرون ماضية، و لم تعـد قواعـد نيوتن صادقة على كل الأجسـام و لا عامة و لا شـاملة، و بقي صدق هذه القواعد مقبولا فقط على مسـتوى الأجسـام الكبيرة. أما الأجسـام المتناهية في الصغر فقد أثبتت نسـبية آنشـتاين أنها لا تخضع لميكانيك نيوتن. فأصبح العالم يبدوا بأسره قابلا للرد إلى اختلافات بنيوية في المـكان[١٨]. و لا ضـامن من حدوث الأمر ذاته عند إسـقاط هـذه القوانيـن الفيزيائية على الظواهر الاجتماعية و الدراسـات التاريخية لا تؤكد أن المدن تجذب إليها الناس جذبا يتناسـب طردا مع الكتلة و عكسا مع مربع المسافة.

و يسـتمر جون ركـس في نزعتـه النقدية لتقنيـن الظاهـرة الاجتماعية فيقـول "**إن بناء الفعل الاجتماعي قابل للتغير بدرجة عالية لأن غايات الفعل الاجتماعي نفسـه قابلة للتغير، فهي تتميز بثراء المضمون كما أشرنا، و بدلا من إقامة علـم اجتماع يهتم فقـط ببناء عدد محدد مـن نماذج البنـاء الاجتماعي. قلنا أنه يجب أن يهتم بتشـييد نمـاذج يمكن أن تتغير بقـدر تغير الغايات التي ينشـدها الناس و هم مترابطين**[١٩]".

و عليه كان الحكم على الظواهر الاجتماعية بأنهـا متغيرة، فهل يمكن بناء قانون ثابت يحكم ظاهرة متغيرة ؟!

يتبيـن بعد هذا التحليل أن دراسـة الظواهر الاجتماعيـة دراسـة علميـة يصطـدم بعوائق إبسـتمولولوجية يصعـب و أحيانـا يسـتحيل تجاوزها.

ومـا يزيـد مـن تعقيـد الدراسـة العلميـة للظاهـرة الاجتماعية المفارقة بيـن النظرية و التطبيق.فلـكل علم مـن العلوم جانبـه النظري وجانبـه التطبيقي، والحديث عـن الدقة العلمية لا يتـم بعيدا عن التطابق بيـن الجانب النظري و التطبيقـي، لأن التطابـق بين هذيـن الجانبين يقضي على الاحتمال ويقلصه، والملفت للانتباه أن النظريـة الاجتماعية عرفت عـدة انتقادات قبـل أن نبينها نحدد مفهوم النظرية و يقصد بها "**البناء الفكري التأملي الذي ترتبط فيه النتائج بالمبادئ أو المقدمات**[٢٠]".

و عرفها جميل صليبا في معجمه الفلسـفي بقوله "**النظرية قضية تثبت برهان، و هي عند الفلاسـفة تركيب عقلي مؤلـف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ**[٢١]". فهـل المقدمات التي يصوغهـا علماء الاجتماع متناسـقة مع النتائج ؟ و هل ما يبنيه الباحث في الظواهـر الاجتماعية في مخيلته يتفق مع غيره

من الباحثين؟ و يسقط على الواقع كما ينبغي ؟

الإجابة عن هذه التساؤلات تضع الدراسة الاجتماعية في الاختبار و تقلل من علميتها.

لقد ظهر علم الاجتماع كعلم مستقل بذاته و متخصص في دراسة الظواهر الاجتماعية، إلاّ أن المتتبع للتعريفات التي قدمت لعلم الاجتماع، لا يعبأ أن يكتشف تعدد النظريات المقدمة من طرف العلماء و تباينها و اختلافها،و نتيجة الاختلاف وجهات النظر تعددت التصورات وتناقضت، لتخلق بذلك اتجاهات فكرية و منهجية متعددة، و تنوعت المدارس الاجتماعية بشكل ملفت للانتباه.

و بين جون ركس (John Rix) في دراسته المميزة، الخلل الموجود على مستوى النظريات الاجتماعية، و وضح موفقة من خلال انتقاداته للمدرسة البيولوجية في علم الاجتماع التي ترى أننا نستطيع دراسة الظواهر الاجتماعية كما ندرس الحيوان و النبات و هذا مستحيل في نظر جون ركس لأننا في البيولوجيا لا نجد خللا فيما نتصوره و ما نلاحظه في الواقع على عكس الظواهر الاجتماعية فليس بوسعنا أن نتبين الخصائص التي يحددها المجال الاجتماعي، بنفس السهولة التي يعرفها عالم الأحياء، و لا يمكننا أيضا أن نقيم تصنيف نوعي للظواهر الاجتماعية، و من الصعوبة بمكان أن نعثر على بعض السمات الإمبريقية (التجريبية الميدانية)، التي تصلح للتعرف على ما هو اجتماعي على المستوى النظري. و تفطن دوركايم(Durkhiem) لهذا الأمر و صرح به، إذ بين أن الظواهر الاجتماعية تتميز بالقهر لذا لا بد أن نميز بين نظرة العالم و نظرة الملاحظ، فالنظرية في علم الاجتماع شيء و الواقع شيء آخر[٢٢].

و هكذا كانت الدراسات السوسيولوجية فريسة للتناقض و تضارب العوامل الثقافية و الإيديولوجية و الحس المشترك، و عوامل أخرى تجعل نظريات الباحث تتعارض و تتباين مع الواقع و هذا ما جعل علم الاجتماع يخرج عن البنية المنطقية للعلم، فكان حصاده التقصير، و على هذا النحو لا يمكن استيعاب جوانب الظواهر الاجتماعية، فهي تميل إلى جانب دون الآخر و أحياننا أخرى لا تقبل التطبيق إلاّ عند من آمن بالافتراضات الفلسفية، و التزم بالحدود الإيديولوجية.

الفجوة فسيحة إذن، بين ما يتصوره الباحث في الظواهر الاجتماعية على المستوى النظري، و بين ما يشهده الواقع العلمي الميداني التجريبي أو ما يسمى الإمبريقي. إن مصداقية العلوم الطبيعية و الفيزيائية مستمدة من تكامل التفسيرات و توافق جانبها النظري مع جانبها التجريبي، و هذا ما يخلق نوعا من التآزر و التناسق الذي يقود إلى الدقة المتناهية، فالفيزياء النظرية مثلا ترسم خطى و تحدد أطر الفيزياء العملية، و الثانية تحمل اختيارات الأولى و تفعلها، على عكس ما نلاحظ في العلوم الاجتماعية التي ينعكف بعض علمائها على التجريب دون أن يبالي بالتنظير، و آخر ينظر فيخونه و يكذبه التجريب و إن غياب الانسجام المنطقي بين التنظير و التجريب في آن واحد، لهو سبب اضطراب الحدود المنطقية في العلوم الاجتماعية. **"من غير الممكن تفسير العالم الداخلي انطلاقا من قوانين الطبيعة ومن المستحيل أن نصوغ علميا جوهر الإرادة الحرة التي يعترف الفرد بوجودها في نفسه بصورة لا يمكن إنكارها[٢٣]".**

و أكـد رايت(Wright)على هـذا التباين، مبينـا أن علـم الاقتصـاد أو الفيزياء يسـتطيع أن ينظـر ثم يجرب دون خـوف **"أما في علم الاجتمـاع فهناك خطر أن لا نميز في مثل هذه الفرضيات بين مـا هو واقعي و ما هو متوهم و خادع[٢٤]"**.

إن الباحـث في العلـوم الاجتماعية يصاب بانتكاسـة علمية، حينما يلاحظ الفـارق بين ما تخيله و افترضه و نظر له، و بين ما يجده على أرض الواقع، و كأن نظرياته تحولت إلى أفكار فلسفية ميتافيزيقية خالية من كل المعايير العلمية **"فأصبحنا نرى العلوم الاجتماعية صنفين في منهجيتهـا إما تجريب مفرط و إما تلاصق مع الواقع[٢٥]"**.

يظهـر جليا أن علم الاجتماع رغم انفصاله كعلـم قائم بذاته إلاّ أنه يفتقد بشـكل واضح إلى الـروح العلميـة اللازمـة، و دراسـة الظواهر الاجتماعية بأسـس علمية بقـي موضوع جدل و خـلاف ليس فقـط بين المختصين في فلسـفة العلوم، و لكن حتى بين علماء الاجتماع أنفسهم.

٥ ـ تأثير الفلسفة في علم الاجتماع :

تبين لنا أن علم الاجتماع لا يزال يعاني من افتقـاده لخصائـص العلـم، و أن المناهج فيه لا تـزال قاصرة عن ضمـان الوحدة و الاتفاق، و أن الاختلاف يبقى ميزة هذا العلم و الحديث عن الاختلاف يقودنا إلى البحث عن الجانب الفلسفي في علـم الاجتماع، و عن حضور الفلسـفة في الدراسـات الاجتماعية و يمكن إثبات هذا الأمر من خلال البحث عن مواصفات عالم الاجتماع.

لا يمكـن أن يكـون عالم الاجتمـاع عالما عاديا أو شـخصا يهتم ببناء القوانين و تأسـيس النظريـات، بل يجب أن يكون شـخصية مميزة وأقل ما يمكن أن يتوفر من صفات لدى الباحث فـي الظواهـر الاجتماعيـة، أن يتمتع بسـلطة إصدار الأحكام في الحقل الإنساني[٢٦]. ذلك أن الباحث في الظواهر الاجتماعية يحتاج إلى الدقة فـي الإحصائيات، و مصـدر هذه الإحصائيات هـو السـلطة، و إذا لم يتمتع العالـم بالتحكم في هذه السـلطة فقد تحجب عنه هذه الإحصائيات، و تؤول دراساته إلى الخطأ.

إن الباحث فـي ـ الظواهر الاجتماعية ـإذا أراد القضاء على مشـكل اجتماعي فإنه يحتاج إلى سلطة القرار، و تأسيس النظم وفقا لما يراه مفيدا للفرد و المجتمع. و لا بد أن يكون الباحث فـي الظواهـر الاجتماعيـة ذا خبرة واسـعة و تجارب متعددة و على دراية كاملة بثقافة وطبائع الشـعوب، و له معرفـة كاملـة بالموضوعات الاجتماعيـة كالاقتصـاد و السياسـة و الفن، و أن يكون كثير الأسـفار و الترحال حتى يتسنى له معرفـة تقاليد البلدان و المجتمعات و لغاتها، و وجـب أن يتمتع عالم الاجتمـاع بالقدرة على الملاحظة الدقيقة و اسـتخلاص النتائج اسـتنادا إلى براهين كافية.

وبين رايـت(Wright) أن الذين يمتلكون هذه المواصفات هم قلة قليلة، لأن أكثر الباحثين فـي علـم الاجتمـاع يميلون إلـى التخصص و التهرب من الدراسـة الشاملة، كما أنهم يفتقدون إلى الترحال و الخبرة اللازمة، و يعتمدون على الدراسـات عن بعد، و هذا ما يؤدي إلى ضعف أبحاثهـم و نقـص فعاليتهـا. ما يهمنـا هنا: هل المواصفات التي ذكرناها سـابقا هي مواصفات عالـم أم فيلسـوف ؟ إنهـا و لا ريب مواصفات حكيم فيلسـوف، و كأن رايت يريد أن ينقل علم

الاجتماع إلى حقل الفلسفة من جديد، فالخبرة و الشمولية هي خصائص الحقيقة الفلسفية التي لا تعرف التخصص و إن هذا الأمر يقودنا للحديث عن الفلسفة الاجتماعية، إذ أن الكثيرين يرون أن هذا المصطلح قد يعوض علم الاجتماع، وتهتم الفلسفة الاجتماعية بدراسة حياة المجتمع عموما و هي مهمة قد تكون أرقى من مهمة عالم الاجتماع لأن التجريد الفلسفي للقضايا الاجتماعية يزيدها تعقيدا وغموضا لكن يكسبها فعالية أكثر، وبين المفكر الفرنسي المعاصر مارلو بونتي(Merleur Ponty) أن لغة الفلسفة هي اللغة اللائقة للباحث في الظواهر الإنسانية و الاجتماعية[٢٧].

٦ ـ المنهج في العلوم الإنسانية و الاجتماعية يحتاج إلى مواصفات خاصة في العالم :

لا يمكن أن يكون الباحث في الظواهر الإنسانية والاجتماعية عالما عاديا أو شخصا يهتم ببناء القوانين و تأسيس النظريات، بل يجب أن يكون شخصية مميّزة، وأقل ما يمكن أن يتوفر من صفات لدى الباحث في الظواهر الإنسانية الاجتماعية تمتعه بسلطة إصدار الأحكام في الحقل الإنساني. ذلك أن الباحث في الظواهر الإنسانية و الاجتماعية يحتاج إلى الدقة في الإحصائيات ودقة المفاهيم، و مصدر هذه الإحصائيات هو السلطة، و إذا لم يتمتع العالم بالتحكم في هذه السلطة فقد تحجب عنه هذه الإحصائيات و تؤول دراسته إلى الخطأ فالسلطة هي التي تخضع سلوك الأفراد إلى الحساب العقلاني مثلها مثل بقيّة القوانين **"التي يؤسسها الحساب العقلاني و تسوغها القوانين الطبيعية الثابتة"**[٢٨].

إن الباحث في ـ الظواهر الإنسانية والاجتماعية ـ إذا أراد القضاء على مشكل اجتماعي فإنه يحتاج إلى سلطة القرار، وتأسيس النظم وفقا لما يراه مفيدا للفرد و المجتمع. ولا بد أن يكون الباحث في الظواهر الاجتماعية ذا خبرة واسعة و تجارب متعددة، وعلى دراية كاملة بثقافة وطبائع الشعوب، وله معرفة كاملة بالموضوعات الاجتماعية كالاقتصاد والسياسة والفن، وأن يكون كثير الأسفار والترحال، حتى يتسنى له معرفة تقاليد البلدان والمجتمعات ولغاتها، ووجب أن يتمتع الباحث في الظواهر الإنسانية و الاجتماعية بالقدرة على الملاحظة الدقيقة واستخلاص النتائج استنادا إلى براهين كافية. وبيّن رايت(Wright) أن الذين يمتلكون هذه المواصفات هم قلة قليلة، لأن أكثر الباحثين في الظواهر الإنسانية يميلون إلى التخصص و التهرب من الدراسة الشاملة، كما أنهم يفتقدون إلى الترحال و الخبرة اللازمة، و يعتمدون على الدراسات عن بعد، و هذا ما يؤدي إلى ضعف أبحاثهم و نقص فعاليته[٢٩] . ما يهمنا هنا:

هل المواصفات التي ذكرناها سابقا تتلاءم مع المناهج العلمية ؟ إنها و لا ريب مواصفات تحتاج إلى مرونة في المنهج و الباحث على حد سواء، و كأن المناهج في العلوم الإنسانية و الاجتماعية تحتاج إلى الطابع الفلسفي والدراية اللغوية، فالخبرة و الشمولية من المواصفات التي تستلزمها الدراسة في الظواهر الإنسانية و الاجتماعية وهي من بين خصائص الدراسة الفلسفية.

إن هذا الأمر يقودنا إلى الاعتراف بالتداخل الواضح بين الفلسفة و العلوم

الإنسانية والاجتماعية وحقل اللغة، هذا التداخل اعتبره بعض الفلاسفة مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، فالفلسفة تهتم بدراسة حياة المجتمع عموما، والتجريد الفلسفي للقضايا الاجتماعية يزيدها تعقيدا و غموضا لكن يكسبها فعالية أكثر، و بيّن مارلو بونتي(Merleur Ponty) (١٩٠٨-١٩٦١م) أن لغة الفلسفة هي اللغة اللائقة للباحث في الظواهر الإنسانية الاجتماعية[٣٠]. فإذا كانت العلوم الإنسانية والاجتماعية تهتّم بدراسة السلوك البشري وما يقتضيه من تقاليد و معتقدات فإن هذا العلم بحاجة إلى فلسفة ترشده إلى معرفة القيم في الحقل الإنساني، و إذا كانت العلوم الإنسانية والاجتماعية تعنى بالوسائل فإن الفلسفة تعنى بالأهداف، فإذا كان للبحث الإنساني والاجتماعي أن يحدد الوسائل و يصل إلى نتيجة ذات معنى، فإن الفلسفة هي التي تقود الباحث إلى هذا الأمر.

إن الفلسفة تحدّد الهدف و العلوم الإنسانية و الاجتماعية تحدّد الوسائل، و هذا ما يدّل على تزاوج البحث الإنساني مع البحث الفلسفي و اللغوي، و تبقى مناهج البحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية أسيرة الفلسفة واعتبر دلتاي الحياة الموضوع الوحيد للفلسفة، لأن الحياة شيء لا يمكن فهمه إلاّ من الداخل، وهذا أمر لا يستطيع بلوغه إلاّ الفيلسوف الذي يملك نظرة شاملة للواقع و له صلة مباشرة بحياة البشر و خبرة واسعة بميولهم **"فهو يدرك عمل عقله و كيف تولد الأفكار إحساسات ثم كيف تتحوّل الإحساسات إلى ميول، إنه يعلم الخاصية الزمانية لحياتنا مع تعاقب اللحظات التي تربط الحاضر بالخبرة ويتذكر الماضي و يتصوّر المستقبل"**.

وأكد المفكرين المعاصرين بيتر بيرغر (Peter Berger) وتوماس لوكمان (Thomas. Luckmann)* أن البحث الإنساني والاجتماعي لا يمكن له أن يستقل عن البحث الفلسفي، لأن الفيلسوف بتساؤلاته هو الذي يثير الواقع الإنساني[٣١]. فالفلسفة بهذا المعنى أوسع نطاقا وفعالية من العلوم الإنسانية، فهذه الأخيرة تستغرق في العلوم الإنسانية والعكس غير صحيح.

وعلى هذا يتبيّن أن الدراسات الإنسانية والاجتماعية على علاقة وطيدة بالبحث الفلسفي ولا يمكن للمناهج في العلوم الإنسانية أن تتحرّر من الطابع الفلسفي، ووجب أن يتمتّع الباحث في الظواهر الإنسانية والاجتماعية بالقدرة على الطرح الفلسفي للقضايا الواقعية و تجريدها والوقوف على معانيها الحقيقية، و قبل أن يكون الباحث في الظواهر الإنسانية و الاجتماعية عالما عليه قبل ذلك أن يكون فيلسوفا قادرا على فهم العلاقات السببية بين الظواهر الإنسانية.

وما نخلص إليه في النهاية أن النظرية الاجتماعية رغم دخولها دائرة العلم لا تزال تحتفظ بالطابع الفلسفي، و يبدو أن علم الاجتماع يوم إرتدى ثوب العلم نسي أن يخلع ثوب الفلسفة، وأكرر القول أن هذا ليس انتقاصا من قيمة و فعالية علم الاجتماع و إنما هو اعتراف صريح بتعقيد الظاهرة الاجتماعية و صعوبة السيطرة عليها سيطرة علمية فيزيائية، ويمكن القول أن الفرق بين مجتمع متقدم و مجتمع متخلف، هو قوة علم الاجتماع في المجتمع المتقدم وضعفه في المجتمع المتخلف و قوة علم الاجتماع مستمدة من قوة الطابع العلمي و الفلسفي فيه على حد سواء.

قائمة المراجع :

أولا : باللغة العربية :

١ـ الـزواوي بغـورة: مدخـل إلـى فلسـفة العلـوم دراسـة تاريخيـة نقدية مع نصـوص مترجمة مطبوعـات جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٠

٢ ـ آن إينـو: تاريـخ السـيميائية ترجمة رشـيد بن مالـك، د ط، منشـورات مخبـر الترجمـة و المصطلح،جامعة الجزائر و دار الآفاق،٢٠٠٤

٣ ـ جـون ركس: مشـكلات أساسـية فـي النظرية الاجتماعية، ترجمة محمد الجوهري و آخرون، د ط، منشئة المعارف الإسكندرية، د ت.

٤ ـ ميشـال فوكو: الكلمات و الأشياء ترجمة مطاع صفـدي آخـرون مراجعـة جـورج زيناتـي، مطـاع صفـدي، د ط، مركـز الإنمـاء القومي بيروت،١٩٩٠.

٥ ـ ميشـال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سـالم يفـوت، د ط، المركـز الثقافـي العربـي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦.

٦ ـ ف.ج.رايـت: مبـادئ علـم الاجتمـاع، ترجمة محمد شـيا، ط٣، دار الحداثـة طريق المطار، شارع مدرسة القتال، ١٩٩٦.

٧ ـ يمنى طريف الخولي: مشـكلة العلوم الإنسـانية تقنيتها و إمكانية حلها،ط٢ دار الثقافة للنشـر و التوزيع القاهر،١٩٩٢.

٨ـ عبد الكريم اليافي: تمهيد في علم الاجتمـاع، د ط، جـامعة دمشق، ١٩٦٤.

٩ ـ علا مصطفى أنور: التفسير في العلوم الاجتماعية، د ط، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، ١٩٨٨

١٠ـ عـلا مصطفـى أنـور: علاقة الفلسـفة بالعلوم الإنسـانية، د ط، دار الثقافـة للنشـر و التوزيع القاهرة، ١٩٩٤.

ـ الموسوعات و المعاجم :

١ـ جميـل صليبا: المعجم الفلسـفي، ج ٢، د ط. الشركة العالمية للكتاب بيروت ١٩٩٤.

٢ ـ كميـل الحـاج: موسـوعة المصطلحـات الاجتماعيـة، ط١، مكتبـة لبنـان شـركة ناشرون بيروت، ٢٠٠٠

ـ المجلات

١ ـ الثقافة العالمية: العدد ١٠٧ (يوليو ٢٠٠١)، الكويت

٢ ـ دراسـات إنسـانية: مجلة صادرة عن كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثاني، (٢٠٠٢)، جامعة الجزائر

ثانيا : باللغة الفرنسية:

1- Raymond Aron : La philosophie critique de l'histoire, Librairie philosophique J. Vrin. Paris. France. 1969

الهوامش:

(١) كريشـمان كومار: حول مصطلـح المجتمع المدني On Civil Society ترجمـة، عدنـان جرجـس، الثقافة العلمية. العدد ١٠٧ (يوليو٢٠٠١) الكويت، ص ٣٦.

(٢)جمـال معتـوق: إسـهامات المسـلمين فـي العلـوم الاجتماعيـة عامـة وعلـم الاجتمـاع خاصـة مجلة دراسـات إنسـانية، مجلة صـادرة عن كليـة العلوم الإنسـانية الاجتماعيـة، العـدد الثانـي، (٢٠٠٢)، جامعة الجزائر ص ٢٥٧

(٣) نفسه : الصفحة نفسها.

(٤) نفسه: الصفحة نفسها.

(٥) ف.ج. رايت: مبـادئ علم الاجتماع،، ترجمة محمد شيا، ط٣، دار الحداثة طريق المطار، شارع مدرسة القتال،١٩٩٦ ص ٦٩، ٧١.

(٦) نفسه، ص ١٤.

(٧) آن إينو: تاريخ السيميائية، ترجمة رشيد بن مالك، د ط، منشورات مخبر الترجمة و المصطلح،جامعة الجزائر و دار الآفاق،٢٠٠٤ ص ٣٤، ٣٥

(٨) جون ركس : مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية، ترجمة محمد الجوهري و آخرون، منشئة المعارف الإسكندرية، د ت ص ٥٦,٥٧.

(٩) علا مصطفى أنور: التفسير في العلوم الاجتماعية،، د ط، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٠٢، ١٠٣.

(١٠) الزواوي بغوره: مدخل إلى فلسفة العلوم دراسة تاريخية نقدية مع نصوص مترجمة، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٠، ص ٢٠٥.

(١١) ميشال فوكو: الكلمات و الأشياء، ترجمة مطاع صفدي آخرون، مراجعة جورج زيناتي، مطاع صفدي، د ط، مركز الإنماء القومي بيروت،١٩٩٠، ص ٢٥

(١٢) ف.ج.رايت: مبادئ علم الاجتماع، ص ١٥

(١٣) ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، د ط،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب، ١٩٨٦، ص ١٧٥

(١٤) دانا ماكنزي: شكل الجنون، ترجمة: نادية شكري. مراجعة: ذكي خبيز. الثقافة العالمية، العدد١٠٢. ٢٠٠٠، الكويت ص ١٠٧

(١٥) جون ركس: مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية، ص ٥٦، ٥٧

(١٦) نفسه، ص ٢٣٠

(١٧) نفسه، ص ٢٣٠

(١٨) عبد الكريم اليافي: تمهيد في علم الاجتماع، د ط، جامعة دمشق، ١٩٦٤، ص ٢١٨

(١٩) جون ركس: مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية، ص ٢١٩

(٢٠) كميل الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي الاجتماعي، مادة النظرية،، ط١، مكتبة لبنان شركة ناشرون بيروت، ٢٠٠٠، ص ٦٣

(٢١) جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج٢، د ط، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤، مادة النظرية، ص ٣٧٧

(٢٢) جون ركس: مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية، ص ٣٩

(23) Raymond Aron : La philosophie crie tique de l'histoire, Librairie philosophique J.Vrin.Paris. France. 1969.p. 94. **« il est impossible de déduire ou d'expliquer le monde intérieur à partir des loi de la nature. Il est impossible de formuler scientifiquement l essence de la volonté libre dont l'homme reconnait en lui la présence irrécusable.»**

(٢٤) ف.ج. رايت: مبادئ علم الاجتماع، ص ١٥

(٢٥) يمنى طريق الخولي: مشكلة العلوم الإنسانية تقنيتها و إمكانية حلها،ط٢ دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهر،١٩٩٢د ت، ص ١١٦

(٢٦) ف.ج. رايت: مبادئ علم الاجتماع، ص ١٥

(٢٧) علا مصطفى أنور: علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية، د ط، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٨، ١٩

(28) Michel Malherbe: Thomas Hobbes , ou l'œuvre de la raison, librairie philosophique , J. Vrin. Imprimerie de la manutention à moyenne. Paris ,1984. P161

<< C'est le calcul rationnel qui l'institue et la loi naturelle qui la justifie >>

(٢٩) ف.ج. رايت: مبادئ علم الاجتماع، ص ١٥.

(٣٠) علا مصطفى أنور: علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية، د ط، دار الثقافة للنشر و التوزيع،١٩٩٤، ص ١٨.

(٣١) علا مصطفى أنور: علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية، ص ٢٧.

La Théorie sociales entre la sciences et la philosophie:

Dr. Zarokhi Al-Daraji

Saifi Farouze

Progressivement , jour après jour , les sciences va chercher l`exactitude et l`objectivité , uniquement les sciences naturelles , mais les sciences sociales a connu certains contraintes épistémologiques empêchant leur exactitude et s`arrêtant entre ces sciences sociales et les prétentions du savoir scientifique, et ces qui met , les doutes surmontent cher les penseurs dans la possibilité de commenter savamment les phénomènes sociales , le commentaire scientifique que dans ces phénomènes devient limitatif , il s`occupe une grande place ce qui rassemble entre accepter et refuser , les penseurs des phénomènes sociales se sont trouves confondre entre le commentaire philosophique le commentaire scientifique , ainsi que des difficultés de faire des loi a` la phénomènes sociales. Ce discours montre l`effet de ce difficultés dont s`opposent le commentaire dans les phénomènes sociales.

التحولات النفسية في شعر محمد بن عمار

م. د. أفراح علي عثمان(*)

الخلاصة:

لم يكن الإنسان ليعيش على وتيرة واحدة في حياته، فلا بـد من تقلبات الزمان عليه من فرح إلـى حزن، أو بالعكس ولا أن يعيش حياة بؤس كاملة، فهذا ما لا يتطابق مع الحياة التي هي في دوامـة التغيير، من حـال إلى حال، وقد تضمن بحثنـا كل تلـك التحـولات، فـكان (**التحولات النفسية في شـعر محمد بن عمار**) معبراً عن الحالة النفسية التي مر بها الشاعر في أيام حياته حتى يمكننا تقسيم حياته على مرحلتين: حياة ذل في المرحلة الأولى أي الطفولة (لفقره) وانعدام أهله ونسـبه، ثم التحول للعز والفخر والجاه في مرحلة صداقته بالمعتمد ومدة بقائه معه ثم الذل مرة أخرى في السجن ليحيا ذليلاً ويموت ذليلاً. وقد قسـم البحث على مبحثيـن: الأول كان في (حب الذات) أو أشـعار الأنـا بما فيها من فخر وجاه وعـز وغرور بكل إمكانياتـه، اما الثاني فكان في تحولات ذلك العز والغرور (تحولات الأنـا) إلى الـذل والخضوع للمصيـر المحتوم تقدمهمـا تمهيد تضمن علاقة الأدب بعلم النفس لنتمكن من تحليل أشعاره، أعقب ذلك كله خاتمة تضمنـت أبرز نتائج البحث ثـم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات الدالة: الاتجاه النفسـي، شـعر، ابن عمار.

المقدمة:

لم يكن الإنسـان ليعيش علـى وتيرة واحدة في حياتـه، فلا بد من تقلبـات الزمان عليه من فرح إلى حـزن، أو بالعكس ولا أن يعيش حياة بـؤس كاملة،فهذا ما لا يتطابق مـع الحياة التي هي في دوامة التغيير، لذا جاء بحثنا (**التحولات النفسـية في شـعر محمد بن عمار**) معبراً به عـن الحالة النفسـية التـي مر بها هذا الشـاعر في أيـام حياته حتـى يمكننا تقسـيم حياته على مرحلتيـن: حيـاة ذل في المرحلـة الأولى؛ أي

(*) جامعة بغداد / كلية اللغات.

الطفولة (لفقره) وانعدام أهله ونسبه ثم التحول للعز والفخر والجاه في مرحلة صداقته بالمعتمد ومدة بقائه معه ثم الذل مرة أخرى في السجن ليحيا ذليلاً ويموت ذليلاً. وقد قسم البحث على مبحثين:الأول كان في (حب الذات)أو أشعار الأنا بما فيها من فخر وجاه وعز وغرور بكل إمكانياته، اما الثاني فكان في تحولات ذلك العز والغرور (تحولات الأنا) إلى الذل والخضوع للمصير المحتوم تقدمهما تمهيد تضمن علاقة الأدب بعلم النفس لتتمكن من تحليل أشعاره، أعقب ذلك كله خاتمة تضمنت أبرز نتائج البحث ثم قائمة المصادر والمراجع.

المفتاح:

النفس الإنسانية هي مصدر سعادة وشقاء الإنسان على حد سواء إن رضت وقنعت عاشت بسعادة وإن طغت وأفسدت حصدت ما جنت.

التمهيد

ولكي ندرس أشعار ابن عمار دراسة نفسية لابد من معرفة علاقة الأدب بعلم النفسأولاً.

إن الأدب هو مرآة تتجلىفيها مشاعر الأديب، وأنّ نص الشاعر هو صورة نفسية لابداعه، وفيها تؤكد كل الرغبات التي تأبى الاندثار، وتسمع المشاعر المخنوقة وتأخذ طريقها حيث غدت عقداً وهجسات وصوراً، ورموزاً لنص الأديب الذي يعطيها بعض التحرر، والمبدع إذ يعطينا بعض التحرر إنما يردعها بالكتابة تهذيباً وتنقيباً، وقد قال القدماء: "لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً"[١] فإن " ألف فقد استهدف"[٢] وفي هذا الإطار يمكن أن تتوثق الصلة بين الأدب وعلم النفس.

فالأدب هو حديث النفس وبوحها، وعلم النفس هو من يدرسها ويسبر أغوارها، لذا لجأ علم النفس في بداياته الأولى إلى الأدب فقد وجد فيه ملاذاً في الإبداع، أي قد وجد ضالته منه وكان له بمثابة المنهل المتدفق بخصائص النفس حتى ليتمكن تأكيد أن "الشعراء هم علماء النفس، والأوائل الذين اسلموا لمن جاء بعدهم من علماء العصور الحديثة اكتشاف أقانيم النفس الإنسانية المعتمة" [٣].

وقد أكد فرويد ان "الشعراء والفلاسفة هم الذين اكتشفوا اللاشعور من قبلي، اما أنا فقد أنشأت المنهج العلمي الكفيل بدراسته" [٤].

ولا يعني ذلك أن الأدب هو علم النفس، أو بالعكس بل أن يحرك الأدب خباب النفس وعتمتها، ولولا هذا لظل علم النفس يبحث في مسارب يخترق من خلالها الحجب.

فالأدب يمكن أن يكون "جمال معرفة " [لكن].. ليس بالضرورة عند الكاتب. إن المحلل النفسي هو الذي يحول إلى علم معرفة الشاعر السبقية " [٥]، لذا يمكننا القول ان هناك علاقة تكاملية تربط بينهما فـ " يرفد بعضهما بعضاً ويكمل أحدهما الآخر" [٦]. وأن علم النفس حين يغدو أداة من أدوات علم النقد إنما يرد للأدب أمانته، ولن يكون دخيلاً عليه[٧]، وقد قال أحد علماء النفس: " إن لعلم النفس ماضٍ طويل وتاريخ قصير" [٨].

ويعد أرسطو طاليس " المصدر الأول لعلم النفس والنقد النفسي للأدب " [٩]، من خلال نظرية التطهير وما تركته مؤلفاته الفلسفية.

وقد عـرف نقدنا القديم أيضـاً هذه النظرية فظهرت له أحكام نقدية ذات أبعاد سيكولوجية، فتفكير ابن قتيبة في بنـاء القصيدة العربية بدءاً بالمقدمـة الطلليـة حتـى تخلص الشـاعر إلى المدح تفسـير نفسـي، وما سـار عليه الشعراء في الجاهلية من الابتداء بالنسـب لإيلاف النفس الإنسـانية بامرأة من النساء والخوض في قصة غرام ما هو إلا ضرب من التفسير النفسي[١٠].

المبحث الأول: أشعاره في حب الذات (الأنا)

الأنـا: هـي "منظومـة نفسـية بالتقابل مع منظومات أخرى للشخص الخاص"[١١].

لـم يكـن ابن عمـار مـن أسـرة حاكمة أو مترفـة، بل ولـد في أسـرة فقيـرة ذات جذور معدومة لم تعرف، إلا أن الحظ لعب معه بإتقان عندما اصبـح صديق (المعتمد بـن عباد) فابن عمار بخصائص شـخصيته الساحرة، ومواهبه المتعددة استطاع أن يجذب المعتمد إليه ويبهره، لكنـه لم يكـن يوماً يشـعر بصدقهـا، فوضاعة أصلـه ظلت تكبل ثقته بنفسـه وبالناس، لذا كان عاجزاً عن بناء علاقات حقيقية والحفاظ عليها، فانكـب على أناه يلبي رغباتهـا ونزواتها خوفاً من انقلاب الزمن عليه.

أمـا المعتمـد فقد وجد نفسـه أمـام صديق شـاعر "شاعر لا يجارى، وساحرٍ لا يبارى إذا مـدح اسـتنزل العصم، وإن هجا أسـمع الصم، وإن تغزل ولاسـيما في المعذريـن من الغلمان أسـمع سـحراً لا يعرفه البيان" [١٢]، وإن أسـند إليه إدارة عمل ما "اضطلع به وكان له كالسكة الممحاة"[١٣] فتمسـك به المعتمد ولم "يسـتغني عنه سـاعة من ليل ولا نهـار" [١٤] فكان بمثابة "الجماعة السـيكولوجية" [١٥]، كل ذلك دفع ابن عمـار للفخر بنفسـه، وحب ذاتـه، فتغير حاله مـن الفقر والضعة إلى المجد والعز "ولكل فرد نـزوع طبيعي لتقدير ذاته تقديـراً عالية، أو أن يتقمص منه قيمته على نمط مازوخي" [١٦].

فطغى حب الـذات عليه حتى وصل إلى ما يعرف بالنرجسية[١٧]، وهذا المصطلح استعمله هافيلـوك ايليس في سـياق الطب النفسـي عام ١٨٩٨، وكان سـادجر قـد أدخلـه عام ١٩٠٨ بوصفه مفهوماً في التحليل النفسي[١٨].

ويعـرف فرويد النرجسـية بعد أن أرسـى قواعـد نظرية نرجسـية لـ القـوم العظام، توهم المرض ليسير به للأنانية (غريز، الأنا)، يقول ابن عمار[١٩]:

كيف التفلت بالخديعة من يدي
رجل الحقيقة من بن عمار
رجل تطعمه الزمان فجاءه
طرفين في الأحلاء والأمرار
سلسل القيادة إلى الجميل فإن يهج
فدع العنان لهبة التيار
طبن بأغراض الأمور مجرب
فطن لأسرار المكائد دار
ماض إذا يرون إليه مصمم
هون إذ التفت عليه مدار
كشاف مظلمة وسائس أمه
نفاع اهل زمانه الضرار
عجباً لأشمط راضع ثدي الوغى
منه وطوراً في القنا الخطار
شراب أكواس الدم الموار

فقد رسـم صورة للسياسـي البـارع متوجاً إياها بالصفات التي يجب أن تتمثل فيه من قوة، وحكمـة، ودهـاء، وذكاء، وثبـات على الأمر،

وقد نجح في البيت الأخير فقد كانت هذه الصفة « مصدر فخر واعتزاز في الارستقراطية الأندلسية بل أنها صفة من صفات الرجل المثالي لهذه الطبقة وهو المسرف في اللهو في ساعات الأنس، والمسرف في الشجاعة عندما يتطلب ذلك» [٢٠] فإن القوة " الكلية السحرية والبحث عن الاستقلال واعتبار الذات على صورة إيجابية أو سلبية هي خصائص الفرد النرجسي..." [٢١].

وقوله[٢٢]:

إني ابن عمار لا أخفي على أحد
إلا على جاهل بالشمس والقمر
وبين طبعي وذهني كل سابغة
كالسهم يبعد بين القوس والوتر
وإن كان أخرني دهري فلا حرج
فوائد الكتب.. في الطرر

يستمر في الفخر وحب الذات مبتدأً (بالأنا) أيضاً راسماً لنفسه صورة في غاية الغرور (لا أخفي على أحد) أو بالأحرى (على جاهل بالشمس والقمر) فبأي مصاف قد أعلى نفسه، وأي قدر قد رسمه لنفسه وتبقى اناه أعلى من كل شيء فيقول مخاطباً المعتمد ولي نعمته بعد أن ساءت العلاقة بينهما [٢٣]:

أعد نظراً لأنوهن الرأي أنه
قديماً كبا هاف وأدرك رائث
ستذكرني أن بان حيلي وأصبحت
تئن بكفيك الحبال الرثائث
وتطلبني إن غاب للرأي حاضر
وقد غاب من للخواطر باعث
أعوذ بعهد نطته بك أن ترى
تحل كل عراء العاقدات النوافث

فيبدأ خطابه بفعل الأمر (أعد) النظر لافتاً إياه إلى ما قدمه له من خدمات لا ينبغي له نسيانها أو أنه سيتذكرها آجلاً أو عاجلاً بعد أن يخذله الزمان (تئن بكفيك) ولا رأياً سديداً ينقذه غيره فنلحظ اعتزازه بنفسه حتى على وليه من خلال كلمات القوة من (ستذكرني، تطلبني، أعد النظر)

ومع ذلك نرى صفات الاخلاص والود والوفاء بالعهد لا تزال جزءاً لا يتجزأ من نفسه العظيمة يقول[٢٤]:

أظن الذي بيني وبينك أذهبت
حلاوته على الرجال الخبائث
تنكرت لا أني لفضلك ناكر
لدي ولا أني لعهدك ناكث

فحتى وإن تنكر له إلا أن لا ينكر فضله عليه ولا ينكث العهد معه ويطلب منه عدم السماح لأي شخص يحاول المساس بعلاقتهما فقد أسلف له وداً وخدمة لا يمكن أن يمحهما الدهر ولا يتغيران يقول [٢٥]:

وإن رجائي إن عندك غير ما
يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة
بكر ان في ليلة الخطايا فيصبح
وفي حبة لذاته واناه يقول [٢٦]:
ولي حسنات ولو أمت بعضها
إلى الدهر لم يرتع بنائبة سربي

إن النرجسية هي في وقت واحد ذكرى ابتهاج ذات امتياز وفريدة غبطة ترتبط بهذه الذكرى بوصفه كمالية وقوة كلية، فخر بأن المرء عاشها يرتبط مع ذلك بوهم الوحدانية التي كانت واقعية من خلال الحياة الجنينية، وذلك موقف من مواقف جنون العظمة يرتبط

بــه مفهــوم القيمة المكافئ النفســي للحساســية العامة المقابلة.

وعلاقة بالموضوع معنية، ســلبية وإيجابية معــاً، وعزلــة رائعة وبحث جــار عن علاقات الانصهار.

والرغبــة في ايجــاد الفــردوس المفقود من جديــد ونبذ هذه الرغبة التي ترغبها الأنا العليا، والاندمــاج الناجــم لهــذا العامل النرجســي في الحياة الواقعية خلال حركة[٢٧].

المبحث الثاني: تغيرات الأنا العليا

"لا يعلم الإنسان في أي مرتبة يضع نفسه أنه ضائع بصورة مرئية وقد سقط من مكانه الحقيقي دون أن يكون بوسعه أن يجده مجدداً ويبحث عنه فــي كل مكان بحثاً يرافقه اشــتغال البــال، ودون نجاح في ظلمات يتعذر النقاد إليها" (باسكال)[٢٨]

تمــر النفس الإنســانية بكثير مــن التحولات الداخليــة مــع مرور الزمــن فينقلــب الحال من الفرح والســرور إلى الهم والحــزن، ومن القوة والعز والشرف إلى الذلة والوضاعة والانتكاسة، وهذا ما مر به شاعرنا ابن عمار تحول من العز والفخر الذي كان فيه إلى الذلة والخضوع بعد أن تغيرت عليه الدنيا بســبب غروره بنفسه وبدأت تلــك التحولات عندما أرســل (المعتمد بن عباد) وزيــره وصديقه إلى (مرســية) وقــد تمكن ابن عمار من الاســتيلاء عليها في حالــة من الفخر والإعجاب بنفســه. فبدأت الشــكوك تتلاعب في نفسية المعتمد حتى خشى أن يكون صديقه القديم قد يدبــر أمراً عليــه[٢٩]، بعدما أخذت الشــكوك تقوى شيئاً فشــيئاً عند المعتمد حتى أنه صارحه في توديعه إلى مرســية بقوله في توديعه " ســر إلى خيرة الله ولا تظن أني مخدوع " [٣٠] فأجابه ابن عمار جواباً نابعاً من أناه التي ملأها الغرور والفخر " لســت بمخدوع ولكنك مضطر" [٣١]، وهــذا يؤكــد ان التغيــر والانقــلاب كان متوقعاً عندما عقد ابن عمار اتفاق مع الأمير المســيحي لضرب ابن طاهر الذي كان يحكم مرسية آنذاك، وقد بذل ابن عمار جهده لإقناع الكونت رايموند بمســاعدته ووعده بمبلغ عشــرة آلاف مثقال من الذهــب ثمناً لمؤازرته وتأييده، ولكي يضمن كل منهما تنفيذ العقد، فقد وضع ابن عمار الرشيد بن المعتمــد رهينة لدى رايمونــد، وقبل هذا الأخير إعطــاء ابــن أخيه رهينة لدى ملك إشــبيلية، كل ذلــك دون علم المعتمد، فكانت هذه الحملة ســبباً في إســاءة العلاقات، ومع تعكير الجو بين الملك ووزيره، فضلاً عن الأوضــاع المتردية لأمور الجيش الإشــبيلي من جهة، واســتفحال الخلاف بين المسيحيين والإشبيليين من جهة أخرى فكان أن ألقي الرشــيد بن المعتمد في الســجن وقبض على الوزير الإشبيلي وشتت شمل قوته وطالب ريمونــد فضلاً عن ذلك بثلاثيــن ألف دينار لقاء مجيئه وإطلاق ســراح أســيريه، وما أن ســمع المعتمــد بذلك حتى أمر بإلقــاء ابن اخي الكونت ريموند في السجن مكبلاً بالحديد.

أما ابــن عمار فقد خــرج خائفاً من غضب المعتمد، ولم يجد في هذا الموقف الحرج ســوى الشــعر ليخــرج به من محنته هذه بعد أن فشــل مشروعه فيقول:

أأركب قصدي أم أعوج مع الركب ؟
فقد صرت من أمري على مركب صعب
وأصبحت لا أدري أفي البعد راحتي
فأجعله حظي أم الخير في القرب
على أنني أدري أنك مؤثر
على كل حال ما يزحزح من كربي

فمع تردده وخوفه، إلا أنه على يقين أن ينال عفو الملك ورضاه بل أنه لا يتصور أن المعتمد يمكـن أن يقف منه غير ذلـك الموقف؛ لأنه قد فشل بسبب ظروف كانت أشد من رأيه وتدبيره فيقول:

وما جئت شيئاً فيه بغي لطالب
يضاف به رأى إلى الضعف والعجب
سوى أنني أسلمتني لملمة
فللت به حدى وكسرت من غربي

.....

سأستمنح الرحمن لديك ضراعة
وأسأل سقياً من تجاورك العذب
وإن نفحتني من سمائك حرجف
سأهتف بأبرد النسيم على قلبي

فقـد عبرت هذه الأبيات عن شـعور عميق مـن الألم والخـوف والخيبة والحـذر طالباً بها اسـترضاء الملك وكسـب وده، وقـد كان لهذه الأبيـات فعـلاً أثـراً في نفـس المعتمـد فأجابه قائلاً(٣٢).

لدي لك العتبى تراح عن العتب
وسعيك عندي لا يضاف إلى ذنب
وأعزز علينا أن تصيبك وحشة
وأنسك ما تدريه فيك من الحب
فدع عنك سوء الظن بي وتعده
إلى غيره فهو الممكن في القلب
أصدق ظني أم أصخ إلى صحبي
وأقضي عزيمي أم أعوج مع الركب

فرد عليه المعتمد(٣٣):

تقدم إلى ما اعتمدت عندي من الرحب
ورد تلقاك العين حجاباً عن العتب
من تلقني تلق الذي قد بلوته
صفوحاً عن الجاني رؤوفاً على الصحب
سأوليك مني ما عهدت من الرضى
واصفح عما كان أن كان من ذنب

وكان فـي جواب المعتمد هذا ما يطمئن ابن عمار يبين في نفسه رضا المعتمد عنه. فعاد إلى مرسـيه في حملة ثانية يؤازره ابن رشيق الذي كان يحكـم حصـن بلج وضرب حصـار على مرسيه بقيادة ابن رشيق حتى سقطت بيده وأسر أميرها ابن طاهر.

وقد دخل ابن عمار مرسـيه بموكب مهيب ناثراً العطايا والهبات سـالكاً مسلك الملوك في توقيعاتـه، فجلـس في اليـوم الثانـي في قصر الإمـارة يسـتقبل المهنئين، وقد ارتدى قلنسـوة طويلة اعتـاد المعتمد أن يختص بلبسـها وكان يكتفـي أن يكتب فـي ذيل ما يقدم إليـه.. « ينفذ هذا إن شاء الله « دون أن يذكر المعتمد سيده أو يشير إليه، فكان ذلك بداية العصيان والتمرد من ابن عمار، وقطع كل علاقة تربطه بالمعتمد بن عباد وأراد أن يشيد لنفسه سلطاناً مستقلاً يناسب ما يعتقد أنه يمتلك من عزم، وحزم، ودهاء، فمع العفو الذي لقـاه من المعتمد بعد عصيانه الأول إلا أن نفسه المتطلعة إلى العز والملك سولت له العصيـان مرة أخرى ليبقـى حلمه بالملك يلوح بخياله ولا سـكون له حتـى تحقيقه، لكن ذلك لم يدم طويلاً فقد تحول كل ذلك إلى الذل والانكسار عندمـا أصبح ابن عمار سـجين صديقه وحبيبه فلا تشفع له بعد الصداقة والود فتحولت ذاته من الفخـر والغرور إلى الذل والنكوصبعد أن تمرد عليـه ابن رشـيق وأخذ مكانه ففر من مرسـيه ولجأ إلى سرقسـطة قاصداً حاكمها المؤتمن بن هـود الذي كاد أن يكون الوحيد من بين الأمراء الأندلسيين المسلمين الذي لا تزال علاقاته طيبة بابن عمار، ولم ييـأس ابن عمار في لعب دور

سياسي جديد هناك ليعيد لنفسه هيبته وقد سنحت لـه الفرصة وحقق انتصـارات فنظر من جديد إلى قلعة شـقورة ووافقه الملـك على ذلك حتى كانـت بذلك نهايته بعـد أن يئس الجند من إنقاذه فوقع أسـير في سـجن شـقورة وبدأ بتوسـلات وتشفعات عسى أن تنفعه.

وقد حاولوا بنو سهل بعد أن ألقوا ابن عمار في الأغـلال والقيـود أن ينتفعوا منـه، وكانوا يعلمـون حق العلم أن كثيـراً من ملوك الأندلس يدفعون ثمنـاً غالياً للحصول عليه والانتقام منه فعرضـوه للبيع وقـرروا تسـليمهلمنيدفع الثمن الأكبـر فقـال راسـماً صورة مأسـاوية لنفسـه العزيزة، وكأنه عبد يقول[٣٤]:

أصبحت في السوق ينادي علي
رأسي بأنواع من المـال
فهل فتى يبتاعني .. ماجـــــد
أخدمه مدة إمهالـــــي
تالله جار على نقـــــــــده
من ضمني بالثمن الغالي
أربح بها مولاي من صفقـــةٍ
في سلعة من ترك الغـال

فيبدأ في البيت الثاني دعوته باستفهام وتوسل لخلاصـه مما هو فيه وكذا لفظـة (أخدمه) التي تحمل في طياتها معاني عدة فإلي أي حال وصل وهو العزيز القوي ليؤكد في البيت الأخير أن هذه الصفقة أي فداءه لا خسارة فيها أبداً.

راسماً صورة مأساوية لنفسه العزيزة وكأنه عبد، ولم يكن بين أمراء الأندلس من يرغب في منافسـة المعتمد بن عباد في هذا المضمار، وقد عرف ابن عمار أن المعتمد سيطلبه وأنه سوف لـن يكون رحيماً به فاسـتبق الحوادث وكتب له يستجيره.

ويطلب منه إطلاق سراحه، وما كاد المعتمد يعلم بوجود ابن عمار في شـقورة حتى أرسـل أبيه الراضي إلى بني سهيل، فقاده إليه في حال مزرية مكبلاً بالاغلال بل واشترى القلعة نفسها منهم، وتوسل ابن عمار بالراضي قائلاً[٣٥]:

قالوا آتى الراضي فقلت لعلها
خلعت عليه من صفات أبيه
فأل جرى فعسى المؤيد واهباً
لي من رضاه ومن أمان أخيه
قالوا نعم فوضعت خدي في الثرى
شكراً له وتيمناً ببنيه

عسـى أن ينفعـه ذلك الطريـق ويحصل به على العفـو فيتوسـل بالراضي بالعفـو له عند والـده، وأن حصل فسـيضع خـده في الأرض معبراً به عن شكره بعرفانهما له.

لكن ذلك لم ينفعه وأصبح سجيناً لدى صديقه القديم المعتمد بعد أن ذله فزادت توسلاته فعزف على وتر الصداقة علها تكون الشفيع فيقول[٣٦]:

إلى الله أشكو أن مالك في دمي
شريك ومالي في هواك نصيب

ليسـتعطفه تارة أخرى بالحـب الذي بينهما شاهداً الله تعالى على ما في نفسه فيشكو له حب صديقه الذي جعله يسـري في دمه ولم يجعل له شريك ومع ذلك فلم يكن له نصيب في هواه.

وبدأ بتوسـلات وتشـفعات عسـى أن تنفعه يقول[٣٧]:

وأني لأدعو لو دعوت لسامع
وأني لأشكو لو شكوت لراحم
أريد حياة البين والبين قاتلي
وأرجو انتصار الدهر والدهر ظالمي

يا لها من انكسارات وذلة فـ (اني) كانت عنده مصدر فخر، وقوة، وعز وأصبحت الآن مصدر إذلال، وترجٍ فيها يدعو ويتشفع ويشكو (انـي لأدعو) و(اني لأشكو)، فتحولات الذات عنده واضحة من خلال تكرار كلمات العجز (أدعو، أشكو، راحم، البين قاتلي، أرجو، ظالم) بل وتكرار هذه الألفاظ ومن المعلوم أن الشاعر بالتكرار يبغي إيصال قضية ما إلى سامعيه والتأكيد عليها فتكرار ادعو مع استعمال الحرف (لو) وما يدل عليه معناه، من امتناع لامتناع فلم يدع لعدم وجود سامع له، وسيشكو لو كان من يسمع شكواه وكذا تكرار (البين) و(الدهر) وقوله متوسلاً بالمعتمد[٣٨]:

أخافك للحق الذي لك في دمي
وارجوك للحب الذي لك في قلبي
وقدكم فرت يمناك بي من ضريبة
ولابد يوماً أن يقلل من غر بي
واعلم أن العفو منك سجية
فلم يبق إلا أن تخفف من عتبي
ولي حسنات لو امت ببعضها
إلى الدهر لم يرتع بنائبه سربي
ولابد ما بيني وبينك من...
يطيقها ما بين شرق إلى غرب

فيبدأ في البيتين الأولين بتناقض مشفوع بتوسل هدفه ترقيق قلب صديقه العزيز (أخافك، أرجوك) مجانساً بين (للحق، للحب) مكرراً (الذي) ومجانساً بين (دمي، قلبي) لتوقد توسلاته بنغمة موسيقية حزينة تعبر عن أسى قلبه ليحننه أكثر من ذلك بقوله وبالتأكيد على الشفاعة بقوله (اعلم أن العفو منك سجية) لأنه أعلم بنفسية صديقه وما يجول بخلده فبعد هذه التوسلات ينتظر منه التخفيف (أن تخفف من عتبي) ثم في محاولة أخرى ينتفض من هذه الذلة ليعود الى الفخر (ولي حسنات لو امت ببعضها) (الى الدهر لم يرتع بنائية سربي) فما قدمه أعظم وأكبر من العفو عنه، وهذه هي النفس القوية وإن ذلت إلا أنها ترفض ذلك الذل فأناه الأعلى أكبر من ذلك.

وكتب إلى المعتمد أيضاً يستعطفه[٣٩]:

نفسي نفسي تحن إلى فداء
تفديك نفسي من شـــراء
فاسبق بنقدك وعدهـــــم
مسترخصاً لي بالغـــلاء
ثم أمضي في على اختيـــا
رك من فناء أو بقـــــاء
والله مـــــــا أدري إذا
قالوا غدا يوم اللقـــــاء
مـا أقتل الحالين لـــــي
إن كـــان خوفي أو حيائي

فيحاول ترقيق قلبه بكلمات تنوء عن أسى نفسه الحزينة مبتدأً بها (نفسي) تحن الى فداء من ذلك الذل ونفس النفس ستفدي ذلك المعروف وبعدها له الأمر بما يصنع به وهو باقٍ على أمل انتظار ذلك اليوم الذي يسمع به خبر من صديقه.

ثم يأخذ لنفسه طريقاً آخر من التوسلات عله ينفعه فيغير قبلة توسلاته إلى أبناء المعتمد، فكتب كذا إلى الرشيد بن المعتمد يطلب منه عفو ابيه قائلاً[٤٠]:

كنت أشدو عليك يا دوحة المجـ
د ويا روضة الندى والجود
إذ جناحي ند طلق
ولساني رطب على التغريد

وانا اليوم تحت ظل العقاب
لقوة محوة الجناح صيود
.....
غير أني سأصطفي لك جهدي
من ثناء طيب وذكر حميد
.....
وإلى اين في الشفيع إذا ما
لم ألذ منك عنده بالرشيد
.....
مشفق يستجيب لي من قريب
وأنا أستغيثه من بعيد
لو أطلت علي رحمة عينيـ
ـه انجلت شدتي وذاب حديدي

وطلب شفاعة المأمون ٣١٣ – ٣١٤[٤١]

هل سألت شفاعة المأمون
أو قلت ما في نفسه يكفيني
أمري إلى مولى إليه أمره
وكفاه من فوق كفاه ودون
حيث استوى الخصمان حقاً والتقى
عز الغنى بذلة المسكين

فلعلـه في هذه المرة يحظـى بعفو المعتمد بشـفاعة أولاده وينظـر عليـه بعيـن الرحمة ليـزول كل عذابه ؛ ولكن كل تلك التوسـلات والتشـفعات والآهـات لم تنفع ابـن عمار ولم تكـن لـه بمثابة الخـلاص من ذل السـجن بل كانـت نهايتهـا خلاصـاً له مـن الدنيـا بذلها وأسـرها فقـد انتهت حياته فـي لحظة ضعف وسـكر من المعتمد اسـتغلتها زوجته وحبيبته فأوصت الجارية أن تذكر الأشـعار التي قالها في هتك سـتره وهجاء زوجته لتشـعل غضبه فقالـت له: « قد شـاع أنك تعفـو عنه، وكيف يكـون ذلـك بعدما نازعـك ملـكك، ونال من عرض حرمك ؟ وهذا لا تحتمله الملوك» [٤٢]

فانتهت حياة ابن عمار بفضل غروره وطمعه وإن كان للمعتمـد ميـل للعفو عنـه في قضية مريبـة إلا أنه لـم يكن بإمكانـه العفو عنه في قضية الشـرف والعرض التـي لمح عنها ابن عمار وصرح بعرض تلك العلاقة الشـذوذية التـي كانـت تجمعهما من قبل بـل وقد حاول ابتزاز المعتمد بذلك يقول[٤٣]:

أتذكر أيامنا بالصبـــــــا
وأنت إذا لحت كنت الهلال
أعانق منك القضيب الرطيب
وأرشف من فيك ماءً زلالا
وأقنع منك بدون الحـــرام
فتقسم جهدك إن لا حـلال
سأكشف عرضك شيئاً فشيئاً
وأهتك سترك حالاً فحـالا

وهـي قصيـدة يهجو بهـا المعتمـد وزوجته وأولاده تـاركاً وراءه كل صداقـة وجميـل من المعتمد عليه يقول[٤٤]:

ألا حي بالغرب حباً حلالاً
أنا خوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين أم القرى
ونم فعسى أن تراها خيالا
لتسأل عن ساكنيها الرما
د ولم تر للنار فيها اشتعالا

فهو يشير إلى بخلهم وعدم كرمهم للضيف، لأن اشتعال النار، وكثرة الرماد ما هي إلا دلالة علـى الكرم، ليهجوه بأكثـر من ذلك، فيتعرض لشرفه وشرف أسرته قائلاً:

أيا فارس الخيل يا زيدها
حميت الحمى وأبحت العيالا

أراك توري بحب النسا

وقدما عهدتك تهوي الرجالا

فقد كان فارساً مغواراً في الحرب، لكنه أباح عرضه والبيت الأخير يدل على ما ذهبنا إليه بعلاقته مع المعتمد ثم يتعرض لزوجته ويهجوها قائلاً:

تخيرتها من بنات الهجا

ن رميكية ما تساوي عقالا

فجاءت بكل قصير الغدا

ر لئيم النجارين عماً وخالا

يصفر الوجوه كأن استها

رماهم فجاءوا حيارى كسالا

قصار القدود ولكنهم

أقاموا عليها قروناً طوالا

إلى آخر الأبيات التي يتعرض بها للمعتمد والتي سبقت الإشارة إليها من قبل. ثم يتطرق بعد ذلك لأولاده ويصفهم باللئم وصفر الوجوه وأشنع وصف وصفهم بقوله:

قصار القدود ولكنهم

أقاموا عليها قروناً طوالا

وهكذا لاحظنا خسارة النرجسية عند ابن عمار، أو ما يسمى بـ (الجرح النرجسي) الذي تفرضه الأنا بواسطة مثال الأنا النرجسي الخائب. وكذا (الأذل النرجسي) في خجل الأنا من عجزها عن أن تسود سيادة فاعلة ما تلقته تلقيناً منفعلاً[٤٥]، فقد حاول ابن عمار البقاء في هذه الحياة مهما كانت حتى وإن تغيرتحالته فقد وصل إلى " النرجسية المعنوية " والتي هي " إحالة غريزة المحافظة على البقاء إلى جانب نفسي متردي على وجه الدقة من الفرد بوصفه فرداً" [٤٦]

لكن ذلك كله انتهى بنهايته.

الخاتمة

بعد هذا المطاف في دراسة ابن عمار توصل البحث إلى نتائج عدة منها:

١. النرجسية حالة مرضية تصيب الإنسان مفادها غرور وفخر بالنفس وهي لصيقة بالإنسان منذ بدايات حياته الأولى (أي مرحلة الطفولة).

٢. وجد ابن عمار نفسه في مدة زمنية من عمره بأحضان العز بعد أن كان فقيراً مندثراً فتحركت أناه العليا وما بداخله من حب وطموح للمجد فحاول الالتحاق بصفوف الملوك والأمراء وقد كان له ذلك فقد عمل وزيراً عند المعتمد.

٣. كان طموحه أعلى من ذلك في حصوله على الملك وهذا ما جعل نهايته مأساوية.

٤. لم يعرف ابن عمار الحب الحقيقي لحياته الفقيرة فحاول التسلط والتجبر إرضاءً لرغباته ولكي يعيش حياة السلطة.

٥. قدرات ابن عمار وكفاءته في أغلب المجالات جعلت منه إنساناً متسلطاً مغرور بقدراته.

٦. نرى في أشعاره حب الذات وتغنيه بأمجاده وبأناه العليا التي لا يعلوها شيء حتى مكانة صديقه الملك.

٧. وفي أشعاره الأخرى نرى تحول نفسه من العز إلى الذل عندما صدم بأعماله وما صيره إليه غروره وغضب المعتمد عليه.

٨. نرى الإيقـاع صاخباً في المبحث الأول (الأنـا) ثم بدا ذلك الإيقاع يقل شـيئاً فشـيئاً في المبحث الثاني.

٩. لقـد كان ابن عمار بارعاً في التصوير، فنـرى جمال الصورة واضحاً عنده سـواء في الأنـا أو فـي تحول الـذات فلن تقـل الصورة إبداعاً.

١٠. انتهـت حياة ابن عمار نهاية مأسـاوية عندمـا انهـال المعتمد عليه ضربـاً بفأس على رأسه وهو في سـجنه بعد لحظة سكر وضعف اسـتغلتها زوجته الرميكية لتثأر لنفسها منه بعد ان هجاها.

١١. نرى أشعاره في تحولات الذات (الأنا) إلى الخضوع والذل بعد العز أكثر من أشـعاره في الفخر فتوسلاته وأنينه واضح جداً وهذا نابع من نفسه الذليلة الفقيرة التي وإن عاش في العز لمـدة ما إلا أنها عـادت إلى أول عهدها في تلك الأشعار.

الهوامش

(١)معجـم الأدبـاء، ياقـوت الحمـوي، تحقيق: إحسـان عباس، بيروت، دار العرب، ١٩٩٣،ج١:ص١١.

(٢)الكتابـة ضـد الكتابـة، عبـدالله محمد القدامـي، دار الأدب، بيروت، ط١، ١٩٩١: ص٧.

(٣) في النقد الأدبي والتحليل النفسـي، د. خريستو نجم، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١: ص٢٧.

(٤) النقـد والأدب، جـان ستاروبنسـكي، ترجمة د. بدر القاسم، منشـورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦: ص٢٥٠.

(٥) النقـد الأدبي والعلوم الإنسـانية، جان لوي كابانس، ترجمة فهد عكام، دار الفكر، ط١، ١٩٨٢: ٣٠.

(٦)التحليل النفسي للأدب والثقافة النفسية، د. خريستو نجم، المجلد الأول، العدد ٤تشرين الأول، ١٩٩٠: ٨١.

(٧) ينظـر: مندور، النقد والأدب، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر،٢٠١٣: ص٢٣٤.

(٨) مقدمـة لعلم النفس الأدبي، د. خيرالله عصار، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٢: ١١.

(٩) النقـد الأدبـي ومدارسـه الحديثة، سـتايلي هايمن، ترجمـة د. احسـان عبـاس، د. يوسـف بحـر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١، ج١: ص٢٥٩.

(١٠) في نظرية النقد، د. عبد الملك مرتاض، دار هومة، ٢٠٠٢: ص١٤٨.

(١١) تعليقـات على نظريات علـم النفس التحليلي للأنا، في دراسـة علم النفس التحليلي للأطفال، هارتيمان، ج٥: ١٢٥.

(١٢) الذخيـرة في محاسـن أهـل الجزيرة، ابن بسـام، تحقيق د. احسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ق٢، مج١، ١٩٨١: ص٣٦٩.

(١٣) المعجـب في تلخيص أخبـار المغرب، عبدالواحد المراكشـي، تحقيـق محمد سـعيد العريـان ومحمد العربـي، العلمي، دار الكتب، الـدار البيضاء، ط٧، ١٩٧٨: ١٧٦.

(١٤) م. ن: ١٧٤.

(١٥) الابداع والشخصية، عبدالحليم محمود السعيد، دار المعارف، مصر، ١٩٧١: ٧٤.

(١٦) النرجسـية، دراسـة نفسـية، د. بيلاغرانبرغـر، ترجمـة وجيـه أسـعد، منشـورات وزارة الثقافـة السورية، دمشق، سورية، ٢٠٠٠: ص٢٤.

(١٧) ينظر: النرجسية، دراسة نفسية: ٩.

(١٨) ينظر: م. ن: ١٠.

(١٩) محمد بن عمار الأندلسـي، دراسة أدبية تاريخية، د. صـلاح خالص، مطبعة الهـدى، بغداد، ١٩٥٧: ص١٣٤.

(٢٠) ابن عمار: ١٣٦.

(٢١)النرجسية: ٢٤.

(٢٢) ابن عمار: ٢٤٥.

(٢٣) م. ن: ١٣١.

(٢٤) م. ن: ١٢٨.

(٢٥) م. ن: ١٢٥.

(٢٦) م. ن: ١٢٤.

(٢٧) ينظر: النرجسية: ٢٩.

(٢٨) م. ن: ٤٥.

(٢٩) تاريخ الفكر الأندلسـي، انخـل جناجنتالث بالنثيا، ترجمـة د. حسـين مؤنـس، مكتبـة الثقافـة الدينية،

القاهرة (د. ط) (٢٠٠٨).

(٣٠) الحلة السيراء، ابن الآبار، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣: ص٩٢.

(٣١) م. ن: ج٢: ١٤٠.

(٣٢) محمد بن عمار: ١١٥.

(٣٣) م. ن: ١١٨.

(٣٤) م. ن: ٣٠٥.

(٣٥) م. ن: ٣٠٨.

(٣٦) محمد بن عمار: ٢٠٥.

(٣٧) ابن عمار: ٥٩.

(٣٨) م. ن: ٢١٧.

(٣٩) م. ن: ٣٠٦.

(٤٠) م. ن: ٣١٠-٣١٢.

(٤١) م. ن: ٢٧٩-٢٨٠.

(٤٢) المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الغرناطي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج١: ٣١٠.

(٤٣) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرى التلمساني، تحقيقيوسفالشيخمحمدالبقاعي،دارالفكرللطباعةوالنشروالتوزيع،بيروت،ط١، ١٩٩٨، ج٤: ١٤٠.

(٤٤) محمد بن عمار: ٢٩١-٢٩٢.

(٤٥) ينظر: النرجسية: ٣٠.

(٤٦) م. ن: ١٢٥.

المصادر

١. الابداع والشخصية، عبدالحليم محمود السعيد، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.

٢. تاريخ الفكر الأندلسي، انخل جناجنتالث بالنثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ط)، ٢٠٠٨.

٣. التحليل النفسي للأدب والثقافة النفسية، د. خريستو نجم، المجلد الأول، العدد ٤ تشرين الأول، ١٩٩٠.

٤. تعليقات على نظريات علم النفس التحليلي للأنا، في دراسة علم النفس التحليلي للأطفال، هارتيمان، ج٥.

٥. الحلة السيراء، ابن الآبار، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٣.

٦. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام، تحقيق د. احسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ق٢، مج١، ١٩٨١.

٧. في النقد الأدبي والتحليل النفسي، د. خريستو نجم، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٨. في نظرية النقد، د. عبدالملك مرتاض، دار هومة، ٢٠٠٢.

٩. الكتابة ضد الكتابة، عبدالله محمد القدامي، دار الأدب، بيروت، ط١، ١٩٩١.

١٠. محمد بن عمار الأندلسي، دراسة أدبية تاريخية، د. صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد، ١٩٥٧.

١١. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبدالواحد المراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي، العلمي، دار الكتب، الدار البيضاء، ط٧، ١٩٧٨.

١٢. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار العرب، ١٩٩٣، ج١.

١٣. المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الغرناطي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج١.

١٤. مقدمة لعلم النفس الأدبي، د. خيرالله عصار، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٢.

١٥. النرجسية، دراسة نفسية، د. بيلاغرانبرغر، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سورية، ٢٠٠٠.

١٦. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرى التلمساني، تحقيقيوسفالشيخ حمدالبقاعي،دارالفكرللطباعةوالنشروالتوزيع، بيروت،ط١، ١٩٩٨، ج٤.

١٧. النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، جان لوي كابانس، ترجمة فهد عكام، دار الفكر، ط١، ١٩٨٢.

١٨. النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستايلي هايمن، ترجمة د. احسان عباس، د. يوسف بحر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١، ج١.

١٩. النقد والأدب، جان ستاروبنسكي، ترجمة د. بدر القاسم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦.

٢٠. النقد والأدب، مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ٢٠١٣.

The Psychological Transformations in the Poetry of Ibn Ammar

By: Lect. Dr. Afrah Ali Othman

Man would not live in one pattern in his life. There must be transformations from joy to sadness and vice versa. Because life is change from one time to another. Therefore, this research is entitled (**The Psychological Transformations in the Poetry of Ibn Ammar)** to express the psychological state in which he goes through. The life of this man is divided into modesty he lived inhis childhood to affluence in the latter part of his friendship with Al-Mu'tamid. The research is divided into two inquiries: the first is about egoism or the poems of the ego such as pride. The second is about the transformation of ego. Then the research ends in a conclusion. The most important finding is that narcissism expresses a pathological state that inflicts man focuses around pride and self-love. The state of Ibn Ammar changes from to another state in which he was proud and haughty. He was aspiring to assume the throne in one of al-Andlus, which his ability and confidence allowed him to believe that. We see self-love in many of his poems. In other poems there is a transfromaiton of the humility and subjecting. The life of Ibn Ammar ended tragically at the hands of his friends the King Al-Mu'tamid.

عرض كتاب

الطَّبقات والتَّراصف الطَّبقي

تأليف: روزماري كرومبتون
عرض: د. حيدر قاسم مَطَر التميمي(*)

تبدو مقولة المساواة مِن أكثر المقولات تداولاً في الخِطاب السياسي وفي التنظير المعرفي، حتَّى أنَّ النظريات الإقتصادية والسياسية (مثل الليبرالية والرأسمالية) التي طالما اتُّهمت بتناقضها مع المُساواة حاولت هي الأخرى دمج هذهِ المقولة في خطاباتها، وهو ما يغيِّر الكثير من القناعات وخصوصاً في تمثُّلات العديد من القضايا والمفاهيم ومنها مفهوم الطبقة، غير أنَّه وعلى مستوىً واقعي ظلَّ "التفاوت الطَّبقي" حاضراً.

(*) بيت الحكمة / قسم الدراسات التاريخية.

هـذا التناقـض تُقاربـه عالِمـة الاجتمـاع البريطانية روزمـاري كرومبتون[1] (١٩٤٢– ٢٠١١م) فـي كتابهـا "الطَّبقـات والتَّراصـف الطَّبقي"[2] في محاولةٍ منها لفهم أسباب استمرار اللامسـاواة من خـلال تتبع الدراسـات حولها منـذ قرنين. عن سلسـلةِ "تُرجمـان"[3] ضمن منشـورات المركز العربي للأبحاث ودراسـة السياسـات في بيروت، صَـدَر الكتاب بالعربية مؤخـراً؛ سـنة ٢٠١٦م؛ بترجمـة اللبنانييـن محمود عثمان حداد[4] وغسَّان رملاوي[5].

تـرى المؤلِّفـة أنَّ فهم التفـاوت الاجتماعي واستمراريتهِ يسـتلزمان العمل عِبرَ منظوراتٍ متضاربـة، إذ أنَّ المتابعـة التاريخيـة لتطـور الأفكار تُثبت وجود مقاربات مختلفة للتقسيمات والتصنيفـات الإجتماعيـة بعضهـا متناقـض بالكامل، لكنها تُشـير إلـى أنَّ الباحث ينبغي أن يكون على استعدادٍ للتعامل معها جميعاً.

فـي خـلال سـتينيات القـرن العشـرين وسبعينياتهِ، خَضَع عِلم الاجتماع، بوصفهِ مادةً أكاديميـة، لفترةٍ من التوسـع السـريع. وضمن العلـوم الإجتماعيـة، كان عِلـم الاجتماع يمثل فرعاً حساساً من المعرفة. وهكذا، كان التركيز الأسـاس للنقد السوسـيولوجي؛ في تلك الفترة؛ على الأفكار والنقاشـات المتعلِّقة بفرضية نهاية الأيديولوجيا. وقد تضمَّنت تلك الفرضية نقاشاتٍ أدت إلـى تمييز المجتمعـات الصناعية بإجماع واسـع على القِيَم والمواقف، وجعل السِـجالات الأكاديميـة المتعلِّقة بالطبقات الإجتماعية قديمةً تجاوزها الزمن على نحوٍ سريع. وفي المقابل، عدَّ علماء الاجتماع المُشـكِّكون أنَّ الصِراعات الطبقية اسـتمرت حتَّـى في رأسـمالية الرفاه، وأنَّ اللامسـاواة والصِراعـات الطبقية لا يمكن إزالتهـا، أو حتَّـى إدارتها في ظلِّ الرأسـمالية. وهكـذا، في خـلال سـتينيات القرن العشـرين وسـبعينياتهِ، احتلَّـت النظرية الطبقيـة في عِلم الاجتماع مكاناً مهماً، على نحوٍ متزايد. وترافق ذلك مع إعادة إحيـاء الاهتمام بأفكار المُنظِّرين الكلاسيكيين وخصوصاً كارل ماركس[6] Karl Marx (١٨١٨-١٨٨٣م). وعلى نحوٍ أخص، قدَّم كتـاب بريفمـان "العمـل واحتـكار رأس المـال"[7] عدداً مـن الرؤى حول كيفية رسـم خريطة العمل للانقسامات في عملية العمل التي أظهرها التحليل الماركسي، حول بُنية الوظائف والمِهَن، على خلاف كتـاب "الاقتصاد والبُنية الطبقيـة"[8] الذي وضع؛ في خلال سـبعينيات القرن العشـرين؛ عملية تلك التطورات، وسعى إلـى تقديم بديـل ماركسـي للخريطـة الفيبرية – نسـبةً إلـى عالِـم الاجتمـاع ماكـس فيبر[9] Max Weber (١٨٦٤-١٩٢٠م) – التـي كانت سائدةً حتَّى ذلك الوقت في تحليل الطَّبقات الإجتماعية.

وقـد أُضيفت إلى الأفـكار النظرية المُتعلِّقة بالطبقـات الإجتماعيـة في عِلـم الاجتماع، في مقاربـةٍ للطبقية الإجتماعية، مسـألة موضوعة سابقاً عُدَّت فيها الطبقات مجاميع مهنية. كما تمَّ المُضي قُدُمـاً بالأفكار المُتَّفق عليها والموجودة سـابقاً، وأُدخلت إلى تلك التطورات الجديدة في التحليـل الطَبَقـي، أهمهـا الافتـراض أنَّ طبقة الأُسرة تُماثل المُعيل الرئيس، وأنَّ رب الأُسرة عادةً مـا يكون رجلاً، لذلك يمكـن أن يتطابق، وعلى نحوٍ موثوق، التَّراصف مع بُنية التوظيف الذكوريـة. ولذلـك اعتمـدت جميع الدراسـات الأساسـية، في مجال الطَّبقية والتَّراصف، ومن دون استثناء، وحتَّى سبعينيات القرن العشرين، على عيناتٍ ذكورية فحسب.

تعرضت تلك الممارسة لهجومٍ متزايد من الانتقادات النسوية في عِلم الاجتماع الذي تطور منذ أوائل سبعينيات القرن العشرين. إلاَّ أنَّ تلك الانتقادات وُجِّهت، ليس ضدَّ استثناء النساء من الاستقصاءات فحسب، لكن أيضاً ضد الافتراض الضمني الذي بُني على أساسهِ تحديد التَّراصف ضمن البُنية الوظيفية، أي أنَّه عدَّ أنَّ التَّراصف (الوظيفي) يُفرق بين الجندرين (Gendered). من الطبيعي، إذاً، أن يستحيل التفريق بين تأثير الطبقة والجَندر، والبُنية الوظيفية. ولقد سارت، على خطٍّ متوازٍ مع تلك النقاشات النسوية، في النظرية الإجتماعية عُدَّت، خصوصاً في عرض أنتوني غيدنز[١٠] Anthony Giddens للتدرج الطبقي، أنَّه لا يمكن فصل الأفعال عن البُنية في الأبحاث السوسيولوجية، بما فيها الأبحاث في "الطبقات الإجتماعية"[١١].

نتيجة هذهِ التطورات وسواها، تشعَّب "التحليل الطبقي" في عِلم الاجتماع في اتجاهاتٍ عدَّة مختلفة. ولكن، خلال ثمانينيات القرن العشرين حُجبت، إلى حدٍّ ما، النقاشات في علم الاجتماع ذاته، بسبب الأزمة التي واجهها، لكونهِ فرعاً من فروع المعرفة الأكاديمية في بريطانيا، عندما طغت "العقلانية"[١٢] Rationalization على الدوائر المختلفة في الكلِّيات والجامعات وخضعت لمزيدٍ من الضغوط الأكاديمية، كما خضع الأكاديميون أنفسهم إلى عملية التأقلم مع العهد الجديد. وقد يعود السبب في تلك التطورات إلى أنَّ عدداً من مفاهيم علم الاجتماع الأساسية، وخصوصاً الطبقة الإجتماعية، قد وضع، على نحوٍ متزايد، تحت المجهر الدقيق. وطُرحت في علم الاجتماع، أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، مسألة الإقرار بنهاية التحليل الطَّبقي، أو بعدم جدواه في الأقل.

لذلك، في نهاية ثمانينيات القرن العشرين، توزع العمل الإمبيريقي[١٣] Empiticism التجريبي لهؤلاء الذي لديهم اهتمام نظري بالطَّبقات في علم الاجتماع على ثلاثة مجالات (في الأقل): **الأول**، التحليل الكُلِّي لمجموعاتٍ كبيرة من البيانات، مُجمَّعة بوساطة هؤلاء الذين طوروا المقاربات النظرية والعلائقية للطبقة الإجتماعية (Goldthorpe and Wright)؛ **الثاني**، الاستعراضات الإجتماعية – التاريخية لتكوين الطَّبقات[١٤]؛ **الثالث**، الاهتمام المتزايد بالتكوين الثقافي وإعادة إنتاج الطَّبقات المُرتبط بعلم الاجتماع الاستهلاكي المتطور، الذي انبثق من النزعة الاستهلاكية التي أخذت تُميز، وعلى نحوٍ متزايد، المجتمعات المعاصرة[١٥]. وتابع علماء الاجتماع، غير المعنيين مباشرةً بتلك النقاشات، القيام بما كانوا يقومون بهِ دائماً، أي استخدام اختزال سوسيولوجي ملائم تعد فيه "المهنة" مقياساً "للطَّبقية" من دون الاهتمام الزائد بالتفاصيل الدقيقة، على الرغم من أنَّ هذا الافتراض يطرح إشكالية كبيرة[١٦]. ومن إحدى الفرضيات الأساسية في هذا الكتاب، الذي بين أيدينا، أنَّ التقسيم غير المُعترف بهِ، على نطاقٍ واسع، للمُقاربات المتعلقة بـ"التحليل الطَّبقي" في علم الاجتماع، هو أحد الأسباب التي لم تؤهل أصحابه للردِّ على الموجة المُتزايدة من النقد، سواء لمفهوم الطَّبقة الإجتماعية أم للتحليل الطَّبقي إجمالاً، الذي برز نهاية ثمانينيات القرن العشرين.

لقد وضع هذا الكتاب، إذاً، بهدف تقديم رؤية شاملة لهذا الحقل تسهل تقدم النقاش في

مجـالٍ تراجـع نوعاً ما، بحسـب رأي المؤلِّفة، في النقاشـات، بين / وضمن المدارس المختلفة مـن التحليـل الطَّبقي. وكانت النتيجة المؤسـفة هـي فقـدان العديد مـن البعدين من هـذا الحقل المعرفي، حتَّى ضمن المهتمين بالسوسيولوجيا، أي إحسـاس حقيقـي بمـا يجري. ولكـن، على الرغم مـن الادعاءات بتقديمهِ "رؤيةٍ شـاملة" هناك فجوات عدة في كتاب التدريس هذا. وكما يعكس اهتمام المؤلِّفة الخاص، نوقشـت مسـألة "الجندر" بشكل معقول وشامل، ولكن لم تُناقش مسـألة الأصل والعِـرق المهمـة، إلاَّ في إطار المواطنـة. ولم تتم مناقشـة قضايا مهمة أخرى تتعلَّـق بالتَّراصف الاجتماعـي على الإطلاق، مثل مسـألة العمـر، كما لم تؤخذ فـي الاعتبار مسألة القومية التي أخذت بالظهور وأصبحت، بعـد انهيـار الكتلـة الشـرقية؛ نقصـد الاتحاد السـوفيتي؛ موضوعـاً أساسـياً في تسـعينيات القرن العشرين.

الكتـاب الـذي يقع فـي (٣٩٨) صفحة من القطـع الكبيـر، يتطـرق للحديث، عِبـرَ ثمانية فصـول، عـن الاختلافات الطبقية بين شـرائح المجتمع، محاولاً تقديم رؤية تحليلية للأسـباب التي أدت لحدوث الفوارق الطبقية، واللامساواة الإجتماعيـة بين أفرادهِ، بالاسـتناد إلى مراجع متنوعة، مكَّنت كرومبتون من تسويغها لصالح بحثها المعني بالحديث.

تـرى الباحثـة أنَّ المُنظَّمـات ذات الأُسـس الطبقيـة تسـيطر علـى عصرنا الحالـي، وهي تناقش حـال المُنظَّمات التـي تتحدث عن تمثيل مصالح مختلف الطبقات الإجتماعية والسياسـية والاقتصادية، ولذا تُطالب بالتعامل معها من أجل فهم معظم أجزاء سيرورة العمل القائمة عليه.

يفتتـح الفصل الأول مـن الكتاب، موضوع "تحديد المَشـهَد"، من ناحية تطرقهِ للمتغيرات الحاصلـة خلال العَقد الفائت، مسـتنداً إلى كرة القـدم البريطانيـة، كمثـالٍ مجازي، لمناقشـة المتغيرات الطبقيـة، التي طرأت على عصرنا الحالي، ومدى تأثرها بمبادئ "النيوليبرالية"[١٧] Neo-liberalism، بعـد أن أطلقـت يدها في الحياة الإجتماعية.

في حين يراجع الفصـل الثاني من الكتاب، والمعنـون بـ: "المقاربـات لتحليـل الطَّبقـة والتَّراصـف"، تاريخ الأُطُر التـي طُوِّرت من أجل فهم وتفسير استمرار التفاوت الاجتماعي، كمـا يهتـم بتوضيـح المفاهيـم والتركيز على الطرائـق العديدة المختلفة التي تـمَّ بها تعريف الطَّبقـة والتَّراصـف والمجموعـة الكبيرة من المواضيـع التي تضمنها. ويشـمل هـذا النقاش تضميـن مناظـرات الطَّبقـة والتَّراصـف فـي الموضوعات والقضايا الأوسـع في النظريات الإجتماعية. وتعود تلك النقاشات إلى مواقف لا يمكـن التوفيـق بينها على ما يبدو بالنسـبة إلى مفهومنا للعالم الاجتماعي الذي يشـمل مفهومنا للطَّبقة والتَّراصف.

أمَّا في الفصل الثالث، المعنون بـ: "التحليل الطَّبقي: الميراث الكلاسيكي وتطوره في القرن العشـرين"، فيشـمل مناقشـة بعـض القضايا والمُناظـرات التي حـددت الفصل الثاني. وإلى جانب دراسـة شاملة لأفكار ماركس وفيبر عن (الطَّبقة)، تستكشـف المؤلِّفة أيضاً، تأثيرها في علم الاجتمـاع. ويوضح هذا العرض التاريخي للتحليـل الطَّبقي خلال النصف الثاني من القرن العشـرين، وبعد الحرب العالمية الثانية، بروز انقسـام متواصل بين "الفعل" و "البُنية" ضمن

تلك النقاشات. كما أجرت المؤلِّفة ضمن مؤلَّفها هـذا مناقشـةً حـول وجوب عـدم اعتبـار ذلك بمنزلة الانقسام، ولكن بوصفهِ ترابطاً؛ إذ ليست المسألة (إمَّا / وإمَّا) ولكن (كلاهما / و).

أمَّا الفصـل الرابع "قياس البُنيـة الطَّبقية" فيُركِّـز علـى التوصيفات البنيويـة للطَّبقة، أي المحـاولات المُنتظمة التي جـرت لتفعيل قياس البُنيـة الطَّبقية، بتقسـيم البُنيـة المِهنية (مقاربة إجمالـي التوظيف). كمـا تُـدرس وتُراجع فيه الأُطر الطَّبقية الرسمية والسوسيولوجية، إضافةً إلى تلك التي يسـتخدمها الباحثون السياسـيون والمهتمون بأبحاث السوق.

ويبدأ الفصـل الخامس المعنـون بـ: "تنبؤ فـي غير أوانهِ للموت وإعادة تجديد في أوانهِ" بعرضٍ للتلاقي، بحكم الواقع، لأعمال اثنين من مُناصـري مقاربة إجمالـي – التوظيف، وهما عالمـي الاجتماع المعاصرين البريطاني جون غولدثـورب John Harry Goldthorpe والأمريكـي إيريـك رايـت Erik Olin Wright. أمَّـا الهدف الأسـاس لهـذا الفصل فهو دراسـة التغيرات الكبيرة فـي المجتمعات المعاصـرة، إضافـةً إلـى عـرض النظريات المختلفـة لهـذهِ التغيرات التـي أدت إلى تأكيد مـوت الطَّبقـة وبـروز الفردية، وهنـا يُظهر النقـاش الـذي سـطَّرته المؤلِّفة أنَّ ما شـهدناه فـي العقود السـابقة ليس تغيـراً اجتماعياً، أي تغيراً جذرياً فـي المجتمعات المعاصرة الناتج من العولمة والتغيرات التقنية، إنَّما هو تشـديد على النيوليبرالية أو "الرأسـمالية المتطرفة". وفي ضوء هذهِ النقاشات، درست المؤلِّفة بدقة المحاولات الأخيـرة لتطوير نظريـاتٍ طبقية حديثة، شاملة وجامعة.

ومع ذلك، من الأمور المُعترف بها صراحةً، أنَّه يمكـن توجيه الانتقاد المشـروع إلى معظم التقاليـد القائمة فـي التحليل الطَّبقـي ووصفها بأنَّهـا اقتصاديـة ومبالغـة بالاعتقـاد بالحتمية. وهكذا نستكشـف، بعمق، في الفصل السـادس من هـذا الكتاب الـذي يحمل عنـوان: "الطَّبقة والثقافـة: الإثنوغرافيـا[١٨] الوصفيـة للطبقة" الجانـب الثقافـي للطَّبقة والتَّراصـف، بدءاً من عـرض مفهوم "المكانـة الإجتماعية"، إضافةً إلى مفهـوم عالِم الاجتمـاع البريطاني توماس مارشال Thomas Humphrey Marshall (١٨٩٣-١٩٨١م) المؤثر للمواطنة. كما تُدرس مقاربـة عالِـم الاجتماع الفرنسـي بيير بورديو Pierre Bourdieu (١٩٣٠-٢٠٠٢م)، بشـيءٍ مـن التفصيـل، إضافـةً إلـى تطبيقات مقاربتـهِ في أبحـاث الطَّبقة الوسـطى والطَّبقة العاملـة، وسـوف يتطرق النقـاش إلى وجوب اعتماد بحـوث الطَّبقة والشـرائح الطَّبقية على المقاربـات الإقتصادية والثقافية، وفي الخاتمة، سـتَعمد المؤلِّفـة إلى نقد ومراجعـة المحاولات الأخيـرة وجمع الاثنين فـي مقاربةٍ واحدة. كما سـتتم الإشـارة، مرةً أخرى، إلى أنَّ المقاربات التجميعية ليست ناجحة، وإلى أنَّ علينا، بدلاً من ذلك، الاعتـراف بالتناقضات النظرية الضمنية والعمل، في الوقت نفسهِ، عِبرَها.

تتفـق المقاربتـان الإقتصاديـة والثقافيـة للطبقـة، علـى الرغم مـن فوارقهمـا، على أنَّ العائلة تؤدي دوراً مهماً في إعادة إنتاج التفاوت الطبقـي، بينما يبحث الفصل السـابع "الحَراك الاجتماعـي للعائـلات والتحصيـل العلمـي" فـي عمليـات الترابط بين الحَـراك الاجتماعي والفوارق الطبقية في التحصيل العلمي. وسـيتم اعتبـار أنَّ نشـوء "شـبه سـوق" للتعليـم في

بريطانيا، إضافةً إلى التأثير المتزايد للسياسات النيوليبرالية أو سياسات شبه السوق، قد زاد فرص استثمار الطبقة الوسطى لرأس المال الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وارتبط بمعدلاتٍ منخفضة من الحَراك الاجتماعي. وفي الخاتمة يتم تأكيد ترابط (بدل تعارض) "الثنائيات" السوسيولوجية في مقاربات الطبقة والشرائح الطبقية.

وفي الفصل النهائي من هذا الكتاب (الفصل الثامن) "اللامساواة المتعاظمة والمناظرات حول الطبقة: مناقشة وخلاصة" تتجه المؤلِّفة نحو مسألة اتساع التفاوت الطبقي، حيث تدرس المُساجلات المتعلِّقة بـ"الطبقة المسحوقة"، إضافةً إلى النقاشات المعاصرة حول الفقر والإقصاء الاجتماعي. كما تعمد المؤلِّفة إلى مراجعة بعض أسباب اتساع الفوارق الإجتماعية حتَّى في المجتمعات الغربية الغنية.

وأخيراً، يجب أن ننوه أنَّ المؤلِّفة قد عَمَدت إلى مناقشة الفكرة التي تقول أنَّه وعلى الرغم من مساهمة الاتجاهات البُنيوية، مثل الابتعاد من الصناعة والتحول إلى قطَّاع الخدمات، والتغير الأُسري، والعولمة، في هذا الاتساع، فإنَّ التحول باتجاه النيوليبرالية الإقتصادية والسياسية، كان مركزياً في زيادة التفاوت الطبقي. مُشيرةً أيضاً، إلى أنَّ الفردية ليست اتجاهاً لا يمكن كبحه، ولكنه اتجاه مرتبط بتلك التغيرات في السياسات الإقتصادية – الإجتماعية. وأخيراً، ستُدرس، باختصار، احتمالات قيام "التحركات المضادة" للنيوليبرالية (أو الرأسمالية المتطرفة).

الهوامش والتعليقات:

(١) أحد أبرز علماء الاجتماع البريطانيين المعاصرين. لها سلسلة من الكتب المؤثرة التي أظهرت ترابط التفاوتات في الطبقة الإجتماعية والجَندَر والأسرة، مثل: كتاب "بروليتاريا الياقات البيض: إزالة المهارات والجَندَر في الأعمال المكتبية" (White-Collar Proletariat: Deskilling and Gender in Clerical Work, ١٩٨٤). وكتاب "العَمَالة والأسرة" (Employment and the Family: The Reconfiguration of Work and Family Life in Contemporary Societies, ٢٠٠٦). وغيرها. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://www.theguardian.com/education/2011/aug/29/rosemary-crompton-obituary

2 (2) Crompton, Rosemary, Class and Stratification, Cambridge: Polity Press Ltd., 3rd Edition, 2008.

(٣) في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وفي إطار نشاطهِ العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة تُرجمان" بتعريف قادة الرأي والنُخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالَم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلَّفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والإجتماعية عامة، وفي العلوم الإقتصادية والإجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورةٍ خاصة.

(٤) مؤرخ وأكاديمي ومترجم، وأستاذ التاريخ في جامعة البلمند في لبنان. من ترجماتهِ كتاب جورج صليبا "العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية" Islamic Science and the Making of the European Reenaissance، وكتاب ريتشارد بوليت "دفاعاً عن مقولة الحضارة الإسلامية – المسيحية" The Case for Islamo-Christian Civilization.

(٥) مترجـم وصحفي لبنانـي، عَمِل مترجمـاً ومحرراً في دورياتٍ عدة كـ"دراسـات فلسطينية"، حيث قام بترجمة العديد من الوثائق والدراسـات، من أهمها: أتفاق أوسلو. ومن ترجماتهِ: "أمل والشيعة.. نضال مـن أجل الكيـان" لأغسـطس نورتـون. و "صائد الجواسـيس" لبيتر رايت. كمـا ترجم إلى الإنكليزية بضعة كتب للسـيد مُحمَّد حسـين فضـل الله، أهمها: "الإسلام ومنطق القوة"، "فقه الحياة".

(٦) فيلسـوف ألمانـي، واقتصـادي، وعالِـم اجتمـاع، ومؤرخ، وصحفي اشـتراكي ثـوري. لعبت أفكاره دوراً هامـاً في تأسـيس علم الاجتمـاع وفي تطوير الحركات الاشـتراكية، واعتبـر ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ. نشر العديد من الكتب خلال حياتهِ، أهمها: بيان الحزب الشـيوعي Manifesto of the Communist Party (١٨٤٨م)، ورأس المال Capital (١٨٦٧-١٨٩٤م).

Foster, John Bellamy, "Marx's Theory of Metabolic Rift: Classical Foundations for Environmental Sociology", American Journal of Sociology, Vol.105, No.2, (September 1999), Pp.366–405.

(7) Braverman, Harry, Labor and Monopoly Capital: The Degradation of Work in the Twentieth Century, New York: Monthly Review Press, 1974.

(8) Crompton, Rosemary and Jon Gubbay, Economy and Class Structure, London: Palgrave, 1978.

(٩) ماكسـيميليان كارل إميـل فيبـر Karl Emil Maximilian "Max" Weber: كان عالمـاً ألمانيـاً فـي الاقتصـاد والسياسـة، وأحد مؤسّسـي علـم الاجتمـاع الحديـث ودراسـة الإدارة العامـة فـي مؤسَّسـات الدولـة، وهـو مـن أتـى بتعريـف البيروقراطية Bureaucracy، وعمله الأكثر شُهرةً هو كتاب (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism, Translated By: Talcott Parsons, New York: Charles Scribner's Sons, ١٩٣٠. إذ يُعـد مـن أهمّ أعمالهِ المؤسّسـة لعِلم الاجتماع الديني، وقد أشار فيه إلى أنَّ الدين هو عامل غير حصري في تطور الثقافة في المجتمعات الغربية والشرقية على حدٍّ سواء، وفي عملهِ الشهير أيضاً (السياسـة كمِهنة)، عرَّف الدولة: بأنَّها الكيان الذي يحتكر الاسـتعمال الشـرعي للقـوة الطبيعية، وأصبـح هـذا التعريـف محوريـاً في دراسـةِ علم السياسة. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر: عدنني، إكرام، سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر، ط١، (بيروت، منتدى المعارف، ٢٠١٣م).

(١٠) عالِـم اجتمـاع إنكليـزي معاصـر، ولد فـي لندن فـي ١٨/كانـون الثانـي/١٩٣٨م، اشـتهر لوضعهِ نظرية الهيكلة Theory of Structuration سـنة ١٩٨٤م، كما عُرف بنظرتهِ الكلانية Holism إلى المجتمعات المعاصـرة. يُعد غيدنز أحد أبرز علماء الاجتمـاع المعاصرين. نشـر ما لا يقـل عن (٣٤) كتاباً، تُرجمت إلى ما لا يقل عن (٢٩) لغة.

Loyal, Steven, The Sociology of Anthony Giddens, London: Pluto Press, 2003, Pp.4-9.

(11) Ibid, p.30.

(١٢) هو مصطلح يسـتخدم في علم الاجتماع يُشـير إلى أنَّ العمليـات المؤدية إلى زيـادة الأفعال الإجتماعية تصبح مرتكزة أكثر على الفعالية الغائية أو الحسابات أكثر من تحركها بسبب الدوافع الأخلاقية والعواطف والتقاليـد. وتعتبر جانباً رئيسـي مـن الحداثة والتي تتجلَّى خصوصاً في المجتمع الغربي. كسـلوكٍ ناتج عن السوق الرأسمالي في الإدارة الرشيدة في الدولة والبيروقراطيـة والتوسـع في العلـوم والتكنولوجيا الحديثـة. ظهـرت العقلانية من خـلال محاولة فهم ماكس فيبر لتوصيف وشـرح تطـور عقلية خاصة وغربية تميزت فيهـا الحضارة الغربية الحديثة عن غيرها من الحضارات الأخرى. وقد أكَّد على القدرة العالية للإنسـان على التصرف بشـكلٍ عقلاني وما

يترتب على ذلك من العلوم الإجتماعية لفهم وشرح طريقة فعل ذلك. وهكذا كانت رؤية ماكس فيبر حول العقلانية مرتبط بالمجتمع الأوربي المنتقل إلى النمط الرأسمالي، ومحاولاً تفسير أسباب الانتقال إلى الرأسمالية والنتائج المترتبة عنها على الصعيد السياسي والاقتصادي والديني والعائلي.

Green, Robert W. (ed.), Protestantism, Capitalism, and Social Science, Kentucky: Lexington, MA: Heath, 1973, p.17, p.29.

(١٣) اتجاه في نظرية المعرفة يرد المعرفة إلى الاحتكام للواقع، بوساطة ملاحظته واختباره. وتفترض الامبيريقية أنَّه باستطاعة الإنسان أن يعرف الأشياء الناتجة مباشرةً عن إدراكهِ الحسّي وخبرتهِ فحسب، ويسود هذا الاتجاه في ظلّ قناعاتٍ شخصية للباحث، يمكن أن تُعبِّر عن نفسها باستقلال عن التصورات السائدة. وقد اهتم مفكرو مدرسة فرانكفورت بنقض هذا الاتجاه، لِمَا رأوه من مبالغته في الاحتكام للواقع، وتقليله من أهمية أثر التجريدات والنظريات العلمية في المعرفة، وإنكار الأثر الإيجابي والاستقلال النسبي للفكر، ولاسيَّما مع عدم وضوح المعطيات المتوافرة، أو عدم التأكد من قياسها. يُنظر: بوتومور، توم، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، ط٢، (طرابلس، دار أويا للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م)، ص١٦٩.

(14) Scott Lash and John Urry, The End of Organized Capitalism, (Cambridge, UK: Polity, 1987); Scott G. McNall, Rhonda F. Levine and Rick Fantasia, eds., Bringing Class Back in Contemporary and Historical Perspectives, (New York: Westview Press, 1991).

(15) Pierre Bourdieu, Distinction: A Social Critique of the Judgment of Taste, (London: New York: Routledge, 1986).

(١٦) كرومبتون، روزماري، الطبقات والتراصف الطبقي، ترجمة: محمود عثمان حداد وغسان رملاوي، ط١، (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٦م)، ص ص٩-١٢.

(١٧) هي فكر آيديولوجي مبني على الليبرالية الإقتصادية التي هي المكون الاقتصادي لليبرالية الكلاسيكية والذي يمثل تأييد الرأسمالية المُطلقة وعدم تدخل الدولة في الاقتصاد. يُشير تعبير "النيوليبرالية" إلى تبني سياسة اقتصادية تُقلِّل من دور الدولة وتُزيد من دور القطّاع الخاص قَدَر المُستطاع، وتسعى النيوليبرالية لتحويل السيطرة على الاقتصاد من الحكومة إلى القطّاع الخاص بدعوى أنَّ ذلك يزيد من كفاءة الحكومة ويُحسن الحالة الاقتصادية للبلد.

Ankerl, Guy, Beyond Monopoly Capitalism and Monopoly Socialism, Cambridge: Schenkman, 1978, p.21.

(١٨) Ethnography: أي الطريقة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعبٍ من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات، ويدل هذا المصطلح في بريطانيا؛ على وجه التحديد؛ البحوث الوصفية والتحليلية التي قام بها علماء الإنثروبولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية التي درسوها دراسةً ميدانية، وبالرغم من أنَّ الإثنوغرافي يهتم بالدراسة الوصفية للمجتمعات البدائية والإنثروبولوجي الاجتماعي يهتم بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية، فإنَّ هناك ارتباطاً وتداخلاً وثيقاً بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية التي يقومان بها. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر:

Letourneau, Charles, Sociology.. Based Upon Ethnography, Translated By: Henry M. Trollope, London: Champan and Hall Ltd., 1893; Baines, Sir Athelstane, Ethnography.. Castes and Tribes, Strassburg: Verlag von Karl J. Trübner, 1912.

خمسة اشياء يندم عليها البشر خلال حياتهم

او

The top five regrets of dying

كتابة وتقديم الطالب:
مصطفى رحمن محسن ثامر

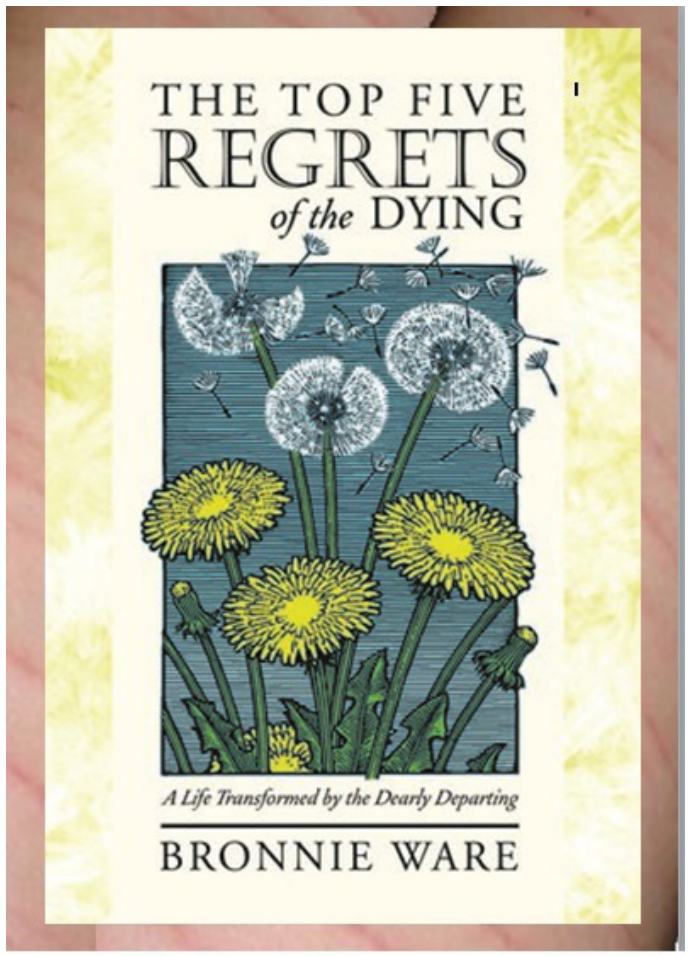

هـو عنـوان الكتـاب للمؤلفـة (بروانـي ويـر) وهي ممرضـة اسـترالية تعمل في احد المستشـفيات في استراليا palliative ward حصل هذا الكتاب على صدى واسع وترجم الى اكثر من ٢٧ لغة حول العالم ودخل ضمن اعلى نسبة مبيعات حول العالم. بسـبب الاسـلوب البسيط للكتاب والغزارة العلمية فيـه. اسـتطاعت(بروانـي) من خـلال خبرتها فـي التمريض لعشرات السنوات ان تجلس مع المرضى الذين عجز الطب عن علاجهم او كبار السن الذين هم في اواخر اعمارهم واستطاعت ان تعرف ماهي اكثر الاشـياء ندمـوا عليها هـؤلاء المرضى خـلال فتـرة شـبابهم وكيـف سـيكون تصرفهم لو رجع بهم الزمن الى شبابهم.

طبعـا الاجابات كثيرة جـدا ومتنوعة ولكن جمعت"بروانـي" هذه الاشياء في خمسة محاور اساسـية(اتفقت معها الاطباء وعلماء الاجتماع والباحثين) وهذه الاشياء هي:

اولا: <u>الشجاعة المجتمعية:</u> الندم على عدم امتـلاك الشـجاعة المجتمعيـة والثقـة اللازمة لفـرض وجـود الفـرد فـي المجتمـع وليـس الشـخصية التي يفرضها المجتمـع على الفرد. فالكثيـر منا يعيش لارضـاء المجتمع والمحيط من حوله وقد يحرم نفسه من رغباته وممارسة هواياتـه المباحة التي لاتتعارض مع تقاليد ديننا والغاية هي ارضاء المجتمع ويعود ذلك بالتاثير السـلبي على السلوك النفسي للفرد وتصرفه مع من حوله وتم اثبات ذلك بالبحوث والدراسـات الاجتماعية.

ثانيا: <u>سـكب الجهد البشـري:</u> عند مضي العمـر قـد يتأسـف الفرد علـى العمـل بافراط وهدر الطاقة فـي العمل بدافع النجاح والمثابرة وهـذا مطلوب ولكن ليس على حسـاب صحتك الجسـدية والنفسـية(وبالاخص ممن يعمل في وظائف روتينية).

ثالثـا: <u>روح التعبير:</u> الفتـور والتراجع في ابـداء راي معيـن او التعبير عن المشـاعر في موقف ما او مناسـبة معينة تجعل الانسـان يندم علـى هذا التراجع الذي سـببه(اعتقاد الفرد بان المقابل سيسـخر منه او يستهزئ به) مع انه قد يكون رأيه هـو الاصح. ان كتمان الراي وعدم البـوح بالمشـاعر يولد حقدا داخليـا للفرد تجاه مجتمعه(فلابد من التعبير عن رايك ولكن التزم بادبيات الحوار وعدم استعمال اساليب التجريح او التجاوز او الجرأة المفرطة).

رابعا: <u>المحافظة على الصديق:</u> غالبية الناس عند كبر سـنهم يندمون على فقدان صديق معين بسـبب سرعة اتخاذ القرار بالابتعاد عن الصديق او الشريك لموقف معين حصل بينهم والسبب في ذلك هو(الاعتقاد الخاطـئ بانه قادر على تكوين صداقات جديدة او اختيار شريك مناسب اخر لانه قد يشعر بانه ذو نفوذ وقوة في مجتمعه، ويستطيع تكوين علاقات اجتماعية كثيرة فلا مبالاة من ترك صديق واحـد)... كلا ياصديقي عـد في قراراك وتذكـر ان كل حالـة انفصـال يصاحبهـا فضح للاسرار وكثرة الفتن وفسح الطريق للمنافقين.

خامسا: <u>ابعاد السعادة:</u> الكل منا بامكانه ان يكون اكثر سعادة خلال ايام حياته بالتركيز فقط على الجوانب الايجابية في حياة الفرد والنعم التي وهبها الله(عزوجل) للفرد وعدم التفكير بالسلبيات والامور الدنيوية الاقل اهمية وجدت(بروانـي) ان اغلب البشـر عند كبرهم يندمون (لانهم يدركوا مؤخرا ان السـعادة هي اختيار كان يمكنهم القيام بـه). فقد تقضـي وقتك بالبحث عن شـيء كنت تعتقد انه بعيد المنال وهو امامك.

ان سر نجاح هذا الكتاب هو بساطته وغزارة علميتـه في نفس الوقـت يتفق محتواه مع اغلب اراء الاطبـاء والبحـوث العلميـة والدراسـات الاجتماعيـة. وكان هذا الكتاب عبارة عن مقال نشـرته(بروانـي) فـي احدى الصحـف المحلية ونال اعجاب اكثر من ٣ مليون قارئ في سـنة ٢٠٠٩ وقررت بعدها ان تطور الفكرة وعملت على ذلك لسـنوات عده حتى طبعت هذا الكتاب حيـث يتوفر بالنسـخة العربية علـى الانترنت كمـا وتفضلوا بزيـارة الموقع الرسـمي للكاتبة والمتحدثة الدولية والممرضة (بروانـي) على

www.bronnieware.com

قراءات في النظرية السوسيولوجية

بقلم: قاسم عبود الدباغ(*)

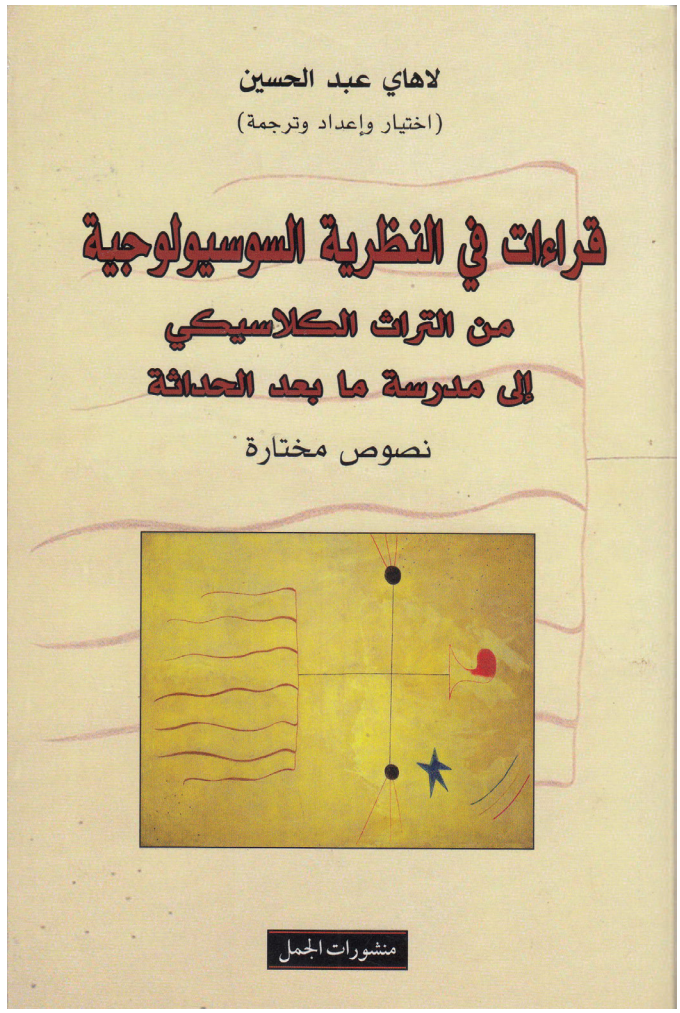

مرة أخرى تطالعنا الدكتورة لاهـاي عبـد الحسـين وضمن اختياراتهـا النوعية بنتاج جديد في علم الاجتمـاع يضاف ألي نتاجاتهـا السـابقة والعديدة في الموضوع نفسه، وباختيار دقيق ومشوق يتناسـب مع متطلبات الضروريـات العلميـة لتكامل وضوح الرؤية لهذا العلم، سواء على المسـتوى الخاص بإطاره الأكاديمي والتخصصي أو في ضوء ما تتطلبه المعرفة العامة للنظرية السوسـيولوجبة بشكل عـام، وذلك من خلال اختيارها لترجمـة كتاب (**قـراءات في النظريـة السوسـيولوجية)** وبجهد أكاديمي متميز، فالكتاب يمثل رحلة ممتعة بين أفكار عدد من علماء الاجتماع والاقتصاد والنفس، والذين ساهموا بشكل مباشـر فـي تطوير هـذا العلم ومواكبته للتطورات التنموية و والحضارية مما أضاف حيوية لأهمية هذا العلم .

(*) بيت الحكمة / قسم الدراسات الاجتماعية.

مـن أكثر الأمور التي تسـترعي الانتباه والرغبة في مطالعـة مثل هذا الكتاب تكمن في أسـلوبه السـلس، وكذلك التبسـيط فـي إيضاح الكثيـر مـن المفـردات والمصطلحـات والتي كثيـرا مـا تتعايـش معنـا دون أدراك واعـي لمفهومهـا الحقيقـي، ممـا يوقع الكثيـر وحتى المختصيـن منهم في إشـكالات ومتاهات تزيد من الغموض والتعقيدات، وخصوصا في عملية الترابط العضوي ما بين العلوم الإنسانية المهمة **(اجتمـاع – اقتصـاد – نفس)**، والتـي تمثل المـدارات التي يرتكز عليهـا العالم في معالجة المشـكلات الاجتماعيـة المعاصـرة، والتـي ساعدت في بناء علم سوسيولوجي متكامل .

أعتمـد الكتاب في مراحل فصوله السـتة التسلسـل التأريخـي للمعرفة السيوسـيولوجية والتـي تبتدئ مـن التراث الكلاسـيكي للنظرية السوسـيولوجية حتى مدرسـة ما بعـد الحداثة، وبالتركيز على الرموز العلمية التي أثرت على كل مرحلة من هذه المراحل، مما يعطي صورة متزامنـة من الإضافات النظريـة لكل منهم في تطور وتنمية علم الاجتماع مع كل التباينات في الآراء والمذاهب .

المـدارات العامـة التي أعتمدهـا الكتاب في تحديد كينونة المجتمع وطبيعته كانت تعتمد على التسـاؤل الأزلـي، وهو هـل أن المجتمع ظاهرة تكوينية أو هو شعور حسي عند الفرد **(أن أولوية الاجتماعي علـى الفردي تمثـل نقطة خلاف جوهريا بين فلاسـفة عصر التنويـر ونقادهم المحافظيـن ص١٢)**، كمـا يشـير الكتاب عن مصـادر الصـراع فـي مجتمعنـا المعاصر هل هـي اقتصاديـة بين الأغنياء والفقـراء، أو بين جماعـات ذوي المكانات المختلفـة (العنصرية، الأثينية الدينية، والجنسية)، هل القيم التي يحملها الناس.. !! هي انعكاس لخلفيتهم الطبقية ؟، كيف يتكلم الناس ؟، ما العادات التي يمارسونها ؟، كثيرا من هذه الأسـئلة وكثيرا من الآراء التي تدعم كل نظرية من هذه النظريات تضمنها الكتاب، لذا كان الكتاب يمثل سـفرا يعرض فيه كل هذه الأسـئلة والآراء بشكلها التاريخي وتطورها المعنوي .

ولآجل الاقتراب أكثر من محتويات الكتاب بفصوله الستة ستعرض مراحل التطور الفكري للنظرية السوسـيولوجية ، وكذلك مدى مساهمة كل مـن العلمـاء والباحثيـن في ذلـك، مع الأخذ بالاعتبـار أن هـذه المراحل متداخلة في طبيعتها وليست مجزأة، و ذلك من خلال الترابط الوثيق ما بين التطورات المادية (الاقتصادية) و تزامنا وما يحدث من تغييرات في البني الاجتماعية، والذي بدا واضحا خلال المرحلة الرأسمالية وتطوراتها الأخيـرة للحداثـة وما بعد الحداثة، ممـا أدى إلى أحداث صدمة تطلبت جهد كبير لمحاولة تلافيها .

فـي الفصل الأول مـن الكتاب والذي يعنى بـ (التراث الكلاسيكي) يتقدم على رأسهم العالم كارل ماركـس فـي نظريته حـول (الاغتراب، الصراع الطبقي، الوعـي الطبقي) وهي مفاهيم متلازمة في ضوء نظرية المنهجية الديالكتيكية، والمستمدة من التفكير الهيجلي والتي تعتبر اللبنة الأساسـية في واقع التحليل المادي بعد صياغتها بشـكلها الجديد من قبل ماركس، وقد أخذت هذه النظرية مسـاحة واسـعة مـن الشـهرة من قبل المفكريـن وكذلـك من قبل الفئـات الأخرى من الناس، لواقعيتها واقترابها من معاناة أكبر الفئات الاجتماعية وهم المسـحوقين (العمـال) والذين يمثلون قوة الإنتاج الرئيسية في المجتمع.

خصـص الفصل الثاني للعالم الاجتماعي الكبيـر (أميل دوركهام) فـي معالجته للآنومي (ارتباك المعاييـر)، كذلك الاندماج الاجتماعي والـذي يمكن تلخيصـه في تحديـد التصرفات والنشـاطات الاجتماعية هل هـي نتاج ضوابط

معتمدة وموجودة أصلا يتوارثها الأفراد ويكون القبـول بهـا حتميـا، أم هـي أحاسـيس داخلية تقررها فطـرة الفرد وطبيعته، ومدى انسـجام هـذه التباينات فـي بناء العلاقـات الاجتماعية، وأن مـا يحدث من تعارض في الرغبات بين ما هو سـائد اجتماعيا وبين وعـي ومدارك الفرد، فيمكـن معالجته بالوعي الأخلاقـي واعتماد ما هو واقع ومقبـول واقعيا حتى لو أضطر الأمر لاسـتخدام القـوة **(أن الضمير العـام يكبح كل تصرف يغضبه ويسـيء إليه، وذلك من خلال سـلوك المواطنين وفرض العقوبات المناسبة وفرض العقوبات المناسبة المتاحة) ص ١٥٠**

فـي الفصـل الثالث تعـرض الكتاب إلى نظريـة ***(القفـص)*** ورائدها العالـم لاجتماعي ماكس فيبـر، وذلك فـي اعتمادها على وصف وتحليل الظواهر والأفعـال الاجتماعية واللجوء إلـى المقارنات فيما بينها واسـتنتاج التعميمات الاجتماعية المناسـبة، كما عنيـت هذه النظرية في مـدى التأثير الفكر الديني فـي تطور ونمو الرأسـمالية **(إن اعتقادات القرن السابع عشر في القدريـة والزهد التي تجئ مـن الكالفنية ألقت بظلالها على سـلوك المؤمنين وأسهمت في صعود الرأسمالية) ص٢٠٤** ، فالرأسمالية في ظل نظامهـا المفرط كنظام عقلاني هي في الواقع ***(قفص حديدي)*** صار الناس فيه وسائل لجمـع المال، وان أي احتمال بتغيير جذري لها غير ممكن، ما دامت البيروقراطية للمؤسسات الحديثـة قائمـة، وكل ذلـك يخضـع لصيرورة العقلنة والتي تمثل تهديدا لحرية الفرد .

فـي الفصل الرابع ياخذنـا الكتاب بعالم أخر متميز ببحوثـه ألا وهو جـورج زيمل بنظريته **(جدلية الفـرد والمجتمع)**. وتعتمد هذه النظرية علـى رفض فكرة دراسـة المجتمع ككيان واحد متكامل، وإنما يتم ذلك من قيام دراسة قوانينه في الارتقـاء والتطور، وكأن المجتمع كيان حيوي قائـم بذاته وما الأفراد إلا جزء مكون له، ولأجل معرفـة طبيعة المجتمع يتم ذلك من خلال عملية التفاعـل الاجتماعي مع الفـرد، أي أن الاحتكام لقوانين المجتمع تبدو بأنها العامل المؤثر وحدها، إلا أن ذلك قد يسبب في تعرض الفرد إلى ظاهرة الاغتراب التي تصدم الأفراد نتيجة التضارب ما بين أفاق الفرد والنظم الاجتماعية القائمة .

يتعـرض الفصـل الخامـس مـن الكتاب لعالـم اجتماع أخر ألا هو هربـت ميد بنظريته الموسومة (الذات المنبثقة)، والتي تعتمد وبشكل مبسـط على إننا مخلوقات مفكرة وتأملية تبرز هويتها وأفعالها نتيجة تفاعلنا مع الآخرين ، أي أن سـلوك الفرد ما هو إلا سلوك انعكاسي، في المقدرة على صياغة اللغة والرموز والاستجابة لها، أي أن تشـابك السـلوك مع الآخرين يحدد عضوية الفرد بين أفراد المجتمع.

في الفصل السـادس والأخير تنتهي رحلتنا مع الكتاب مع العالم الاجتماعي دبليو . ي . ب . دو دوبوا، ونظريته الموسومة (الوعي المزدوج والمثقـف العام) والتي تتعرض لدراسـة معاناة الزنـوج فـي أمريكا حتى بعـد التحرير من قبل أبراهام لنكولن، فما زالت الهوية السـوداء تمثل مصدر إزعاج لكثير من البيض الأمريكان بسبب التفرقة العنصرية ما بين الأبيض والأسـود من البشـر، وما يمكـن ألفائدة من هـذه النظرية في معالجـة الكثير مـن الظواهر المماثلـة في دول أخرى تعاني إشكالا مماثلا في طبيعة مجتمعاتها.

بهـذا العـرض المختصـر والـذي لا يفي لإعطاء صـورة متكاملة عـن محتوياته الغنية بالمعلومـات وسـير عدد من علمـاء الاجتماع والاقتصاد، لكن فـي اعتقادنا يمثل مصدر مهم يضاف إلى المكتبة الاجتماعية.

نشاطات
قسم الدراسات الاجتماعية

نشاطات قسم الدراسات الاجتماعية لعام ٢٠١٦

استعراض الباحث فراس عبد الجبار(*)

أقام قسم الدراسات الاجتماعية خلال عام ٢٠١٦ مجموعة من النشاطات العلمية المتنوعة في ميدان علم الاجتماع الأنثروبولوجيا وعلم النفس تضمنت وقائعها مواضيع علمية مستمدة من واقع المجتمع العراقي وما يواجهه من ظواهر ومشكلات تستلزم الوقفة والتحليل .

نستعرض منها أربعة نشاطات تنوعت مابين ندوة وورشة عمل أو حلقة نقاشية وكما هو موضح أدناه :-

أولاً / ورشة عمل بعنوان : (الأمن الإنساني وثقافة الوعي البيئي) أقامها قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة بالتعاون مع مركز النهرين للدراسات الإستراتيجية بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٦

برئاسة الأستاذ حمزة شريف مدير عام مركز النهرين وبمقررية أ.م.د.خديجة حسن جاسم من بيت الحكمة قسم الدراسات الاجتماعية

وقد تضمنت وقائع الورشة جلستين علميتين، وعلى النحو الآتي :-

الجلسة العلمية الأولى :-

١- د. سمير رؤوف – البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة UNDP/ الأمن و البيئة .

٢- د. عباس بلاسم - كلية الطب - جامعة ميسان و إستشاري في UNDP / مشاكل المياه وعلاقتها بالوضع الأمني .

٣- الأستاذ المتمرس الدكتور كاظم عبد الأمير –الجامعة المستنصرية / التلوث البيئي لنهري دجلة والفرات والتحديات المستقبلية .

٤- السيد سامي علي أبو كطيف- مدير قسم إحصاءات البيئة - وزارة التخطط / إحصاءات البيئة في العراق .

الجلسة العلمية الثانية :-

١- د. عباس بلاسم - كلية الطب - جامعة ميسان و إستشاري في UNDP / البيئة والطاقة المتجددة (كيف يمكن للطاقات المتجددة أن تحمي البيئة ؟) .

٢- رئيس مهندسين أقدم انعم ثابت خليل معاون مدير عام الدائرة الفنية وزارة الصحة والبيئة / التحديات والصعوبات البيئية والسياسات المتبعة لمواجهتها .

٣- د. هديل موفق محمود -قسم الهندسة المعمارية- الجامعة التكنولوجية / دور الجامعة في نشر ثقافة الوعي البيئي .

(*) بيت الحكمة / قسم الدراسات الاجتماعية.

ثانياً / الندوة العلمية الموسومة بـ:- (الأهوار في العراق بين التدهور والاستدامة) التي أقامها قسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة بالتعاون مع قسم الاجتماع في كلية الآداب بجامعة ذي قار بتاريخ ٢٠١٦/٨/١٥ والتي تضمنت وقائعها الآتي:-

الجلسة الأولى :- المحور البيئي الطبيعي

- رئيس الجلسة الأولى / أ.م.د.هيثم سالم عباس / عميد كلية الآثار – جامعة ذي قار.

- مقرر الجلسة / الباحث علاء عكّاب / بيت الحكمة .

الباحثون المشاركون :-

١- **د. فعّال نعمة المالكي** / رئاسة الوزراء / هيأة المصالحة الوطنية / الأهوار في العراق .. نظرة عامة.

٢- **أ.د. كاظم عبد الأمير محسن** / أستاذ متمرس في كلية المستقبل الجامعة الأهلية / أهوار جنوب العراق بين الاستدامة والتحديات .

٣- **أ.د.عبد علي الخفاف** / أستاذ متمرس في جامعة الكوفة / الأهوار الدائمية جنوب العراق .. محمية طبيعية .

٤- **د.عبد الأمير الحمداني** / الهيأة العامة للآثار / التراث الآثاري لأهوار بلاد وادي الرافدين من العصر السومري إلى العصر العباسي .

الجلسة الثانية :- المحور الاجتماعي

- رئيس الجلسة الثانية / أ.د. لاهاي عبد الحسين / كلية الآداب – جامعة بغداد.

- مقرر الجلسة الثانية / الباحث فراس عبد الجبار / بيت الحكمة.

١- **أ.د. متعب مناف جاسم** / قسم الدراسات الاجتماعية - بيت الحكمة / الأهوار ودورها في إنتاج شخصية عراقية كونية قطبية (Global)

٢- **أ.م.د. محمد حمود إبراهيم** / معاون عميد كلية الآثار – جامعة ذي قار / بيئة الأهوار الاجتماعية – معوقات التطوير وسبل التنمية

٣- **م.د.عدي بجاي شبيب** / رئيس قسم علم الاجتماع – كلية الآداب – جامعة ذي قار / القيم الاجتماعية بعد هجرة سكان الأهوار

٤- **م.د.ماهر جبار الخليلي** / كلية الأمام الكاظم / تطوير السياحة في الأهوار وانعكاسها علي الحياة الاقتصادية والاجتماعية

ثالثاً / عقد بيت الحكمة بالتعاون مع كلية الآداب في جامعة القادسية الندوة العلمية الموسومة بـ (الرؤية الاجتماعية للتعايش والسلم الأهلي في العراق لمرحلة ما بعد داعش .. التحديات والفرص) بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٤ التي أقامها بيت الحكمة بالتعاون مع كلية الآداب - جامعة القادسية وقد تضمنت وقائعها العلمية المحاور الآتية:-

أولاً: المحور السياسي الاستراتيجي:

- رئيس الجلسة العلمية الأولى/ أ.د.صلاح كاظم جابر - جامعة القادسية.

- مقررة الجلسة العلمية الأولى /الباحثة سمية معن - بيت الحكمة.

الباحثون المشاركون :

١- **أ.د.عبد الأمير زاهد** / مركز دراسات الكوفة .

٢- **أ.م.د.نبيل عمران** / كلية الآداب – جامعة الكوفة .

٣- **د.نهى الدرويش** / كلية الآداب – جامعة بغداد .

ثانياً: المحور الاجتماعي :

- رئيس الجلسة العلمية الثانية :أ.م.د.سلام هاشم حافظ / جامعة القادسية.

- مقررة الجلسة العلمية الأولى /الباحثة سمية معن - بيت الحكمة.

الباحثون المشاركون :

١- **أ.م.د.علي شاكر** / عميد كلية التربية – جامعة القادسية.

٢- **د.واثق الهاشمي** / مركز النهرين .

٣- **أ.م.د.علي وتوت** / كلية الآداب – جامعة القادسية.

رابعاً / / أقام بيت الحكمة بالتعاون مع المركز الجمهوري للبحوث الأمنية والإستراتيجية ورشة عمل بعنوان (الشرطة المجتمعية : المفهوم .. الوسائل .. وإمكانية التطبيق في المجتمع العراقي) بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٨ .

- رئيس الجلسة / اللواء الركن د.مهدي نعيم / مركز النهرين للدراسات الأمنية والإستراتيجية .

- مقررة الجلسة /د.نهى الدرويش / كلية التربية – جامعة بغداد .

الباحثون المشاركون :

١- **د.معتز محي عبد الحميد** / المركز الجمهوري للبحوث الأمنية والإستراتيجية.

٢- **العميد خالد المحنة** / وزارة الداخلية .

٣- **أ.م.د.عبد الحسن العباسي** / جهاز مكافحة الإرهاب .

٤- **اللواء الركن خالد عبد الغفار** / مركز النهرين للدراسات الأمنية والإستراتيجية .

Book Review

Social Classes and Classes Solidarity
Dr. Haider Qassim Al-Tamimi 145

Five Things in Life to Regret About
Mustafa Rahman Muhsan Thamir.....153

A Reading in the SociologyTheory (Totemism as an Example)
Kasim Abood Al-Dabagh 155

Activities of Social Studies Department in 2016

Firas Abdul-Jabbar 161

Contents

Editorial

Secretary Editor 7

Research and Studies

Challanges of social Enviroment of the Librated Areas: Childhood Problems AsAModel

Prof. Dr. Salam A. Ali 11

Enabling woman into decision-making in the light of the theory of the sociologist (TALCOT BARSINZ)

Prof. Dr. Rajaa Mohammed Qasim 25

Anthropological methods A critical approach

Asst. prof. Dr. Hussein Fadhil Silman 39

Problems of Anthropology study in Iraq – critical view

Asst. Prof. Dr. Farieeda Jasim Dara
Asst. Prof. Dr. Thiqra Jameel Mohammed Hussein 67

The role of educational institutions in confronting the crisis of radicalism and intellectual sabotage

Asst. prof. Dr. Khadija H. Jasim 81

Domestic Violence against Women

Asst. prof. Dr. Rabah Majeed Al-Hieti 99

La Théorie sociales entre la sciences et la philosophie:

Dr. Zarokhi Al-Daraji
Saifi Farouze 115

The Psychological Transformations in the Poetry of Ibn Ammar

By: Lect. Dr. Afrah Ali Othman 129

The Goals and Standard Publishing

The goals of Baytul Hikma

- Baytul Hikma is antellectual and scientific institution with moral entity and financial and administrative independence . Baytul Hikma is in Baghdad . Its goals;
- Studying the history of Iraq and the Arab and Islamic civilization.
- Laying the approach of dialogue between cultures and religions . Thus contributing to concolidate the culture of peace and the values of tolerance and coexistence between individuals and groups.
- Following- up the politiceal and economic global developments and their future effects on Iraq and Arab world.
- Paying attention to reserches and studies related to the issuses of social ، economic and political phenomena
- Interesting in reserches and studies that enhance the citizen rights and fundamental freedoms and the consolidation of democracy and civil society values.
- peoviding insightsand studies that serve policy and decision - making processes.

Puplishering standard

-The joumal puplishes researches that have not been puplished before . rhe researcher will be informed of decision of puplishing within three months from the date of receipt of the reserch- one copyof the resercher should be sent in Arabic with a summary in Enghlish of no more than (200) words. (provided that.

A -The researcher must be printed and saved on CD disk ،double - spaced and printing.

B -Pages should not exceed 200) pages ، (double-spaced and printing.

C -All sources and margins should be serially numbered at the end of the paper in double spaces printing.

-The researcher gets a free copy of the Journal that puplished the research.

-Researchers will not to be resturned whether puplished or not.

-The department has the right to puplish the research in accordince with the plan of the Journal edition.

Social Studies

Semi - annual journal issued by Department of Social Studies In BaytulHikma
No.(**38**) Baghdad-2017

Chief Editor
Prof. Dr. Mutib M. Jasim

Secretary Editor
Asst. prof. Dr. Khadija H. Jasim

The Advisory Committee
Prof. Dr. Lahay A. Al.Duami
Prof. Dr. Khalil I. Rasool
Prof. Dr. Adnan Y. Mustafa
Prof. Dr. Salam A. Ali
Asst. prof. Dr. Faridah J. Darah